سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

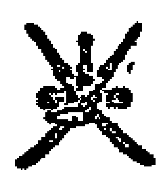
بيان الشرع

اهداءات ١٩٩٨

وزارة التراث القومي والثقافة

سلطنة عمان

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة



بيان الشرع

تأليف
العالم محمد بن ابراهيم الكندي

الجزء الثاني

١٤٠٥ هـ — ١٩٨٤ م



بـاب

تفسير أسامي الرب جل وعلا

اختلف أهل التفسير في تأويل : اللـه :

قال قوم مشتق من أله يأله ، وولـه يوله ، يقال من ذلك ولـه العبـد اليه ، أي تعلق نفسه بالرغبة اليه ، وانتظار الفرج من عنده .

قالوا : ومنه يقال : فلان يتأله ، اذا تنسك وتعبد ، والمتأله من العباد ، الذي ظهرت عليه عبادة الله ، أو هو مشبه بالعباد .

قال بعضهم : ان الاله مأخـوذ من أله العبـاد اليه ، أي يألـه اليـه كما يأله الطفـل الى ثدي أمه .

قال قوم : الذي يستغنى عنه في الأصـنام التي يعبدونها في كل شيء ، قال : في الأصـل اله ، وهـو مأخـوذ من أله يأله اذا تحير ، كأن القلوب تأله اليه أي تتحير عند التفكر في عظمته ، فلا يعلم أحـد كيف هو جل وتعالى الى أن يدركه المخلوق .

وقال بعضهم : سمي : الله ، لأن القلوب تأله اليه ، أي تشتاق الى معرفته ، وتلهج بذكره ، يقال : وله يأله ، قالوا : ويبـدل من الألف ، فكأنه في الأصل أله يأله فأبدلة الواو ، ومنه سمي الولهان .

وأما التشديد الذي على اسم الله في كل هذه الوجـوه ، فانهـا لتواتر الفعل ، والعرب تفعل ذلك اذا تواترت الفعل ، كما تأتي وتعدى ، لأنها فعلة بعد فعلة على التكرير .

وقال بعضهم : الألف واللام للتعـريف ، انمـا دخـلا في بـاب الاعراب ، وكانت مجردة قبـل التعريف ، لام اضافه ، والهـاء كنـاية يشار بها الى غائب ، لأن الله شـاهد غائب ، فاذا اجتمع لام اضـافة

ولام تعريف ، فاشتبه بحرفين من جنس واحد ، فأدغمت العرب بالتشديد احدى اللامين فى الأخرى •

عن الأشعرى قوله تعالى : (هو الله لا اله الا هو) فمعنى أنه لا يستحق صفات المدح على الكمال الا هو ، الا اله الا هو أن لا أحد يستحق صفات للكمال الا هو ، اشارة الى الله تعالى من طريق •

الرحمن الرحيم :

قال المبرد : الرحمن الرحيم ، وقع على وزنين : فعلان وفعيل ، نظيره من الكلام : ندمان ونديم ، وفعلان لا يجوز أن يقال من الرحمة ، الا الله ، يقال له : رحمن •

وبعض القوم جوزوا ذلك واحتجوا بهذا البيت :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا ‏ ‏ ‏ فأنت غيث لنسا لا ريب رحمن

وهما صفتان مبنيتان من الرحمة •

عن الأشعرى : الرحمن الرحيم ، انما هو من له الرحمة ، وهو من صفات الذات ، وهى لذاذة النعمة •

والرحمن : فيه مبالغة من أرحم ورحيم ، كعليم وأعلم •

الرب :

الرب فى كلام العرب يتصرف على أوجه :

فالسيد المطاع فيهم يسمى ربا ، وهو الذى يعيش كثير من الخلق من جنته ، ومن رزقه ، يقال ربيته ربا •

والرب : هو الملك — لعله — المالك ، قال الله تعالى : (ارجع الى ربك) فالمالك للشيء يسمى ربا .

والرب : الثابت أيضا ، يقال : رب فلان بالمكان وأرب ، ولا يقال فى المخلوقين : هذا الرب معرفا بالألف واللام ، بل يقال : انه رب كذا وكذا ، فيعرف بالاضافة ، باضافة الملك .

عن الأشعرى : الملك من له الملك ، وحقيقة الملك القدرة على الخلق والاختراع ، فالبارى سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال ملكا ، لأن هذا الوصف من صفات الذات .

الأحد والواحد :

قال بعض الحكماء : يقال له واحد ، لأنه جل وعز لم يزل قبل الخلائق متوحدا بالأزل ، لا ثانى معه ، فالواحد اسم يعلم باسمه أنه واحد ، وليس قبله شيء .

والواحد من العدد فى الحساب ، ليس قبله شيء ، بل هو قبل كل عدد .

والواحد كيف أردته أو أجريته لم يزد فيه شيء ، ولم ينقص منه شيء ، تقول : واحد فى واحد واحد ، فلم يزد على الواحد شيء ، ولم ينقص منه شيء .

وان جزأته تقول : نصف الواحد ، ثلث الواحد ، ربع الواحد ، فلم يتغير اللفظ عن الواحد ، فدل أنه لا شيء قبله ، واذا دل أنه لا شيء قبله دل أنه محدث الشيء ، واذا دل أنه محدث الشيء دل أنه مفنى الشيء ، واذا كان مفنى الشيء دل على أنه لا شيء بعده .

فاذا لم يكن قبله ولا بعده شيء فهو المتوحد بالأزل ، ولا نقول

للبارى انه معدود ، لأن المعدود هو الذى يكون كثيرا بأشـكاله ، وقليلا بانفـراده •

فأما ما لا يجـوز أن يكون له أشكال توجـد معه ، ويـكون كثيرا ، وتعدم أشكاله ، فيكون اقلالا ، فليس بمعدود •

والقديم جل جلاله قد خلا من هذه الأوصاف ، فبطـل أن يـكون معدودا ، وكان الواحد أقل الأعـداد لوجب أن يكون أقـل قليـل ، تعالى الله عن ذلك •

وقد استقصينا فى مقالة الحسـاب معنى الواحد ، وأجـرى ذكره هنا أيضا ، وهو أن الحساب ممدوح بجميع الألسن ، محمود فى جميـع الأديان ، به اتفقت جميع الألسن على اختلاف أديانها ، وتباين ألسنتها ، وتباعد أهوائها فى صحته •

واختلف فى سائر العلوم ، فلم يجتمع عليها ، وهو من أدلة التوحيد ، وأعلامه ، اذ الواحـد أسبق الأعداد وأشرف الأفراد ، الاثنان والثلاثة منه تركيب ، وعنـه تأليف ، فلما كان ربى جـل وعز أول الأصـول ، كان واحـدا ، فكساه التضعيف ، فتعـدد فحدثت الأعـداد بحـدوث المعدودات •

فكل واحد حادث ، فهو شىء يجمع وكل دون الله معـدود ، وكل معدود مقهور ، لأنه فى سلك الحسيب منظوم ، وطرفاه عليه معقـود ، والواحد فى ذاته اسم الحقيقة ممتنعة من التعدد والتجزىء •

والأعداد أقدار معلومة ، وكلها آحاد مجتمعة ، والواحد لا يسمى عددا بمضافة ثان ، والواحد أول الأعداد والتسعة غايتهـا ، ولمـا لم يجـد الأعداد بعدها متسعا عادت العشرة واحدا بصيغة ثانية ، ثم تركبت الى التسعين ، كتركيب الآحاد الى التسعة ، فأخذ كل عقـد من العشرات

حليته من شكله من الآحـــاد ، فالتسعة هى نهاية الأعـــداد ، والطريق الأعظم ، فلهذا جعل البارى هيئة العالم فتمامه بتسعة أشياء :

أولهـــا : الفـــلك .

والثانى : الشمس التى هى نور العالم الذى له ... الأشياء .

والثالث : الهـــواء .

والرابع : المـــاء .

والخامس : الأرض التى هى قرار الخلق والمقابلة للجنوب .

والسادس : هو الانســـان .

والسابع : دواب البر .

والثامن : دواب البحر .

والتاسع : الأشجار والنبات .

ونجد أيضا فى كل شىء تسعة أعراض ، ان نقص واحد منهـــا لم يكن بالتمـــام مثاله :

تفاحة واحدة أولها تخبرها السمع اذا وقع عليها البصر أن أسمى تفاحة واحـــدة .

والثانية : يخبر البصر عن لونها .

والثالثة : يخبر الشم عن رائحتها .

والرابعة : تخبر اليد عن وزنها أنها ثقيلة أو خفيفة .

والخامسة : أنها تخبر الذوق عن طعمها •

والسادسة : تخبر بأن كنا فنى من التراب •

والسابعة : بأن تستوى من الماء •

والثامنة : تخبر بأن لونى من الهواء •

والتاسعة : تخبر بأن طعمى من النار •

وهذه الأعراض موجودة فى المكونات كلها ، وقد قلنا : ان تركيب العقود كلها الى التسعين ، لتركيب الآحـاد الى التسعة ، ثم عـادت واحدة بصيغة ثالثة فقيل : مائة واحـدة ، ومائتان كذلك الى التسعمائة قد اكتسبت لبسها من نتيجتها من الآحـاد ، ثم قيل : ألف واحـد بصيغة رابعـة ، فالاعتقـاد والمائتين آحـاد نكرت بالسمات ، وبوين بينهـا بالأعلام لتعريف الأقدار والعدد الذى هو أتم التمـام ، وهى ثمانيـة وعشرون حرفا ، تسعة آحاد وتسعة عشرات وتسعمائة واحـد ألف ، وما بعد ذلك ألوف معدودة الى ما لا نهـاية لها •

والأوائل كانوا يفضلون الأعداد الأولية ، أعنى الاثنين الى العشرة ، بل لم يكونوا يعـدون عددا على الاطـلاق الا هـذا ، وكانوا من بين الأعداد الأولية يفضلون الأربعة والسبعة •

أما الأربعة فلأنها تولد ، ويتولد ، أعنى به أنها تولد الثمانية التى هى ضعفها ، ويتولد من الاثنين اللذين همـا نصفهما ، وليس شىء من الأعداد جمع المعنيين جميعا غير الأربعة •

أما السبعة فلأنها عدد مستندة بذاتها ، قائمة بنفسها ، غـير متولد ولا مولدة ، لأنها لم تحصل من تضعيف عدد قبلها ، ولا اذا ضوعفت هى أعطت عددا ، اذ الأعداد فى الحقيقة الى العشرة فقط •

فاذا كان لكل واحد من هذين العددين ، أعنى الأربعة والسبعة فى نفسه منزلة فى الشرف مقابلة بمنزلة صاحبتها .

أما السبعة فلها شرف الاستبداد بذاتها ، والغنية عن غيرها .

وأما الأربعة فلها شرف استجماع فضيلتى العلة والمعلول جميعا .

ونرجع الى ما كنا فيه وأقول : قد قلنا : ان تسعة آحاد تسعة عشرات تسعة مئات واحد ألف ، وما بعد ذلك ألوف معدودة الى مالا نهاية لها ، وجعلت الكسور فى أشغالها عن الواحد كالصحاح فى استملائها عنه ، فلكل جزء من الكسور شقيق من الأعداد الصحاح .

فأول منازل الكسور آخر الواحد ، ثم آخر الأخرى كما الصحاح تعلو عشرات ، ثم مئات ، كذلك وكل العدد بالواحد قائم ، واليه منتسب لو انسلخ من الأعداد لبطلت ، ولو انكشف عن الكسور لم تجد منتسبا فبطلت ، فبالواحد كانت الأعداد بمنازلها منه بان أقدارها ، فلا عدد الا والواحد أصله ، ولا آخر الا والواحد أوله ، فهو العين التى منها انبجست الأعداد ، والمركز الذى اليه يأوى والمرآة التى تؤدى كل عدد قدرة ، ومنها ثم ما أجرينا ذكره من مقالات للحساب ، ونرجع الى تفسير الأحد :

الأحد :

والأحد هو اسم أكمل من الواحد ، ألا ترى أنك لو قلت : فلان لا يقوم له واحد ، جاز فى المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة .

وان قلت : فلان لا يقوم له أحد ، فقد أخبرت — نسخة — أبرمت أنه لا يقوم له واحد ولا اثنان فما فوقهما .

السـلام :

السلام سمى لسلامته مما يلحـق المخلوقين من العيب والنقص ، والفناء والموت ، والزوال والتغيير . انقضى .

ومن غيره :

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

الذى عرفت أنه تعـالى سمى نفسـه السـلام بالسلامة مما يلحق المخلوقين من العيب والنقصان ، اتصل . رجع :

والسلام والسلامة واحد عند العرب ، وسمى الصواب سلاما ، لأنه قد سلم من الكذب والعيب والاثم ، عن الأشعرى : ومعنى قوله السلام هو قريب من معنى القدوس ، وقيل ان السـلامة به ومنه .

قال غـيره :

عن الأشعرى : ان القدوس البرى ومن المعايب والنقائص والآفات والأضداد والأنداد .

المؤمـن :

قال تغلب : المؤمن عند العرب المصدق ، يذهب الى أن الله يصـدق عباده المؤمنين ، والعبد أيضا مؤمن أى يصدق الله بوعـده ووعيده ، وقد يكون المؤمن الذى أمن أوليـاء الله من أن يظلمهم ، أى أعطـاهم الأمان على ذلك ، يقال أمن الأمين ــ نسخة ــ الأمير فلانا ، أى أعطاه الأمان ، فالعباد آمنوا أن يجور عليهم والله مؤمنهم .

ومن كتاب الزاهر :

قال أبو بكر : فى المؤمن ثلاثة أقوال :

قال الكلبى : المؤمن الذى لا يخاف ظلمه •

وقال بعض أهل اللغة : المؤمن الذى أمن أوليــاءه عذابه ، واحتج بقول الشاعر النابغة الذبيانى :

والمؤمن العـــائذات الطــــير تمســـحها
ركبـــان مـــكة بـــين الغيـــــل والســـند

قال أبو بكر : وسمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول : المؤمن عند العرب المصـــدق ، يذهب الى أن الله عز وجل يصدق عباده يوم القيامة ، وذلك أن المفسرين قالوا : اذا كان يوم القيامة ســـأل الله عـز وجـــل الأمم عن تبليغ الرســـل ، فتقول : ياربنا ما جاءنا رســـول ولا نذير ، فيكذبون أنبياءهم ، فيؤدتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيســـألون عن ذلك ، فيصـــدقون نبيهم والأنبيـــاء الماضين فيصدقهم الله تعـــالى عند ذلك ، ويصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم فذلك قول الله عز وجل : (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) •

فالمؤمن المصدق لعباده كمـــا قال الله تعالى : (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) معناه يصدق الله ويصدق المؤمنين ، ومعنى قوله : المؤمن فانه يحتمل أن يكون من الايمـــان الذى هو التصديق ، فيكون معناه أنه مصدق لأنبيائه ، فيعود الى خبره عن صدقهم ، وخبره كلامه ، وهو صفات ذاته ، ويحتمل أن يكون من المعنى الذى يرجع الى الأمان ، فيكون هـــو المخبر للمؤمنين من العقوبة بالمثوبة ، وذلك من صفات الفعل •

المهيمن :

المهيمن قال بعضهم معنـــاه الشهيد ، وقوله : (ومهيمنا عليـــه) أى وشاهدا عليه ، وقال آخـــرون : معناه الأمين •

وفى كتاب الزاهر :

المهيمن القائم على خلقه ، قال الشاعر :

الا ان خير الناس بعد نبيه
مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

معناه : القائم على الناس بعده ، ومن ذلك قوله عز وجل : (مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) فى مهيمن خمسة أقوال :

قال ابن عباس : المهيمن المؤتمن .

وقال الكسائى : المهيمن الشهيد .

وقال أبو عبيدة : يقال : المهيمن الرقيب ، ويقال : هيمن الرجل يهيمن هيمنة اذا كان رقيبا على الشىء .

وقال أبو معشر : (ومهيمنا عليه) ، وقياما على الكتب .

وقال أهل اللغة : القنان لا أصل له فى كلام العرب ، انما هو القفان .

قال الأصمعى : يقال : فلان قفان على فلان اذا كان يتحفظ أموره ، ومنه الحديث الذى يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن حذيفة بن اليمان قال له : انك تستعين بالرجل الذى فيه عيب ، قال : أستعينه بقوته ، ثم أكون بعد على قفانه ، أى على تحفظ أخباره .

وقال ابن الأعرابى : القفان الأمين ، قال : وهو فارسى معرب .

قال أبو عبيدة : القفان عند العرب الذى يتبع أمر الرجل ، ويتحفظه ثم يحاسبه عليه ، وقال : معنى قول الله تعالى : (ومهيمنا عليه) قائما على الكتب .

وقال بعض النحويين البصريين : أصـــل هيمن مؤتمن ، فأبدلوا من الهمزة هاء ، كما قالوا : أرقت المـــاء ، وهرقت الماء وإياك وهياك .

وعن الأشعرى : ومعنى قوله : المهيمن هو الشاهد الذى لا يصلح عليـــه الزوال .

العـــزيز :

العزيز قال بعضهم : الممتنع فلا يغلبـــه شىء ، وقال آخـــرون : العزيز الشـــديد فى انتقامه .

وقال بعضهم : العـــزيز الذى لا يلحقـــه قهر ، ولا ينـــاله ذل ، ولا يغلبه شىء .

ومن كتاب الزاهر :

قال أبو بكر : العزيز فى كلام العرب معناه الظاهر الغالب يقـــول : عز فلان فلانا اذا غلبه ، وقال الله عز وجـــل : (وعـــزنى فى الخطاب) معناه غلبنى ، ويقرأ : وعازنى ، على معنى وغالبنى .

وقال عمر بن أبى ربيعة :

هنالك اما أن يعـــز الهـــوى وامـــا عـــلى اثرهـــم يكمد

ومن ذلك قولهم : من عزّ بزّ ، أى من غلب سلب .

عن الأشعرى : ومعنى قوله : العزيز ، أنه لا شبيه له ولا نظير ، وأنه الغالب الذى يغلب ، والممتنع أن يوصل اليه بمسافة ، أو تجـــور عليـــه آفـــة .

الرءوف :

الرحيم ، قال أبو بكر : قال أهل اللغة : الرءوف معناه فى كلامهم الشديد الرحمة .

وقال أبو عبيدة : فى قوله عز ذكره : (ان الله بالناس لرءوف رحيم) فيه معنى تقديم وتأخير ، وقال المعنى ان الله بالناس رحيم رءوف ، أى رحيم شديد الرحمة ، وقال : فى الرءوف أربع لغات :

الرءوف باثبات الهمزة ، مع اثبات الواو بعد الهمزة .

والرؤف بضم الهمزة من غير اثبات واو ، وقد قرىء بالوجهين جميعا فى كتاب الله عز وجل .

وقال كعب بن مالك :

نطيع نبينا ونطيع ربا   هو الرحمن كان بنا رءوفا

وقال جرير فى اللغة الثانية :

ترى للمسلمين عليك حقا   كفعل الوالد الرؤف الرحيم

واللغة الثالثة : رأف بعباده بتسكين الهمزة . قال الشاعر :

فآمنوا بنبى لا أبا لكم   ذى خاتم صاغه الرحمن مختوم
رأف رحيم بأهل البر يرحمهم   مقرب عند ذى الكرسى مرحوم

وقال الكسائى والفراء : رئف بكسر الهمزة البارىء والخالق .

البارىء :

بمعنى الخالق ، والبرية الخلق ، والبرى فى اللغة : معناه التسوية

والبحث ، يقال : أعط القوس باريها ، وكان الله برى الخلق أى سسواء على علم وحكمة .

وفى كتاب الزاهر :

قال أبو بكر : البارئ معنـاه الخالق فى كلام العرب ، يقال بـرى الله عبـاده يبرأهم اذا خلقهم .

والخـالق :

فى كلام العرب المقدر ، قال الله تعالى : (فتبارك الله أحسن الخالقين) معناه أحسن المقدرين تقديرا ، وقال فى موضع آخر : (وتخلقون افكا) معنـاه تقدرون كـذبا .

وعن الأشعرى : ومعنى قوله الخالق من له الخلق ، وهو الاختراع ، ويختص بالبارئ تعالى عـلى الاطلاق حتى يجـب القول بأن لا خالق غـيره ، كما يجب القول بأن لا اله غيره ، ومعنى البارئ يعود الى معنى الخالق فقد بينـاه .

المصـور :

عن الأشعرى : ومعنى قوله المصور أنه المحـدث لأنواع التركيب ، لأن الصورة هى التركيب والاجتمـاع .

الجبـار :

الجبار : قال بعضهم : هو المصلح أمور خلقه من قولهـم : جبرت العظم فجبر ، اذا كان مكسورا كأنه أقام القلوب وأثبتهـا على مما فطرها عليـه من معرفته ، والاقرار به ، وقال بعضهم : سمى جبارا لأنه جبر عباده ، وينعشهم ويكفيهم أمورهم ، والجبـار الذى يعجز الخلق عـن أن تناله أو تدركه بخواطر الأوهام .

ومنـه يقال للنخلة التى ارتفعت عن أن ينالهما أحـد جبـارة ، والجبار من العباد المتعظم فى نفسـه المستكبر عن عبادة ربه ، القتـال فى غـير حـق •

وقال بعضهم : المجبرة الجبار ، أشتق من أجبرت فلانا على الأمر اذا أدخلته فيه كرها ، وانما قيـل له : الجبار لأنه أجبر خلقـه على أفعالهم ، والجبار أيضا الملك لقول الله عز وجـل : (وما أنت عليهـم بجبـار) والجبابرة الملوك •

ومن كتاب الزاهر :

قال أبو بكر : الجبار فى كلام العـرب ذو الجبرية وهو القهـار ، والجبار فى اللغة ينقسم على ستة أقسام :

يكون الجبـار القهار •

ويكون الجبار المسلط ، قال الله عز وجل : (وما أنت عليهم بجبار) أى بمسـلط •

ويكون الجبار القوى العظيم الجسم ، كما قال عز وجـل : (ان فيها قوما جبارين) معناه أقوياء أشداء عظام الأجسام •

ويكون الجبار المتكبر عن عبادة الله كقوله تعالى : (ولم يجعلنى جبارا شقيا) أى لم يجعلنى متكبرا عن عبادته • ويكون الجبار القتـال ، كقوله تعالى : (واذا بطشتم بطشتم جبارين) معناه بطشم قتالين •

ويكون الجبار الطويل من النخل •

ويقال : أجبرت الرجل على كذا وكذا ، أجبره اجبارا ، اذا أكرهته على فعله ، هذه لغة عامة العرب ، وتميم يقـول : جبرت الرجـل على كـذا وكـذا ، أجبره جبرا وجبورا •

عن الأشعرى : ومعنى قوله : الجبار يحتمل أن يكون المراد به أنه نافذ الارادة والمشيئة ، كامل القدرة والسلطان لا يعارضه معـارض ، ولا ينازعه منازع ، فيكون جبارا على هـذا المعنى ، والصلة ، لعـله وأصله فى اللغة قولهم : نخلة جبـارة اذا علت ، ولا تصـل اليـد الى أغصانها ، ويحتمل أن يكون المراد به أنه جبار على معنى مصلح لأمور خلقه ، مأخوذ من قولهم : جبرت الكسر اذا أصلحته ، فعلى هذا المعنى يدل على صفة الفعـل • انقضى •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

فى قوله البارى تعالى : انه كامل القدرة والسلطان ، وما بعد ذلك قد قيل : ان الله تعالى لا يوصف بالكمال ، لأن الكامل عندهم الذى قد تم انتقاصـه •

وانما البارىء أكمل ما قد أكمله من مخلوقاته ، الا أنه هـو تعالى ذاته ذات كاملة ولا ناقصة ، لأنـه ليس بذى انتقاص • رجع •

المتكبر :

المتكبر هو القاهر للأشياء كلهـا ، المستخلص الكبرياء لنفسه •

وفى كتاب الزاهر :

المتكبر : ذو الكبرياء عند العرب الملك ، قال الله تعالى : (وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) معناه ويكون لكما الملك فى الأرض •

عن الأشعرى : ومعنى قوله : المتكبر ، أنه يستحق من صفات المدح التى هى أعلى رتبة من سـائر المادح لخلقه ، وكان متكبرا عـلى الحقيقة لأجـل ذلك (فالق الحب) فالق الحب هو مشـققه ليخرج نباته : تقول فلق الصبح اذا أسفر عن سواد الليل •

الظــاهر :

يقال ظاهر لظهور صفته ، كما يدل البنـاء على البانى .

وقال بعضهم : الظاهر العالم بما ظهر .

وقال آخرون : معنى الظاهر أن ما يظهر من الأشياء ليس بأقرب اليـه مما بطـن .

البـاطن :

يقال له باطن لأنه خفى عن أن تدركه الخلائق بكيفية ، أو تحيـط به أوهامهم ، أو تبلغـه صفاتهم .

وقال بعضهم : الباطن العالم بما بطن .

وقال بعضهم : الباطن الذى ليس ما بطن من الأشياء بأبعد اليـه مما ظهـر .

الفتـاح :

الفتاح : هو الحاكم يفتح الأمور ما قد انغلقت ، قال الله تعالى : (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) .

وفى كتاب الزاهر :

قال أبو بكر : الفتاح معناه فى كلامهم الحاكم ، من ذلك قوله جل ذكره: (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) معنـاه : ان تستقضوا فقـد جاءكم القضاء ، ومن ذلك قوله : (ان كنتم صادقين) معنى : متى هذا القضاء ، ومن ذلك قوله تعالى : (ويقولون متى هذا الوعـد ان كنتم صادقين) معناه : متى هذا القضـاء .

وقال الفراء : أهل عمان يسمون القاضى : الفتاح .

وقال قوم : معنى قوله تعالى : (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) ان تستنصروا فقد جاءكم النصر •

الحكيم :

أصل الحكمة المنع ، تقول العرب : حكمت اليتيم عن الفساد فأحكمته ، أي منعته ، ولهذا قيل للحديدة المعترضة في فم الدابة : حكمة اللجام ، لأنها تمنع الدابة عن الاعوجاج ، والحكمة سميت حكمة ، لأنها تمنع من الباطل ، وقد يكون حكيم بمعنى عليم •

ومن كتاب الزاهر :

والحكيم : معناه في كلام العرب المحكم لخلق الأشياء ، فصرف عن المحكم الى الحكيم ، ومن ذلك قول الله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) معناه : من الله القاهر المحكم خلق الأشياء ، وكذلك قوله تعالى : (تلك آيات الكتاب الحكيم) فصرف من مفعل الى فعيل •

*** مسألة :**

من الزيادة المضافة من كتاب الأشياخ :

إن قيل : هل يوصف الله بأنه حكيم فذكر فيه أختلاف ، يقال ذلك على سبيل العلم ، لأن الحكيم اذا لم يكن عالما فهو جاهل ، فعلى هذا السبيل يجوز •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

أما قوله : فعلى هذا السبيل يجوز ، فلا نعلم ما يريد بقوله ذلك ، فان كان يعني أنه يجوز انما يجوز أن يوصف الله تعالى بأنه حكيم

بما — لعله — بمعنى العـلم لا غير ذلك ، فقد جـاز أن يوصف البارىء تعالى بأنه حـكيم بالمعنيين جميعا ، الفعلى والـذاتى ، فالذاتى بمعنى العليم ، والفعلى بمعنى العليم أنه تعالى أحكم خلق الأشياء ، فانما قوله : فعلى هذا السبيل يجوز ، فذلك ذا ذكر الأزل ، فقيل : لم يزل حكيما بمعنى العلم ، لم يزل الله عالما ، فعلى هذا السبيل يجـوز .

وهذا ما يخرج فى جواز لفظه ، فعلى هذا السبيل يجوز ، اذ الحكيم بمعنى أنه أحكم الأشياء لا يجوز لقائل أن يقول : لم يزل حكيما الا على القول الأول ، والذى بمعنى العلم ، لا على القول الذى بمعنى الفعل ، رجعنا الى كلام المضيف .

* مسـألة :

قال المضيف : وجدت فى الأثـر : أن الحكيم صفة للذات ، وصفة للفعل ، فصفات الذات بمعنى العلم ، وصفة الفعل بمعنى أنه سبحانه احكم الأشياء ، والله أعلم .

رجع الى كتاب بيان الشـرع .

الأول والآخر :

الجواب يقال له : أول ، لأنه لم يكن له سـابق من خلقه ، ويقـال له : آخر ، لأنه ليس له غاية ولا نهـاية .

* مسـألة :

من الزيادة المضافة من كتاب الاشياخ :

قلت : هل يوصف الله بأنه قديم ؟

قال : نعم •

قلت : فيوصف بأنه عتيق ؟

قال : لا •

قلت : وما الفرق ؟

قال : القديم المتقدم بالأشياء ، الذى لا يجرى عليه الحدوث ، والعتيق الذى يجرى عليه الفساد ، فان قال : هذا فلان قديم ، قيل له : ذلك أنه قدم متناه يئول أمره الى الفساد ، والله تبارك وتعالى ليس له غاية ولا نهاية • انقضى •

قال غير المضيف الى الكتاب والمؤلف له :

أما ما ذكره المضيف بأن القديم هو المتقدم بالأشياء ، فالأصوب عندى اذ يقال للبارىء بأنه المتقدم قبل الأشياء ، ولا يقال المتقدم بالأشياء كالمضطر اليها ، المقدم بها ، تعالى الله وتنزه عن ذلك ، لأنه سبق الأشياء ، وهو القديم بنفسه ، لا بشىء هو غيره ، هذا ان كان يجوز له على لفظ وزن المتفعل ، لأن المتعزز ، والمتجبر لا يجوز ولا يقاس ذلك على قوله تعالى المتكبر • رجع •

الوكيل :

قال الفراء : الوكيل الكافى •

وقال بعضهم : الوكيل الكفيل ، من قوله تعالى : (حسبنا الله ونعم الوكيل) أى الكفيل بأرزاقنا •

ومن كتاب الزاهر :

قال أبو بكر : الوكيل الكافى ، كما قال الله تعالى : (لا تتخذوا من دونى وكيلا) معناه : لا تتخذوا من دونى كافيا •

وقال آخرون : الوكيل الرب ، ومعنى قوله عز ذكره : (لا تتخذوا من دوني وكيلا) أي ربا •

وقال آخرون : الوكيل : الكفيل بالأرزاق •

سبوح :

سبوح مبني على فعول ، من قولك : سبحان الله تنزيه عن قول الملحدين والكافرين • قال الأعشى :

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاجر

القدوس :

القدوس : فعيل من التقديس ، والتقديس التطهير ، ومنه قيل : الأرض المقدسة بمعنى المطهرة ، فكل اسم على فعول مفتوح الا هذين الاسمين سبوح وقدوس •

قال غير مؤلف الكتاب والمصنف اليه :

الذي عرفت أن كل اسم على فعول مفتوح أوله الا هذين الاسمين •

رجع الى كتاب بيان الشرع :

والذي يفتح مثل : سفود وتنور •

عن الأشعري : ومعنى قوله قدوس : البريء من المعائب والنقائص ، والآفات والأضداد ، والأنداد واشتقاقه في اللغة القدوس وهو الطهارة •

المجيد والماجد :

المجيد والماجد : مأخوذان من المجد ، والمجد الجلالة والعظمة ، والماجد الواسع في العطاء والرحمة ، تقول العرب : في كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار ، وهما شجرتان من أكثر الشجر نارا •

المقيت والحليم :

هو الحافظ لكل شيء ، والراعى له ، والمحصى العالم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة • قال الشاعر :

الى الفضل أم على اذا حو   سبت أنى على الحساب مقيت

ومن كتاب الزاهر :

قال أبو بكر : الحليم معناه فى كلامهم : الذى لا يعجل بالعقوبة ، يقال : حلمت عن الرجل أحلم عنه حلما اذا لم أعجل عليه •

ويقال : حلمت فى النوم أحلم حلما •

ويقال : حلم الأديم يحلم حلما اذا تنقب وفسد •

والمقيت : فيه قولان :

قال بعض الناس : المقيت الحافظ •

وقال ابن عباس : المقيت المقتدر ، واحتج بقول الشاعر :

وذو ضغن كففت النفس عنه   وكنت على مساءته مقيتا

معناه : مقتدرا ، وعلى هذا أهل اللغة •

وقال بعض المعمرين :

ثم بعد الممات ينشرنى   من هو على النشر يأتينى مقيت

معناه : مقتدر

وقال أبو عبيدة : المقيت أيضا عند العرب : الموقوف على الشيء ، وأنشد قول الشاعر :

ليت شـــعرى واشـــعرن اذا ما قرّبوهـــا مطـــوية ودعيـــت
الى الفضـــل أم على اذا حـــو سـبت أنى على الحساب مقيت

الشكور والحميد والغفور :

الشكور بمعنى الشاكر ، وبمعنى : مشكور ، وكذلك الحميد بمعنى محمود وبمعنى حامد ، حمد الله : هو الثناء عليه بصفاته الحسنى ، والثناء عليـه بنعمه ، يقال : حمدت الرجـل اذا أثنيت عليه بصفاته ، بكرم أو بحسب ، وشكرته اذا أثنيت عليـه بمعروف أولاكه ، ومن شكر فقد حمد ، لأن الشكر يجمع الحمد والشكر جميعا •

ومن كتاب الزاهـــر :

قال أبو بكر : **الغفور** : معناه فى كلامهم الساتر على عباده ، المغطى ذنوبهم ، من قولهم : غفرت المتاع فى الوعاء أغفره اذا سترته فيه •

والشكور معناه فى كلامهم : المثيب عباده على أعمالهم ، يقال شكرت الرجل اذا جازيته على احسانه ، اما بفعل ، واما بثناء •

وقال الفراء : فيه لغتان : شكرت الرجل ، وشكرت للرجل •

المجيب :

المجيب : الذى يجيب من دعاه ، وأمـا معنى قوله تعالى : (ادعونى استجب لكم) معناه : ادعونى اعبدونى موحّدين لأستجيب لـكم بمـا وعدت من الجنة ، وقد بين ذلك فى موضع آخر ، فقال : (أجيب دعـوة الداع اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى) •

البـــاعث :

الباعث : عند العرب المثير ، يقال : بعثت البعير ، أى أثرته ، وهو عز

وجل يبعث من فى القبور ، أى يثيرهم من القبول ، لقول الله تعالى : (من بعثنـــا من مرقدنا) .

الديّـــان :

يقال له : الديان ، لأن الخلق كلهم دانوا له ، وتذللوا لعظمتـه ، والدين الطاعـــة فى كلام العـــرب .

قال بعضهم : الديّان المجازى بالأفعال ، لقول العرب : كما تدين تدان ، أى كما تفعل تجازى .

الســـــند :

السند : هو ظهر الخلق وملجؤهم ، لأن الخلق يســندون اليــه ، ويعتمدون عليه .

قال غير المؤلف والمضيف اليه :

ان السند لا يجوز فى صفته تعالى ، وان قيل هذا فى صفته فانمـا هو مجاز ومعناه : ليس بحقيقة . رجـــع .

الحنـــان :

الحنان : المتعطف عليهم بالرحمة ، وقال عز وجل : (وحناناً من لدنا) أى رحمة ، قال عكرمة : أى رحمة ، يقال حنانيك ربنا ، أى هب لنا رحمة بعد رحمة ، أو رحمة مع رحمة ، وكما قالوا : سعديك ، أى سعدا مقرونا بســـعد . قال الكميت :

حنـانيك رب النـــاس من أن تعـــزنى
كمـــا عزهم طول الحيـــاة المنصف

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

في الحنان نظر ، إذ لا يجوز أن يوصف الله تعالى به ، ولم تسلم فيما وطئنا في آثار المسلمين الصحيحة ، إلا النهي عن الاطلاق بالقول به ، لما روى عن ابن عباس أنه سئل عن الحنان فقال : والله ما أدرى ما الحنان •

قال الشيخ أبو المنذر سلمة بن مسلم : فهذا ابن عباس بحر العلم ، وترجمان القرآن ، وربانى الأمة ، والقدوة فيه يقسم بالله ما يدرى ما الحنان ، فكيف يجوز لأحد القول فيه ، والله أعلم •

المنان :

المنان : معناه المعطى ، يقال : منّ فلان علىّ بكذا وكذا ، أى أعطانيه فالمنان من المن ، والمن العطاء •

وأما المنة فمن الاعتداد ، يقال : امتنّ عليه بالعطية ومن عليه ، فالمنان هاهنا الكثير الاحسان ، الدائم المعروف ، الواجب الامتنان •

الواسع :

يقال له : الواسع ، لأنه تعالى وسع على عباده في دينه ، ولايضطرهم الى ما يعجزون عن أدائه ، ووجه آخر أنه يسع علمه كل شيء ، فلايخفى عليه شيء من أفعال عباده ، لقوله تعالى : ﴿ وسع كل شيء علماً ﴾ •

وقال بعضهم : قيل له : واسع ، لأنه وسع على عباده ، وجعل الاختيار اليهم ، فلما أرادوا أن يفعلوه ، ولم يمنعهم بالجبر عن أفعالهم، لكن بين ذلك طريق الثواب والعقاب فيجازيهم على ما يظهر منهم •

ومن كتاب الزاهـــر :

فى أسمائه عز وجل : الواسع ، كقوله تعالى : (واسع عليم) قال أبو بكر : معناه الكثير العطايا الذى يسع لما يسأل تبارك وتعالى ، هذا قول أبى عبيدة ، ويقال الواسع : المحيط بعلم كل شىء من قوله تبارك وتعالى : (وسع كل شىء علما) معناه : أحاط بكل شىء علما .

ذى الطَّـــوْل :

الطَّوْل : الفضل والأحسان والعطية من قوله تعالى : (ومن لــم يستطع منكم طوْلا) أى ما يعطى من المال .

النصـــير والنـــاصر :

فى كـــلام العــرب واحــــد .

الودود :

الودود المتودد الى خلقه بما يدر عليهم من أرزاقه ، ويفرغ عليهم من وسعه القريب اليهم ، المجيب لهـــم .

ومن كتاب الزاهـــر :

الودود فى أسمائه عز وجل ، المجيب لعبـــاده من قولهـــم : وددت الرجل أوده ودّاً والود بفتح الواو ــ لعله ــ بضم الواو ، أسم صنم قال الله عز وجل : (ودًّا ولا سواعا) .

وقال الآخـــــر :

يود لك مـــا قـــومى على أن تركتـــهم
سَـــليما اذا هبت شـــمال فريحهـــا

يروى على وجهين : يوُدك ويوُدك بفتح الواو وضمها ، فمن رواه

بفتح الواو بحق صنعك عليك ، ومن رواه بضم الواو وأراد بالمودة بيني وبينـــــك •

الهـــادي :

الهادي : المبين لطريق الحق (هدى للمتقدين) أي بيانا لهم •

الفـــــرد :

قيل له تعالى : الفرد ، لأنه لا يختلط بالأشـياء ، ولا يمازجهـا ، والأشياء كلها مختلطة بعضها ببعض •

الصـــمد :

الذي قد انتهى سؤدده ، والذي يسند اليه في الأمور •

قال الناعي :

ألا بكر النـاعي بخـير بني أســد
بعمرو بن مســعود بالسيد الصـمد

والصمد الذي لا جوف له ، والصمد الشريف من الناس ، المتناهي في السؤدد والشرف • قال طرفة :

وان يلتقي الحــي الجميـع تلاقني
الى ذروة البيت الرفيــع المصــمد

ومن كتاب الزاهـــر :

قال أبو بكر : الصمد اسم من أسماء الله عز وجل ، وفي تفســيره ثلاثة أقوال :

قال قوم : الصمد الذي لا يَطعم ، كما قال الله تعالى : (وهـو يُطعِم ولا يُطعَم) ويروى عن الأعمش : يطمِم ولا يطعَم •

وقال السدي : الصمد الذي لا جوف له •

وقال أهل اللغة : أجمعوا أن لاخلاف بينهم فى ذلك الصمد عند العرب : السيد الذى ليس فوقه أحد الذى يصمد اليه الناس فى حوائجهم وأمورهم ، واحتجوا بقول الشاعر :

سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا
ولا رهينة إلا سيد صمد

وقال الآخر :

ألا بكر الناعى بخى بنى أسد
بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال عمرو بن الأسلع يعير حذيفة بن بدر :

علوته بحسامى ثم قلت له
خذها حذيف فأنت السيد الصمد

معناه : أنت السيد الذى يصمد اليك الناس فى أمورهم . انقضى .

قال المؤلف والمضيف :

وكل هذه الأقاويل التى فى تفسير الصمد انما الصواب فى بعض ذلك، لا أن كلها صواب وان اختلفت أقاويلهم ، وليس هذا كاختلافهم فى الصمد .

قال قوم : هو السيد .

وقال قوم : هو الباقى .

وقال قوم : هو السيد الذى لم يزل ولا يزال .

وقال قوم : الصمد هو الذى لم يلد ولم يولد .

وقال قوم : الصمد الذى لا تأخذه سنة ولا نوم •

وقيل : الصمد هو الحى الذى لا يموت ، وأمثال هذه الأقاويل من الصفات الموافقة الذى فى جميعها الصواب • رجع •

القـــــادر :

قال بعضهم : القادر هو الذى ينفذ ارادته فيما له بالقوة •

وقال آخرون : القادر أن يكون له قدرة قائمة به تبين من العاجز •

وقال بعضهم : القادر هو الذى يجوز منه الفعل •

❋ مســألة :

من الزيادة المضافة :

قال بعض : القادر هو الذى يصح أن يفعل وأن لا يفعل ، اذا لـم يكن ممنوعا ، والله سبحانه فعل العالم ، وكان يصح أن لا يفعله ، فصح أنه قادر ، وقولنا : أن يفعل وأن لا يفعل احتراز من النار ، لأن النـار تقع منها احراق ، فلا يجوز أن لا تحرق ، فلذلك قلنا : إن ليست بقادرة• رجـــــع •

الـــــكريم :

قال بعضهم : الكريم الذى لا يمن اذا أعطى ، فيكدر النعمة بالمنّ•

وقال آخرون : الكريم الصفوح عن الذنوب •

وقال آخرون : الكريم المرتفع من كل شىء ، يقال : فرس كريم اذا كان مرتفعا بفراهته ، وشجرة كريمة اذا كانت مرتفعة بالأغصان ، ومنه قيل : أكرمته ، وكرمته ، أى رفعته وبجلته وفضلته • انقضى •

قال في المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

الكريم صفة ذات وصفة فعل ، فالذاتي : العزيز الممتنع ، والفعلي: المتفضل بالعطاء • رجع •

القاهر :

هو الغالب ، يقال : قهر فلان فلانا اذا غلبه ، فالباريء عز وجل هو الغالب لكل شيء ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون •

العلي :

هو الغالب المتعالي الذي ليس فوقه أحد ، قد علا على خلقه ، وكل شيء دونه وهو الأعلى ، تبارك وتعالى •

قال في المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

علوه تبارك وتعالى بالقدرة علو الشأن ، لا علو مسافة وهذا مما ينبغي أن يبين لئلا يخطيء الضعيف ، فيتوهم على الباريء تعالى أنه عال على خلقه ، وكل شيء دونه ، كما وصفت به ، فيتوهمه أنه علو مسافة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • رجع •

اللطيف :

هو العالم الذي لا تخفى عليه خافية ، وهو الرحيم بعباده ، واللطيف من العباد الرقيق النظر العالم بغوامض الأمور ، تقول العرب : لطف به ، أي رفق به •

الوتر :

الوتر لغتان : وتر بفتح الواو وكسرها ، والوتر بمعنى الفرد ، ويقال : وتر لا شفع له ، أي لا زوج له ، وأصحاب الحساب يسمون

الواحد فردا ، والاثنين زوجا ، والثلاثة فـــردا ، والأربعـــة زوجا ولا يقولون : ثلاثة وتر •

الـــــكفيل :

الكفيل : يقال له تعالى : الكفيل ، لأنه تكفل بأرزاق عباده ولمن وحده بالجنة فى الآخـــــــرة •

قال غير المؤلف والمضيف اليه :

اذا تبع توحيده بطـــاعته تعالى فيما أمره ونهـــاه والا فالمنافقـــون موحدون وهم فى الدرك الأسفل من النار • رجع •

بـــاب

فى التوحيـــد

عن أبى المؤثر : ومن صفة الله عز وجل أن يقال : لم يزل الله عالما ، ولم يزل قويا ، ولم يزل عزيزا ولم يزل حكيما ، ولم يزل سميعا ، ولم يزل بصيرا ، ولم يزل ملكا ، ولم يزل ماجدا ، ولم يزل قديرا ، ولم يزل حـــكيما .

قال في المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

قوله : لم يزل حليما ، بمعنى عليما لا بمعنى حليم عن العصاة ، فاذا أريد به حليما عن العصاة ، لم يجز أن يقال ان الله لم يزل حليما ، وكذلك ما ذكره فى الأزل بقوله : لم يزل حكيما ، فالقول فيهماواحد اذا كان المراد به صفة الذات ، قيل لم يزل حكيما ، ولم يزل حليما ، بمعنى عليما ، واذا أريد به الفعل لم يجز أن يقـال : لم يزل الله حـكيما ، ولا يقال لم يزل الله حليما . رجـــع .

ويقال : لم يزل الله ربا لمربوب سيكون ولم يزل الها لمألوه سيكون، ويقال : لم يزل الله وهو الخالق ، ولم يزل الله وهو الرازق ، ولا يقال : لم يزل خالقا ولا رازقا ، ويقال : من صفة الله عز وجل الله رب كل شيء مـــــربوب .

والله مـــولى كل شيء ، والله سيد كل سيد ، والله ملك كل ملك ، والله مالك كل مالك .

قال غـيره :

لعله أراد أن يأله كل اله ، لأن لا اله الا هو .

قال المضيف :

لعله أراد ، ولا يقال له : كل اله .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

نعم لا يقال اله كل اله ، ولا يقال : اله الآلهة ، لأنه لا اله الاالله وحده ، لا اله غيره . رجـــع .

ويقال نستخير الله ، ولا يقال نستشيره ، لأنه يكره ، ولا يقـال سأل الله عنك ، وهذا مكروه لأن الله علـيم بعباده وبمواضـعهم فلا يســأل عنهـــم .

ويقال : الأمر لله ثم لك ، ولا يقال رأى الله ثم رأيك ، لأن هـذا مكروه ، ولا يوصف الله بالرأى .

ولا يقال : بقى فلان بين الله والشمس وهـذا مـكروه ، لأن الله ليس بمحـــدود .

ولا يقال : استأثر الله بفلان ، لأنه انما يستأثر بالشىء من له شريك والله تعالى لا شريك له فى جميع الأمور ، وجميع خلقه .

والصلاة من الله على أنبيائه ورسله المغفرة ، ومن الملائـكة وبنى آدم الاستغفار ، ويسلم على الملائكة انقضى الذى عن أبى المؤثر .

* **مســألة :**

(ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ؟

الجـــواب :

ان المراد بالفتنة فى هذا الموضع هو تسديد فى التعبد من الله تبارك وتعالى على المكلف ، ليستحق بذلك زيادة فى الأجر والثواب .

* مســألة :

عن بشير بن محمد بن محبوب : الحمد لله أفضل الحمد ، شكرا له دائما أبدا ، وسبحان الله تحميدا له باقيا الى غـير نهاية ، ولا مدى ، وأشهد موقنا أنه الله لا اله الا هو ، توحيدا له بأنه اله لم يزل الهـا واحدا ، فردا قادرا على الأشياء كلها فى غير انتهاء منى بذكـر الـكل الى غاية لها ، ولا اثبات معانى الوجود منها فيها ، ولا اشارة اليها بشىء من أوصـــــافها .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

التى يستحقها سوى أنها مقدورات ومعلومات لله ، لم يزل قادرا عليها ، وعالما بها على ما هى به ما يوجده وما قد أوجده ، ومالا يوجده ، وان لو أوجده كيف كان يقع فى ايجاده اياه منها بغير تغير له فى ايجادها ، ولا حدوث علم بها أم له قد أوجدها ، لأن المعلوم له أنه قد أوجده هـو المعلوم له قبل أن يوجده ، فليس لتغاير معلومه والوجود عن عدمه بموجب تغاير العـــلم به .

فسبحان الله الدال بالموجـودات على ذلك من صـفته فى تشـاكلها وتضادها ، وإعدادها ومعدودها ، وحدودها ومحدودها ، وما وسمها به عادلا له على أنه أوجدها ، وحكم فى ايجادها ، وغنى عنها من اختلافها وتوافقها ، وتآلفها وتفرقها ، وجواهرها وأعراضها ، وكلياتها وأبعاضها ، شاهدة بأنه البرىء عن معانيها ، وكل ما يحل منها ، والمتعـالى عن درك نواظرها ، ومماثلة أعراضها ، وجـواهرها ، وأن توهمـه نهته القلوب بحدوث خواطرها ونتائج فكرها .

فسبحان الله المتولى لانشائها وتدبيرها صفة محكمة ، وحكمة بالعدل فيها بالغـــــة.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله ، بعلم الصدق وبرهان الحق ، وشريعة العدل ، ووصائف الفضل ، وأنه قد أبلغ ما أرسله به ، صلى الله عليه صلاة بالغة به الى التفضيل له بهـا الى الانتهاء اليهـا ، الأعظم والتمجيد الأجل الأكرم من حيائه ، وسنا مواهب عطائه ، انه واســع لمـــا يشـــاء .

وبعد هذا بيان فى حدوث العالم واجرائه بتعاور الحوادث له ولها فيه ، وأحسانه وأجرائه لها ، ووجوده بها غير منفكة منه ، ولا منفك منها فجرى حراؤه وأجراؤه ، هو بها تفرقا مرة له ، وتأليفا أخـرى يحلها ، فالحال تضمنها ، والوقت يجـرى عليها ، والأمـاكن محلها ومنها لهـا تجاور آلافها بأعراضها وعلى غير التداخل منها بها .

فاذا ارتفع التأليف عنها ثبت الجزء الذى لا يتجزأ منها ، وسقط العدد منه والعرضان المتضادان عنه ، لأنهما يتنافيان الكون فيه بشـغل أحدهما ، ولا فضل فيه عنه ، ولا يقوم فى وهم ولا عقل أن يكون المدخول فيه داخلا فى الداخل فيه ، فدلالة الجزاء احتماله أن يراد اليه مثله الى أن ينجسم بحدوث الأقدار الثلاثة له ، والله عالم بعدد أجزاء الخلق كلها، وقادر على تفريق ما جمع منها حتى لا يبقى اجتماع فيها ، وكذلك جميع متفرقها وفى ذلك اثبات الجزء الذى لا يتجزأ منها ، وصحة النهاية فيها ، ومن كل طرف منها ، وما يلاقى الأجســام من نواحيهـا وجهاتها من أية سبب ابتدأت عددا منها ، والى أيه سبب انتهت به أمدا اليهـا ، وأية أقمت فى وهمك مقام محدود ، وأيه صورت فى جلدك يصور بهبة عيانك له شـــاهدا منهـــا .

وأيضا ففيما يظهر للعيان من تناهى الجسم من وجوهه الستة الى الجهات المتناهية اليها من الهوى ، أعدادها ما يصح به عـدد أجزائه ،

لاستحالة احاطة الهوى بما لا نهاية له فيه ، لأن مالانهاية له لا يتوهم له نهاية من جهة ، فحكم ما أدركنا من نهاية الخلق ، الملاقية لنا حكم ما غاب فى النهاية والتحرية ، وان العدد يبدأ به من حد النهاية فيه من واحد الى ما بعده من الأجزاء ، ولما كان للعدد أول يبتدأ ، كان له آخر اليه ، ينتهى ، فالمحدث بارز الصفحة ، مكشوف القناع من كل جهة ، والحمد لله على ما وفق له •

وبعد هذا بيان فى آياته علم الصدق لرسل الله ، من لطائف السحر ، ودقائق المكر ومنتهى الخديعة ، ومبلغ الحيلة أن توليدات العيان المتفقة ، متفقة ما انقسم منها ، وفصل عنها قائم بها ، وان كانت النفوس مختلفة المدروكات فى دواركها ، فان ذلك بالمعانى القائمة فى غرائزها ، وعلى بيان جوهرها ، وهذا كاف عما يعارض به فى مثلها بشهادة العيان على ذلك فى ظواهرها ، وادراك مشاعرها •

فلو كان فى قوى الحيوانية وقدرها اذا بلغت غاية الكمال فيها ، أنشأ عينا من أحد الأعيان كلها بها لكان ذلك جائزا فى مقدار ما معها ، حتى ينسى جزءا من الأعيان بمقدارها ، ولجاز أن يتوهم بمقدار قوى توهمها كيفية انشاء شىء منها ، ولساغ الشك لها اذا أوردته على نفسها فى القدرة عليه والحيلة فيه ، حتى تحدث أنفسها بوجود السبيل اليه ، والرواية فى محاولتها بحق ما يكون فيها فيما قد سبق بعضها بعضا اليه من ضروب الصنع التى فى غرائزها •

ومن حسن ما يخرج بقدرها ، فلما استحال ذلك فيما قدمنا من طبائع الحيوانية ، صح بذلك علم الرسالة ، وبرهان النبوة ، والله منفرد بإعطاء هذا العلم ، ولا يجوز أن يعطيه الا صادقا فيما يدعو به اليه ،

لأن اعطاءه من يكذب به عليه فساد فى الحكمة ، ودعا فى المعصية له ، والله متعال عن هذه الصفة ، وعن كل صفة خسيسة وهو العزيز الحكيم •

وبعد : فان مشاهدى أعلام الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم مع صحة فطرتهم ، ومناصحتهم لأنفسهم فى استيضاح برهانها ، واستدارة دلائلها ، ما لم يمتنعوا من تصديقها واعتقادها ، والشهادة لها، وأما من لم يشاهدها ، فان الخبر يقوم لها عنها مقام مشاهدتها فى الاستدلال بها ، والعلم بالخبر الصادق ضربان اكتسابا له واضطرارا اليه ، والاضطرار منه الى صدقه ، ما اذا أورد السامع له الشك فيه على قلبه لم يردله ، ولا يسوغ فى عقله عنده نحو أخبار المدن عندنا ، وتقدم الدنيا لنا ، وكونها قبلنا •

ومن ذلك علمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما جاء الجميع مخبرين به ، ناقلين له كالقرآن ونحوه ، لأن ذلك فى العلم يقوم كالمشاهدة له ، فلما صح علم المشاهدة له اضطرارا كان ذلك مثله ، وليس جحد التسمية بعلم الأخبار ، بمزيل الاضطرار الى علم بها ، كما لم يكن ذلك فى المشاهدات بجحد السوء قسطانية لها •

وأما الاكتساب فما نقله البعض الذى لا يجوز تواطؤهم عليه ، ثم لم يقع تصديق الجميع لهم فيه ، ورضاؤهم جميعا به ، فهذا اكتساب بعسلم صدقه •

وانه لما أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا له ، وداعيا اليه أبانه بالآيات النيرة والأعلام الظاهرة ، والدلائل البينة القاهرة •

فلما اتصلت دعوته ، وقامت حجته ، وظهرت أعلامه وحكمته ، قطع الله عذر من شاهده ، أو غاب عنه فى أنه الصادق فى دعوته ، وان حقا ما جاءهم عن الله به •

ومن غير الكتاب :

عن بشير بن محمد بن محبوب : واذا خطر ببالك خاطر فى الله عز وجل ، وكان الخاطر أن الله عز وجل يشسبه شسيئا ، أو يشبهه شىء ، فانف ذلك عن الله عز وجل ، فانه يقول : (ليس كمثله شىء) •

وكذلك ان دعاك الخاطر الى أن الله عز وجل فى معزل ، أو قال : كيف هو ، أو مثل ما هو ، أو هو نور من الأنوار ، أو ذو طول أو عرض ، أو هو مؤلف ، أو جسم أو مماس الأشياء ، أو مباين لها ، أو فى معزل فانف ذلك كله عن الله ، فان هذه الأشسياء التى ذكرناها ونسسبناها ، وبيناها لك فى كتابنا هذا لا يجوز شىء منها على الله تعالى ، ومن كان فيه خصسلة من هذه الخصال ، فهو محسدث ، والله قديم لسم يزل ، فاجعل هذا أصلا تبنى عليه فيما خطر ببالك من هذا الضرب •

وكذلك اذا خطر ببالك أن الله يظلم ، أو يجور ، أو يفعل الظسلم والجور ، أو يأخذ أحدا بفعل أحد أو يعذب الوالد فى الدنيا بفعل الولد ، او يعذب الولد بفعل الوالد ، فانف ذلك عن الله عز وجل •

قال غسيره :

لعله أراد ويعذب والدا بفعل ولد ، وولدا بفعل والد ، ويعذب من لم تكن منه معصية فى الدنيا ، فانف ذلك عن الله عز وجل ، فان هسذه الأشياء التى ذكرناها لك لا يجوز منها شىء على الله ، لأن فاعل هسذه الأشياء لا يستحق أن يوصف بالحكمة والرحمة ، والله عز وجسل حليم رحسيم حكيم ، وان دعساك الخاطر أن اللسه عز وجسل ثناؤه يقسول الكذب ، ويخلف الميعاد ، أو يخبر بخبر لا يكون المخبر عنه ، كما أخبر ، فانف ذلك عن الله ، فانه لا يجوز عليه شىء ، لأن من كان منه هذا الفعل كان سفيها كاذبا غير عالم بالغيب •

* مســالة :

وبلغنا عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ان نجدة بن عامر ، ويوجد نجدة الحرورى اضافة الى أرض بالكوفة أتى الى ابن عباس فقــال : يا ابن عباس كيف معرفتك بربك ، فان من قبلنا قد اختلفوا علينا ؟

فقال ابن عباس : ويحك يا نجدة ان من نصب دينه على القياس ، لا يزال فى التباس ، مائلا عن المنهاج ، طاغيا فى الاعوجاج ، ضــالا عن السبيل ، قائلا غــير الجميــل ، أعــرف ربى بمــا عــرف به نفسه من غير رؤية ، وأصــفه بما وصف به نفســه من غير صــورة ، ولا يدرك ربنا بالحواس ، ولا يقاس بالنــاس ، ربنا معروف بغــير تشــبيه ، متدان فى بعده بلا نظير له ، لا يتوهم فى ربوبيته ، ولا يمثل بخليقته ، ولا يجور فى قضيته ، فالخلق الى ما علم الله منهم منقادون .

وعلى ما سطر فى المكتون ماضون ، لا يعلمون خلاف ما منهم علم ولا غيره يريدون ، فهم لا محالة الى ما علم منهم صائرون ، وهو قريب غير ملتزق ، وبعيد غير منتقص ، يوحد ولا يبعض ، ويحقق ولا يمثل ، يعرف ربنا بالآيات ، وبوضح العلامات ، فلا اله غيره الكبير المتعال .

* مســالة :

قلت لأبى عبد الله : لو ســأل سائل هــل لله ذات يعرفها هــو ، ما الجــواب فى ذلك ؟

قال : نعم ذاته هو قدرته ومشيئته وغير ذلك مما لا يعرفه الا هو .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لارد على امام المسلمين وقاضيهم فى الدين ، محمد بن محجوب فى شىء ولكن لعل الكاتب غلط ، لأنه لو كان ذات البارىء قدرته ومشيئته ،

لكان لكل من قال : ياقدرة ، أو يا مشيئة اغفر لى مصيبا ، فلما لم يكن مصيبا دل انما القدرة والمشيئة من صفاته لذاته كالعلم والارادة •

والدليل على ذلك أنه يقال : لم يزل قديرا ، ولم يزل عالما ، ولم يزل مريدا ، فكل ذلك من صفات الذات ، لأن البارىء تعالى هو قدرة ومشيئة لكن المراد بذات البارىء اثباته • رجع •

❋ مسـألة :

ويقال : له ذات غير محدودة ولا موصوفة •

قال غيرهما : ولا موصوفة يعنى بالتحديد والكيفية • رجع •

كما قال تعالى : (تعلم ما فى نفسي ولا أعلم ما فى نفسك) ولا تجد النفس ، ولا يوصف تبارك وتعالى •

قلت : فان قال قائل : هل يعلم كم من تارة تنضج جلود أهل النار ، وكم من مرة يتبدلون بها جلودا ؟

فيقال لهذا السائل : نعم لن الله عالم بذلك كله من قبل أن يخلقهم، أهل الجنة وأهل النار ، سبحان الله العلى العظيم •

❋ مسـألة :

قال أبو عبد الله محمد بن محبوب : إن الله خلق الأشياء وأضدادها، فهو خالق الصلاح والفساد ، والهدى والضلال ، والنور والظلام ، والكفر والايمان ، والعدل والجوز ، هى من العباد أفعـال والله خالقها ، والله لا يوصف بالفساد ، تعالى عن ذلك ربنا •

لا يقال : ان الله أفسد ، بل كل أفعاله صلاح •

ولا يقال له اذ خلق الفساد : أنه أفسد ، بل يقال : انه خلقه فجميع ما خلق الله صلاح منه لا فساد ، وعدل منه لا جور ، سبحانه وتعالى عما لا يشهد ويقع عليه من الأسماء والصفات علوا كبيرا ، له الأسماء الحسنى الظاهرة بمنه ، لا جـــور •

ولا يقال : جار ، ويقال : أغفل وطبع ، وأضل كما قال فى كتابه ، ولا يقع عليه اسم الفساد ، ولا يجوز على الله الأسماء ولا الصـــفات القبيحـــة القـــذرة •

ولا يقال : ان الله أربا الربا ، ولا أزنى ولا أسرق ، ولا أقـــذر ، وهو خالق الزنى والربا والقذر والسرق ، وسبحانه وتعالى عما لا يشبهه، ولا يقع عليه من الأسماء والصفات علوا كبيرا ، له الأسماء الحســـنى ، وله الصفات الطاهرة ، والآلاء الظاهرة بمنه •

قال في المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

الذى عرفت أنه يقال تعالى عما لا يليق بصـــفته الا أنه لا يقال : تعالى الله عما لا يشبهه ، لأنه تعالى لا شبيه له ، ولا نظـــير له ، و : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) • رجع •

❋ مســـألة :

فى أصول الدين الخمس :

ان سأل سائل فقال : أخبرونا عن أصول الدين ما هى ؟

قيل له : هى التوحيد والوعد والوعيد •

قال في المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لم أجد الخامسة ، وهى المنزلة بين المنزلتين ، وهى فى الاختلاف فى كيفية انزال الفساق • رجع •

فان قال : وما التوحيد عندك ؟

قيل له : هو القول أن الله واحد (ليس كمثله شيء) ، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وأنه ليس بجسم ، ولا بجوهر ، ولا يوصف بالاجتماع والافتراق ، والحركة والسكون ، ولا يحل في شيء ، ولا تحويه الأقطار ، ولا يتصور في الأوهام ، ولا يخطر بالبال .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لا يصح قوله : ولا يخطر ببال ، يعني البارىء أنه لا يخطر بالبال ، ولكن لعله أراد في كتابه ، ولا يتصور في الأوهام ، ولا يخطر بالبال ، مما يتصور في البال ، فهو بخلاف ذلك مما يخطر بباله ، مما يمثل به الى كيفية الرب تعالى فهذا . رجع .

وأنه يعرف بأفعاله دلائله ، وما فينا من الضعف والحاجة .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لعل الكاتب أراد : وأنه يعرف بأفعاله ودلائله التي نصبها لخلقه ، ليستدلوا بها عليه فهذا . رجع .

ولا يعلم بحس ولا اشارة ، فهذه صفة التوحيد .

فان قال : وما العدل ؟

قيل له : هو القول بأن الله عدل كريم ، رءوف رحيم ، لا يظلم العباد ، ولا يجوز عليهم ، وأنه أرحم بهم من أنفسهم وآبائهم ، وأمهاتهم ، لا يأتي الخير الا هو ، ولا يصرف الشر سواه ، فهذا القول العدل .

قالَ غـــيرهما :

لعله فهذا القول بالعدل •

فان قال : وما الوعد والوعيد ؟

قيل له : هو القول بأن الله صادق فى خبره ، لا خلف فى خبره بنعمته، فهو بنعمه لا محـالة أصـدق الصادقين — نسخة — القائلين ، وأحكم الحاكمين •

وكذلك المنزلة بين المنزلتين فساق أهل الصلاة عندنا ، لسنا نقول : انهم مشركون ، ولا نقول انهم مؤمنون وهـم فى منزلة بين المنزلتين ، فهذا القول هو المنزلة بين المنزلتين •

فان قال : فما أول ما أنعم الله عليك ؟

قيل له : خلقه اياى حيا •

فان قال : فما أول ما افترضه الله عليك ؟

قيل له : المعرفة •

فان قال : فما المعرفة ؟

قيل له : هو القول بأن الله واحد (ليس كمثله شيء) •

فان قال : فَبِمَ عرفتـه ؟

قيل له : بنفسى وما أشاهده ، لأنى وجدت نفسى محدودا مؤلفا ، ما آكل به غير ما أشم به ، وما أشم به غير ما أسمع به •

فقلت :ان لى خالقا ليس كمثله شيء •

فان قال : فما الدليل على أن خالقك لا يشبهك ؟

قيل له : لو أشبهني لجرى عليه ما جرى عليّ من الضعف والحاجة ولم يكن هو بالقدم أولى مني ، ولا أنا بالحدث أولى منه ، فعلمت أنه لا يشبهني عـــز وجـــل •

فان قال : فما الدليل على أن خالقك واحد ليس باثنين ؟

قيل له : لو كانا اثنين لكانا لا يخلو كل واحد منهما أن يكون يقدر على منع صاحبه عن مراده ، أو لا يقدر ، فان كان يقدر فصاحبه عاجز ، وان كان لا يقدر فهو عاجز أيضا ، فقد لحقهما العجز جميعا من هـذا البـــــاب •

وأيضا فلو كانا اثنين لكان لا يخلو كل واحد منهما أن يستسر سرا دون صاحبه ، ويقدر على ذلك أولا يقدر ، فان كان يقدر وصاحبه عاجز وان كان لا يقدر أن يستسر سرا دون صاحبه فهو عاجز أيضا •

فعلمنا أن خالق الأشياء عز وجل واحد ، ليس باثنين ، عـز وجله وتعالى عما يقول الملحدون علوا كبيرا •

ومن قصيدة لأبي المؤثر شعرا :

هم وصـــفوا ربي بغـــير صـــفاته
وذا غضـــب يحمي ويضـــحي ويعرق

قال المغيرة بن سعيد : ومن قال بقوله : ان الله كـان ولا شيء معه الا ما سبق في علمه أنه سيعملون ، اما بهذا القول فقد صدقوا ، ولكن هدموا صوابهم بأفحش القول ، يسوّد الله وجوههم يوم القيامة •

زعموا أن الله ذكر أعمـال أهل النـار الذي سبق في علمه أنهـم سيعملون ، فغضب ، ثم حمى ، ثم عرقَ ، فسالَ من عرقه بزعمهم بحران

أحدهما مالح مظلم ، والآخر عذب نير ، فاطلع على النير فرأى فيه مثالا ظلا ، فقال : لا ينبغى أن يكون معى ند" فعدا عليه فانتزع عينيه .

وقالوا من ذلك قولا تقشعر منه الجلود ، فلعنهم الله فيما قالوا ، ان الله تبارك وتعالى يقول : (ليس كمثله شيء) فاذا وصفوه بمثل هذه الصفة ، فقد جعلوا له ندا ، سبحانه واذا وصفوه أنه خرج منه بحران عرقان فقد وصفوه بالاختلاف ، ولو كانت هذه الصفة لمخلوق لكانت قبيحا من الصفة ، فكيف الخالق سبحانه وتعالى عما يصفون .

※ مسألة :

ان سأل سائل عن الخالق ما هو ؟

قيل له : قد أنزل الله جواب مسألتك ، وكفانا بمؤنتها ، وهو الذى قال ابراهيم عليه السلام : (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) وهو الذى قال موسى عليه السلام حين قال له فرعون : (وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين) .

وقال أيضا : (رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) وهو الذى قال فيه الفتية : (اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذن شططا) .

قال غيره :

حسن هذا وهو أنك اذا سئلت عن ربك ما هو فقل : هو الذى خلق السموات والأرض ، وهو رب المشرق والمغرب ، وما أشبه هذا ، لأن الله لا يشبه شيئا من الأشياء فيوصف به ، ولا يحيط به علم .

❋ مسـألة :

حدثني عمن سمع عبيدة بن بلال الأعمى أنه كان جالسـا في حلقـة الحسن البصري ، ويزيد الرقاشي مستقبله والناس حولهما من بين قائم وقاعد ، أوفر ما كانت تلك الحلقة يومئذ فيما رأينا ، وكـان الحسن اذا حدثهم ، فانما هو مقبل على الرقاشي ، وكذلك كان يفعل الرقاشي بالحسن •

قال : بينما نحن كذلك اذا طرأ علينا رجل فيه مشابه من الأعراب في جفاء مسائله ، فأقبل على الحسن فقال : يا أبا سـعيد حدثني عن الرب تبارك وتعالى ، أجالس هو على عرشه ؟ فغضب الحسن وتغير لونه حتى عرف الغضب على جبينه ، فما زالوا يشجعون السائل محبة منهم للجـــواب •

فلما رأى ذلك منهم الرقاشي قال : يا أبا سعيد ، لقد علمت أنا لقينا صدر هذه الأمة ، لقد كان بغيضا الى أحدهـم أن يأتيهـم المسترسـل المتفحص عن الله تبارك وتعالى ، فيعطف عليه ، ان كان عندك علم فهاته والا فليتن له البشر والقول ، فان أفضل العلمـاء ألطفهم وأقربهـم ، كذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسـلم : (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) فأمر بالقرب واللين ، فلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسـوة الحســنة •

ثم نكس الحسن رأسه فعرف الاسـاءة على نفسـه فأقبل بعض الجلساء على السائل بالايماء على الرقاشي أن اسأله •

فقال السائل للرقاشي : فاياك فاسأل يرحمك الله يا أبا الفضل عن الله تبارك وتعالى أجالس هو على عرشه ؟

فقال : يالكم انما يجلس من يمل القيام •

قال : قائم هو على عرشـــــه ؟

فقال : ثكلتك أمك انما يقوم من مل ّ الجلوس •

قال : أمتكيء هو على عرشه ؟

قال : انما يتكيء من يمل القيام والجلوس •

قال : أفمتصل هو بعرشه ؟

قال : سبحان الله ، تبا لكم انما يتصـــل المخلوق بالمخلوق ، ويمس المخلوق المخلوق ، وينال المخلوق المخلوق ، فأما الرب الذى لا مثل له ، فلا يتصل بشيء ، ولا يمسه شيء ، ولا يناله شيء ، وهو أعز وأمنع وأقدر أن ينزل بحالف الاتصـــــال •

قال : أفمنقص هو من العرش •

قال : ويحك انما ينقص الشيء من الشيء بحد والله دائم بلا حد ولا غـــــاية •

قال : سبحان الله ، لا قائم ولا قاعد ، ولا متـــكيء ولا متصـــل ، ولا منقص فكيف هـــــو ؟

قال : ثكلتك أمك لا كيف ويحك ، وهل تدرى ما الكيف ؟

قال : لا •

فقال : انما يقال الكيف للشيء الغائب اذا استوصف فيوجد له فى الحاضر مثلا ، فيقول الواصف هكذا ومثل كذا ، وأما الرب فلا مثل له فيما غاب ، ولا فيما بقى ، ولا يقال له كيف ، ولا يطلب بالكيف ولا اليه

سبيل بالكيف ، انما يراد بالكيف الشبيه والعديل ، والله ليس كمثله شيء، ولا كمثله فصل ٠

قال : فما قوله : (الرحمن على العرش استوى) ؟

قال : فانما ضللتم من قبل العربية ، لأن الاستواء في كلام العرب الاستعلاء ، أي الاستعلاء على خلقه فوقا وتطولا عليهم ، فليس مخلوق يدركه أن كيف هو ، هيهات هيهات ، ثم هيهات من أن ينال ذلك جعل على أبصار القلوب عن ذلك الغطاء ، فلا وهم يناله ولا قلب ينعته ، ولا يخطر على بال ، الا كما وصف نفسه أحدا صمدا لم يلد ولم يولد فردا أبدا ، دائما ، (ليس كمثله شيء وهو اللطيف الخبير) من أن يدرك الا بآياته الواضحات الدليلات عليه ٠

قال : فما العرش ؟

قال : الآن حين سألتني عن الخلق أن العرش خلق من خلق الله فوق السماء السابعة بلاء واختيارا ، يختبر به ملائكته ، فجعله الله موضع التسبيح والتحميد والثناء والمدح والشكر والبهاء والسناء ، وعبادة الخلق فأمر الملائكة بحمله ، والحفوف حوله ، فمهما عظموا من أمر العرش ، فالله يعظمون لا غيره بحمله ، والحفوف حوله والله وله المثل الأعلى لا يحتاج الى العرش للاستقرار ٠

وان كان سمي عرش الله نظير ذلك عندكم في الأرض بيت الله الحرام ، موضع الحج فيه ، كلف الله أهل الأرض أن يطوفوا بالبيت طوفا وتمسحا وتقبيلا للحجر ، وتولية الوجوه شطره ، فمهما عظموا أمر البيت ، فالله يعظمون لا غيره ، والله لا يحتاج الى ذلك البيت فيسكنه ، وان كان يسمى بيتا لله ٠

ولو كان الله كما ذهب اليه وهمك لكان محمولا ممسوكا محتاجا ،

وذلك بأن الممسك يحتاج الدهر كله الى ممسك ولا حاجـة بالممسك الى الممسك نظير ذلك قول الله تعالى : (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) .

ان الله الممسك للسموات والأرض بما فيهـا من الخلق ، عرشـا أو كرسيا أو بيتـا .

فقال الأعرابي : شفيتني وفرجت عني غمي فرج الله عنك غمك .

* مسـألة :

عن أبي اسحاق : أن علي بن أبي طالب خرج الى السـوق ، فاذا رجل يقول : والذي احتجب سبع سموات .

فقال علي : يا لحام ومن المحتجب بالسبع سموات ؟

فقال اللحام : رب العالمين .

فقال علي : أخطأت ثكلتك أمك ، ان رب العالمين ليس بينـه وبين خلقه حجاب ، لأنه معهم أينما كانوا .

فقال : يا أمير المؤمنين ، فما كفارة ما قلت ؟

فقال له علي : كفارته أن تعلم أنه معك أينما كنت .

* مسـألة :

فالدليل على معرفة الله وتوحيده ، ونفي الشبيه عنه ، وعـلى أنه لا يسع جهل معرفة ، وتوحيده ، ونفي التشبيه عنه قول الله تعـالى : (وما أرسلنا من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقوله:

(أفي الله شك فاطر السموات والأرض) وقوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصـــير) وقوله : (فآمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى أنزل على رســــــوله) •

فلا يسع أحدا من المحجوجين انكار الله ، ولا الشك فيه وأشــباه ذلـــــك •

* مســـألة :

من منثورة من كتاب المسلمين ، وأسماء الله وصفاته عز وجل من ذاته ، فالصفات الذاتية قديمة ولا يجوز أن يقال : هى غيره ، ولا هى هو ، ولا هو غيرها ، ولا يتبعض منه لم يزل موصوفا بها •

وأما الصفات الفعلية فهى غيره ، وهى محدثة ، لأن اللفظ محـــدث وهو غير الله ، والموصوف قديم لم يزل ، والمعنى بالصفة هو الموصوف ، ولم يزل وهو الله وصفاته على ما ذكرنا من الذاتية والفعلية ، والاسم المقصود ، والمراد هو الله سبحانه الذى لم يزل موصوفا بصـــفات ذاته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، والله أعلم •

* مســـألة :

لأبى عبد الله يوسف بن محمد بن شهر ، وأبى عيسى بن اسحاق ، ومن قبلهما من الاخوان من أخيهم أزهـــر بن محمـــد ومن كتب من أهل عمــــــان :

سلام عليكم ، فانا نحمد الله اليكم الذى لا اله الا هو الملك العلى ، الماجد الملى ، القديم الأزلى ، العزيز المقيت ، الجبار الذى يحيى ويميت، ويفعل ما يريد ، وباقى بلا تأميــد ، وتعـــالى عن التضــديد والتنــديد والتجســـيد والتحـــديد ، والحيثوثية والكينونية ، والأينونية ، الواحد

المتعالى ، لم يزل ولا يزال الى غير غاية ولا نهاية ، ولا بمحدود ف الأفكار ، ولا المحجوب بالأستار ، ولا مرأى بالأبصار •

سبحانه من عظيم ، جل عن تقدير أوهام المتوهمين ، ولطيف لطف عن لطيف بحث المتوسمين ، ابتدع الأشياء بلا مشير ، وكونها بلا تفكير ، وقدرها على غير مثال أحسن تقدير ، لم يستعن على شيء بأعوان ، وانما قال له : (كن فيكون) •

* مسألة :

قال : أبو سعيد : معى أنه يجوز أن يقال : لم يزل الله قديرا •

قال أبو سعيد : يقال : صفات الذات ، وصفات الفعل ، وأسماء الذات ، وأسماء الفعال ، فصفات الذات ما لم تزل ، وصفات الفعل ما تحدث ، وأسماء الذات ما لم تزل ، وأسماء الفعال ما تحدث ؟ وسألته عن أسماء الله ، مثل : رحيم وسميع وعليم أهى من أسماء الذات أم الفعل ؟

قال : معى انها هى أسماء الذات •

* مسألة :

من الزيادة المضافة من كتاب الأشياخ :

ولا يوصف الله بأنه يشعر ، وذلك من الحدث بعد الجهل ، وكذلك لا يقال انه تعالى يفهم ولا يعقل ، ولا يدرى ، وقال : ان الدراية هى العلم •

قال المضيف :

وقد وجدت جواز ذلك ف بعض الآثار ، قال الشاعر :

* لا هم" لا أدرى وأنت الدارى *

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

يعنى فى شعره لا أعلم وأنت العالم ، وهـذا موجود جـوازه فى الضياء وغيره من آثار المسلمين .

* **مسـألة :**

وأما العقل فهو الذى يعقل الأشياء ، كما يقال : عقلت الناقة ، والذى لم يره سليمان بن عثمان ، وأما محمد بن محبوب ، وموسى بن على ، وعامة الفقهاء فرأوا ذلك جائزاً .

قال المضيف :

لعله أراد جواز اطـلاق صفة الدراية ، وأما العقـل فلا أحسبها تجـوز فى قولهم .

* **مسـألة :**

قال عمر بن سعيد بن محرز : ان أبا عبد الله محمد بن محبـوب أملى عليه هذا الكلام بنفسه ، قال : لا يقال : ان أسـماء الله محدثة ، ولكنها لم تزل له ، ولا يقال : انها هى هو ولا غيره ، ولا شىء منه لأنه غير محـدود ولا متبعض ، تبارك وتعالى لم يزل متكلما .

وحفظ ملهى بن يحيى عن محمد بن محبوب أنه قال : ان الله تعالى لم يزل متكلما .

وحفظ يعقوب بن اسحاق ، عن محمد بن محبوب ، وقد سأله ملهى ابن يحيى فقال : من جحد صفات الله فهو كمن جحد اللـه ، فقال أبو عبد الله : نعم .

* مسـألة :

وقال أبو عبد الله : ان أسماء اللـه وصفاته من ذاته ، ولا يقـال هى هو ، ولا هو غيرها ، ولا يتبعض منها ولا تتبعض عنه ، ولا يوصف بغير ما وصف به نفسه .

* مسـألة :

وعنه : يا من هـو فى كل مـكان ، ثم قال : ليس المعنى فى هـذا بصورة ، ولا بجسم ، ولكن بعلمه فى كل مكان .

* مسـألة :

عن الربيع بن يزيد ، عن بعض أشياخه ، قال من قال : ان الله فى السماء فجائز ولكن لا يقول ليس هو فى الأرض ، لأن الله تعالى يقـول : (وهو معكم أينما كنتم) وقال : (وهـو الله فى السموات والأرض) وقال : (وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله) .

* مسـألة :

قال أبو عبد الله : لا يقال : كان الله ولا شىء ، ولكن يقـال : لم يزل الله ولا شىء .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

حسن ما قال ، الا أنه موجود فى الآثار جواز ذلك . رجع .

* مسـألة :

وسئل أبو زياد : هل يعلم الله نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار ؟

فقال : نعم يعلم الله ذلك الى غير غاية ولا نهاية سبحانه .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف :

وجدت : قال : نعم يعلم الله ذلك الى غير غاية ولا نهاية سبحانه .

*** مسـألة :**

وسألته هل يعلم الله كم من تارة تنضج جلود أهل النار ، وكـم من مرة يبدلون بها جلودا ؟

فيقال لهذا السائل : نعم أن الله عالم بذلك كله من قبل أن يخلقهم ، أهل الجنة وأهل النار سبحان الله العلى العظيم .

*** مسـألة :**

من كلام أبى عبد الله محمد بن محبوب : ان الله واحـد لم يزل ولا يزال ، الى غير غاية ولا نهـاية ، وأنه صـانع الأشـياء وفاطرها ومنشئها كما شاء ، فهو الاله ، والخلق به مألهون ، وليس له شريك فى صنعه ، ولا ضد له فى ملكه ، ولا شبه له ولا ند ولا صاحبة ولا ولـد ، وأنه محيط بالأشياء وناظر اليهـا ، ومطلع عليها ، لا تحيط به أقطارها ، ولا تدركه أبصارها فى الدنيا والآخـرة .

وليس هو الى شيء بأقرب منه الى شيء ، لا يستطيع بسـاطع الضياء على الاحاطة بالأشياء ، ولا يحجبه ظلم الدجى عن درك ما تحت الثرى ، يدرك الأصـوات وان كثرت بلا اصغاء منه اليهـا ، ولا استماع منه لهـا ، ويرى الأشـياء بلا لحظ منه لهـا ، والحاجة منه اليهـا ، سبحانه عن ذلك ، وعن أن يقع عليه التوهم ، وأن يدركـه التوسم ، نصفه كما وصف به نفسه فى كتابه ، لا نجاوز ذلك ولا نعـدوه بتحـديد ولا تبعيض ولا تقدير ولا تصوير .

وقد قال قائلون : ان الله تدركه الأبصـار فى الآخـرة ، وذلك

على الله ما هم فيه كاذبون ، والحجة عليهم ، ونفى ذلك عن الله قوية من المسلمين بحمد الله ، وذلك يقال لهم :

أخبرونا عن الله ، هل نفى عز وجل عن أن تدركه الأبصار فى الدنيا ، فلابد لهم من مجامعتنا على قول نعم ؟

فنقول : ان عزة الله وجلالته دائمة غير ذائلة فى الدنيا والآخرة ، وان زعمتم أن العزة تذهب عن الله فى الآخرة فهذا لا تجهله القلوب ، ومن قبل هذه الجهة فسد قولهم ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

ومن صفتنا لتوحيد الله أنه يفعل ما يشاء وما أراد ، فهو كائن ، وما لم يرد فغير كائن ، فمن وصف الله بصفة ، وتأول بصفته كتاب الله فأخطأ ، وذلك مثل قول من قال : هو واحد غير أن له يمينا ، وتأول قول الله : (والسموات مطويات بيمينه) فانا نقول : انهن مطويات بقدرته ولا نحد لله يمينا فيكون هنالك شبه •

وذلك قوله : (وما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) يقول قادر عليها يصرفها حيث شاء ، ولا يجوز أن نقول آخذ بناصيتها أن يصف فيقول : قابض عليها ، تعالى الله عن مماسة الأشياء •

فلما قال هذا علمنا أنه قد حد الله ووصفه أن له يداً محدودة وأشباهها من ذلك زعمهم أن الله تدركه الأبصار فى الآخرة ، واحتجوا بقول الله : (وجوه يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة) وليس ذلك بالنظر اليه ، انما تنظر ثوابه ورحمته ، وهم يقولون هذا ، فهم عندنا كفار لا كفر شرك ، والكفر عندنا كفران : كفر جحود ، وكفر نعمة ، فأما كفر الجحود ، فهو الكفر بالتنزيل ، وأما كفر النعمة ، فهو الخطأ فى التأويل مما نصبه الناس دينا وادعوا أنه الحق فى مخالفتهم ، فهم عندنا بذلك ضلال هالكون ، الا أن يتولوا ويرجعوا الى الحق •

* مسـألة :

وان سأل فقال : هل يجوز أن يوصف الله أنه لم يزل ساخطا عـلى النار ، ولم يزل راضيا على أهل الجنة ؟

فيقال : نعم على أنه هو المعاقب لأهل النار ، والمثيب لأهل الجنة .

قال المضيف :

لعله انما يجوز أن يقال لم يزل الله وهو الســاخط على أهل النار ، وهو الراضي عن أهل الجنة ، لأن الرضا والسخط محدثان ، وهما الجنة والنار ، والله أعلم . انقضى .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

ان صاحب المسألة لم يرد ما قاله المضيف فيما عنى به ، وانما أراد ما قد ذكر فى مسألته ، والذى قال المضيف مذهب الشـيخ أبى الحسن البسيوى ، ومن قال بقوله ، ولصاحب هذه المسألة مذهب يذهب اليـه فيه ، ومن قال بقـوله .

رجع الى تمام مسألة صاحب المسألة .

* مسـألة :

واعلموا أن القوم انما ذهبت أوهامهم الى حدث الرضـا والسخط ، وذلك مالا يوصف الله به ، لأنه يحدث له ما يوصف به ، فتفهمـوا معنى السخط من الخلق ، ومعنى الرضا ، وأعلمكم ذلك معرفة منكم باللــه ، اذ انفيتم عنه ما يجرى على الخلق ، وانما قول المسلمين ، لعله اللــه يسخط ، يعنون أنه عاقب ، ولا يعنون أنـه اغتاظ ، لأن الغيظ تغير فى القلب ، ورغبـه حـال .

فليس تجرى على الخلق معانى الله ، ولا يجرى على الله معـــانى الخلق ، وانما المعنى بأن الله ساخط على أهل النار ، يعنـــون أنه هـــو المعاقب لهم ، وأنه لم يزل الله راضيا عن أهـــل الجنة ، يعنـــون أنه المثيب لهم ، فتفهموا ما وصفنا •

* مســـألة :

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا أحدثكم بملك أذن الله لى أن أحدثكم ـــ نسخة ـــ أخبركم » وعنه فى الحديث : « ان قرنه تحت أيدى زوايا العرش ، وقدمـــاه فى الأرض الســـابعة ، والـــذى نفسى بيـــده لو سخرت الطير من أصل غقبه الى منتهى هامة رأســـه لخفقت الطـــير سبعمائة سنة من قبل أن تجـــاوزه وانه ليقـــول سبحانك يارب أينما كنت لا يعرف أين ربـــه » •

تفسير ذلك : أنه ليس لله منتهى ، ولا أينية ، والملك يعلم أن اللـــه معه ، وأنه فى كل مكان ، ولكن لا أينية له ولا كيف ، ولا يتضمنه مكان ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يتولج فى شىء ، ولا يخـــرج منه ، ولا يلتزق بشىء ، ولا ينقصى عنه ، ولا يتصل بشىء ، ولا يبين منه ، لأنه لو كان بائنا عنه ، أو منقصيا لكان محدودا ، ولو كان ملتزقا أو متصلا بخلقه ، لكان ممازجا لمـــا خلق ، والله عظيم متعـــال عن ذلك لم يزل قبـــل أن يخـــلق الأشـــياء •

ثم لا يزال بعد اذ خلقها كمـــا لم يزل قبـــل أن يخلقها ، لا يزوله ولا يتحول ، وهكذا ربنـــا لا اله الا هـــو عالم الغيب والشهادة الكبير المتعـــال •

* مســالة :

من الزيادة المضافة :

قلت : ومن سال فقال : علم الله محــدث أم أزلى ؟ ما الجــواب فى ذلك ؟

فمعى أنه من الجــواب فى ذلك أن علم الله ليس بمحــدث ، واذا ثبت أنه ليس بمحــدث ، فقد نفى عنه الحدوث ، وثبت له الأزل ، وثبت أن اللــه لم يزل عالما .

قلت : فان قال : فعلم اللــه هــو فعل من الله ، أو هــو اللــه ؟ ما الجــواب له ؟

فمعى أنه من الجواب أنه لا يقال : ان علم الله هــو الله ، وليس العلم هو الفعل ، لأن الفعــل معلوم فى العلم ، وليس هذا الجــواب يلزم أن يقال لابد اما أن يكون هو الله ، واما أن يكون فعــل اللــه ، لأنه قد يمكن غير ذلك كله ، فعلم الله هو علمه ، وفعله هو فعله ، وهــو هو فى ذاته ، تبــارك وتعالى .

لا يقال انه فعله ، ولأن علمه فعله ، وأن فعله علمه ، وهــذا شىء يصح كله بنفســـه .

قلت : فان قال : ثواب الله لأهل طاعته محدث أم أزلى ؟

فمعى أنه لا يقال انه أزلى ، ويلزمم معنى الحدوث ، لأنه المحدث ، ولا يكون لمحــدث الا محدث ، فثبوت معنى الثواب للمحدث ، لثبــوت حدوثة كذلك ثبوت معانى العقاب للمحدث معنى ثبوت حدوثه .

* مسألة :

من كتاب الرهائن :

قلت : أرأيت ان قال لى قائل : بم تعرف الله ؟

فقل : بما دلت به عليه الأنبياء من الآيات والعلامات ، وخلق السموات والأرض ، والليل والنهار ، والنجوم وما خلق الله من شيء ، وهذا دليل على أن لهذه الأشياء مدبرا ، ولا تشبهه الأشياء .

وكذلك قالت الأنبياء ، فقال نوح : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) .

وقال ابراهيم : (رب الذى يحيى ويميت) وقال : (ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) .

وقال الرسل الذين لا يعلمهم الا الله : (أفى الله شك فاطر السموات والأرض) .

وقال موسى : (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال لفرعون : (ربنا رب السموات والأرض) وقال : (رب العالمين) .

وقال أصحاب الكهف : (ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الهـا) .

وقال الله لنبيه : (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) وقال : (أولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وأمثال هذا كثير فى القرآن بما يطول وصفه فى الحجج ، وكله يدل على الله ، وعلى أن ليس كمثله شيء من هذه الأشياء ، وأن هذه الأشياء المربوبات لها خالق ومدبر ليس كمثله شيء .

تمت الاضافة ـــ رجـــع .

ومن الأثر : قال أبو المؤثـر رحمه اللـه : ان اللـه خلـق النبى صلى الله عليه وسلم يوم خلقه لنبوته ورسالته ، وقد علم أنه يستنبيه ويرسله قبل أن يخلقه ، والله لا يجهل ولا يوصف بالتعرس ـــ نسخة ـــ بالنعوس والتعطف ، سبحانه عن هذا

❋ مســألة :

ان سأل سائل فقال : ما الدليل على أن الله عالم ؟

قيل له : الدليل على ذلك : لأنى وجدت أفعاله هــذه كلها ، محكمة فعلمت أنـــه عالم .

فان قال : فلم قلت : ان من كانت أفعاله محكمة ، فهو عالم ؟

قيل له : لأن من لم يكن عالما كانت أفعاله مختلفة متفاوتة متناقضة ، ولما كانت أفعال الله تعالى كلها متفقة متسعة محكمة ، علمت أنه عالم .

فان قال : عالم بعلم ؟

قيل له : لا بــل هو عالم بنفسه .

قال أبو سعيد : الذى معى أنه أقرب من هذا الجــواب ، وأحسن أن يقال للسائل : هو عالم لا بعلم غيره ، لأن السائل لم يسأل عــالم بنفسه لمعنى الجواب اذا ثبت .

فان قال : لما أنكرت أن يكون عالما بعلم ، اذا لم يشهد بشاهد ، عالما الا بعـــلم ؟

قيل له : وكذلك لم نشاهد عالما الا وكان قبل ذلك غير عالم ، ثم علم ، فيجب أن لا يقضى بالشاهد على الغائب •

قال أبو سعيد : معى أنه لا يجوز أن يقال فى صفات الله : انه الغائب ، بل هو الشاهد ، كما سمى نفسه على غير المشاهدة كمشاهدة المشاهدين ، واذا ثبت أنه عالم بعلم غيره ثبت أنه جاهل قبل العلم الذى علمه •

وأما قوله : انا لا نحب أن يقضى بالشاهد على الغائب ، فالله أعلم بما أراده بذلك ، ومعنا أن معرفة الله تبارك وتعالى أنه عالم لا بعلم غيره ، يدخل فى علم الغائب عن مشاهدة بالمعقول ، بل هى معنا مما تقوم به الحجة من المعقول •

واذا ثبت فى المعقول لم يبن لنا أن نسميها غائبا الا على سبيل غيبة ذلك عن المشاهدة على سبيل مشاهدة الشىء للشىء •

فان قال : ما أنكرت أن يكون بقوله لا معنى له أنه لا يخلو من أن يكون عالما بنفسه ، أو يكون عالما بعلم ، فان يكن عالما بعلم فهو ما أقوله ، وان كان عالما بنفسه وجب أن يكون نفسه علما ، فلما استحال أن يكون نفسه علما ، وجب أن يكون عالما بعلم •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

ان هذا السؤال فيه غلط ، والذى عرفت أن هذا السؤال هو أن لفظه بأن قال : فان قال قائل : ما أنكرت من أن يكون ما يقوله كونه من أنه عالم بنفسه ، لا معنى له ، لأنه لا يخلو من أن يكون عالما بنفسه ، أو عالما بعلم •

فان كان عالما بعلم فهو ما يقوله ، وان كان عالما بنفسه وجب أن

يكون نفسه علما ، فلما استحال أن يكون نفسه علما ، وجب أن يكون عالما بعلم . رجع الى الكتاب .

الجـواب :

قيل له : أن العالم انما كان عالما لوجـود علمه ، وقولنـا عالمـا بنفسه اثبات للذات أنها عالمة ، فاذا قلنا بعلم لم يخـل أن يكون ذلك العلم الذى ذكرناه ، أن يكون غيره قديما أو محـدثا ، فان كان قديمـا وجب أن يكونا قديمين فى الأزل .

وان كان محدثا وجب أن يكون القديم كان غـير عالم ، ثم عـلم فلما فسـد هذان الوجهان صح الوجه الثالث أنه عالم بنفسـه .

قال أبو سعيد : هكذا عندى — انقضى .

* مسـألة :

من الزيادة المضافة :

وسألته : هل يجوز أن يقال فى صفة الله تعالى : انه يعتب عـلى خلقه اذا عصوه ؟

قال : الله أعلم ، ولا أعلم هذا من صفة الله ، ولا يحسن عنـدى ذلك . انقضى .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

الذى عرفت أنه لا يجـوز أن يقال للبـارىء تعالى : انه يعتب ، ولا يحرد ، كمـا قيل يغضب على خلقـه . رجع الى مسـألة المضيف فى اضافته .

قلت له : فمن شك فلم يعرف يجوز ولا يجوز ، ودان فى ذلك بدين أهل الاستقامة من المسلمين ، هل يسعه ذلك ؟

قال : لا يبين لى أن هذا من الدعائم التى تضيق الشك فيها ، اذا أبرأ الله تعالى من جميع صفات المخلوقين ما لم يشك أنه يرضى بمعصيته ، وألا يرضى أو يغضب اذا عصى ، أو لا يغضب على أهل معصيته ، فان هذا عندى أنه لا يسعه الشك فيه اذا خطر بباله ، أو سمع بذكره ، وعرف معناه والمراد به .

قلت له : والمعنى فى غضبه أنه هو عقوبته ؟

ويخرج معنى هذا خذلانه للعبد فى الدنيا عقوبة منه ، لعدل منه عليه لا يجوز منه عليه . رجع الى كتاب بيان الشرع .

❋ مسألة :

أبو المنذر بشير بن محمد بن محبوب : وسألت عن الولاية والبراءة أهما من صفات ، لعله أراد من صفات الفعل ، أو من صفات الذات بلا تنازع .

قال أبو سعيد : يخرج معى أنه لا تنازع بين أهل البصر أن صفات الذات ما لم يزل الموصوف بها ، وتأويلها ، وصفات الفعل وجوبها ، والفعل معا فى البراءة .

قال أبو سعيد : يخرج معى فى البراءة مضمنة مبرأ منه ، والولاية كذلك .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

وغير أبى سعيد الذى معى أنه أراد بشير بقوله فى المسألة فيما يعنى

فالبراءة مضمنة مبرأ منـه والولاية ، كذلك أن هـذا غلط من تناقل النسخ ، لا من بشـير ، ولا من أبى سعيد • رجع •

فلو كانت ولاية أو براءة لم يزل ، لكان فى اثبات القدر •

قال أبو سعيد : الذى معى أنه اثبات القديم لما لم يـزل ، ولكان أيضا مبرأ منه ومتولى ، كما قال فى اثبات معبـود ، ولم يزل اثبـاته عابد ، وكذلك فى مطيع ومطاع ، وخالق ومخلوق •

فان قال قائل : ان الله لم يزل بريئا من مبرأ منه لا ببراءة غيره ، كما أنه لم يزل يعلم •

قال غير المؤلف للكتاب :

معلوما لا بعلم غيره ، وقادر لـم يزل قادرا على مقـدور عليـه لا بقدرة غيره •

قيل له : ما أنكرت أن يكون لم يزل معاقبا لمعاقب لا بعقوبة غـيره ، ومثبتا لا بثواب غـيره •

فان قال قائل : العقوبة فعل ، ولا يكون الفعـل الا من بعـد أن لم يكن ، وكذلك البراءة فعل ، ولا يكون الا بعـد أن لم يكن ، وكذلك الولاية لا فرق فى ذلك •

قلت لأبى سعيد : ما تقول فيما قال فى هذا كله ؟

قال : معى أنه يخرج عندى قوله على معنى ما عنـدى أن بعض أصحابنا يقوله ، وأحسب أن بعضا يذهب أن هذا جائز ، لأن الله تعالى لم يزل فى قوله ، مسمى بأسمائه هذه التى سمى بها نفسه •

ولا يجوز أن يكون ذلك محدثا منه تبـارك وتعالى ، وهو العـزيز

الحكيم ، الغفور الرحيم ، الرازق الخالق ، قبل أن يخلق الخلق وقبل أن يرزق ، وقبل أن يغفر ، وقبل أن يرحم مرحوما فقالوا : ليس باحداثه الخلق استحق اسم الخالق ، وباحداثه البرية استحق اسم البارى ، ولكن لم يزل كذلك تبارك وتعالى •

وكذلك يخرج فى هذا أنه يجوز أن يكون لم يزل بريئا من أعدائه ، ومتبرئا من أعدائه ، ووليا لأوليائه ، ومتوليا لأوليائه الذين علمهم قبل أن يكونوا •

وبين قوله : لم يزل مواليا ومعاديا ، ووليا وعدوا •

وبين قوله : يوادى ، لعله أراد يوالى ويعادى ، فرق عندى ، لأن الذين قالوا انه يجوز أن يقال : لم يزل الله خالقا رازقا ، لم يجيزوا أن يقول : لم يزل الله تبارك وتعالى يخلق ويرزق ويبرأ •

ويجوز أن يقول : لم يزل بارئا ، لأن فى معنى قوله انه اذا كان لم يزل يخلق ، فلم يزل معه مخلوق ، وكذلك يرزق ، ويبرأ ، ويغفر ، ويرحم •

وأما قوله : يتولى ويبرأ فلا يخرج عندى على معنى قوله : يخلق ويرزق ، لأن معنى يبرأ ويتبرأ لا يخرج عندى الا على معنى واحد ، لأنه يبرأ ويتولى فى مكنون علمه لمن استحق ذلك قبل أن يكونوا ، ولا يحسن عندى أن يقال يغفر ويرحم الا لمغفور له ، ومرحوم معا ، وكذلك مرزوق ومخلوق •

ومعى أن بعض أصحابنا يذهب الى أنه كلما كان من صفات الله تبارك وتعالى ، لا يخرج الا لمعنى الفعل لم يجز أن يقال ، لم يزل كذلك ، وذهبوا الى أنه اذا لم يزل كذلك كان معه مفعول •

وقال هؤلاء : الذين أجازوا ذلك فى معنى قولهـم : ان الفاعـل أدله ، أو لعـله أراد لم يفعـل فهو فاعـل ، لأنه هو تبـارك وتعالى لا يحـدث ، فبينما عندى أنـه أراد لا يحـدث له الأسماء ، بل هـو سابق بأسمائه تبارك وتعالى كلها ، وانما لا يجوز فيه ٠

وعليه أن يقال : لم يزل يفعـل يخـرج من طريق الفعـل الذى لا يكون الا بفعل موجود معا ، وكما جاز أن يـكون يفعـل من وجـه أنه لم يزل يتولى ، ولم يزل بيرأ ، لأن الولاية والبراءة خارجتان عندنا على غير العقوبة والثواب ، لأن المؤمن ٠٠٠٠٠ (بياض)

ولا يضرب لله الأمثال ، تبارك وتعالى ، ويتولى أوليـاء الله تبارك وتعالى ، ويعادى أعداء الله ، ويقال ذلك ، ولا يجـوز أن يقال : ان المؤمن يعاقب أعداء الله ، ولا يعاقب عدو الله الا هو ، المعاقب له معا ، وكذلك لا يثبت ، فاسم يثبت ويعاقب ومعناهما غير ثبوت ويتولى عندى ٠

ومعنى آخر من قول أصحابنا أنه ما كان من الأسـماء التى تخرج عن أسماء الذات ، ولا يكون الا لمعنى الفعل ، فأحسب أنهم أجـازوا أن يقال فى مثل ذلك أنه لم يزل فاعـلا لمفعول سيكون على معنى قوله : الها لمألوه ، سيكون ، وربا لمربوب سيكون ، وخالقا لمخلوق سيكون ، ورازقا لمرزوق سيكون ٠

وأضيق الأشياء من هذه الأمور عندى ، أن يثبت أنه لم يزل يفعـل لشىء من أسماء الأفعال التى يثبت بها الفعل معه بمفعوله به معا ٠

فانظر فى ذلك وتدبره ، واحذر مهالكه ، ولا تأخذ منه الا ما وافق الحـق والصـواب فى جميع ذلك لعله ، فان كان فى شىء من الغـلط فيتدبره قارئه ان شاء الله ٠

* مسألة :

ومن أثر آخر : أن الولاية والبراءة ذاتية ، وقال بعض : صفاتية ، لعله أراد فعلية •

قال غير المؤلف والمضيف :

وأكثر القول أنها ذاتية ، لأن ولاية الله لعبده غير ولايـة العباد ، لأن الله تعالى عالم بجميع عباده وأعمالهم ، وعالم بأهل الجنـة وأهـل النار من قبل أن يخلقهم ، وعالم بمنقلبهم ومثواهم •

* مسألة :

في ضرب الأسماء ووجوهها ، من كتاب عن الأشعرية فيما وجب :

اعلموا وفقكم الله أن أسماء الله تعالى على ثلاثة أضرب :

أحدها : اسم هو المسمى ، وهو كلما يستحقه لنفسه نحو : القديم ، والذات ، والموجود •

والثاني : لا يقال له المسمى ولا غـيره ، وذلك كلما استحقه لمعنى لا يقال انه هو ولا غيره ، كقوله القديم سبحانه حي عالم قادر ، لأنـه يعود الى الحياة والعلم والقدرة ، وهذه صفات أزلية — نسخة ذاتية ، لا يقال انها غيره ، أو هو المعنى الذي ذكرناه من قبل •

قال غـيره :

لأن من قوله ان الله حي بحياة ، وقادر بقدرة ، وعالـم بعـلم ، ومريد بارادة ، وسميع بسمع ، وبصير ببصر ، ومتكلم بـكلام ، وباق ببقـاء •

قال المضيف :

أصحابنا لا يقولون بذلك ، والله أعلم • رجع •

والثالث : اسم هو غيره ، وذلك كلما استحقه لمعنى غيره ، كقولنا للقديم سبحانه : خالق ورازق ومنعم ، ونحو ذلك ، لا يعود الا الى الخلق والرزق والانعام ، وذلك حوادث •

ثم اعلموا أن أسماء الله لا توجد الا توقيفا ، والتوقيف انما يكون بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، فكلما سمى الله تعالى به نفسه فى كتابه ، أو سمى به رسول الله ، أو أجمع المسلمون عليه ، فيجوز أن يسمى الله تعالى به •

وما كان غير ذلك فلا يجوز أن يسمى به ، والدليل على ذلك هو أن أسماء الله تعالى لا تخلو اما أن توجد قياسا أو توقيفا ، وباطل ذلك أن يكون قياسا ، لأن القياس هو الجمع بين المتفقين ، والفرق بين المختلفين •

وقد وجدنا أسماء البارى سبحانه بخلاف ذلك ، وذلك أنا وجدنا ما اتفق معناه لا يجوز اطلاقه ، كنحو : عالم وعارف وفقيه ، وطبيب وموفق ، وهم واحد فى المعنى ، ثم يقال للبارى سبحانه : عالم ، ولايقال: عارف •

قال المضيف :

وقد قيل : بجواز صفته أنه عارف ، وأحسبه فى سيرة هلال بن عطية•

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

وقد وجدت ذكر جواز ذلك فى جامع أبى جابر محمد بن جعفر ، فرد ذلك أبو سعيد فقال : لم نعلم فيما وطئنا من آثار أصحابنا أن يوصف الله تبارك وتعالى ، بأنه لم يزل عارفا ، وانما يقال : لم يزل عالما •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

وجدت فى كتاب الضياء : وجائز أن يوصف الله أنه عارف ، لأن العارف بمعنى العالم ، والله أعلم • رجع •

ولا فقيه ولا طبيب ، ولا فهم وكذلك معنى قادر ومستطيع واحد ، ثم لا يقال له : مستطيع وأن يوصف بأنه قادر •

والقياس يوجب التسوية عند اتفاق المعنى ، فعلم بذلك أنه لا طريق للقياس فى الأسماء ، فاذا بطل هـذا ثبت أن طريقهـا التوقيف ، وبالله التوفيـــق •

ثم اعلموا أن التسميات الواردة فى الخبر تسعة وتسعون اسما •
روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : « ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » معناه من عرفها بشرائطها، والدليل على أن الاحصاء بمعنى العلم قوله : (وأحصى كل شىء عددا) أى عـلم عـدد كل شىء •

فهذا المعنى ظاهر عند أهل اللغة ، فاذا ثبت هذا ، فهذه الأسـماء المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام ، منها ثمانيـة وعشرون للذات وذلـك :

الله ، الملك ، القدوس ، السـلام ، المؤمن ، المهيمن ، العـزيز ، الجبار ، المتكبر ، العلى ، العظيم ، الكبير ، الجليل ، المجيـد ، الحق ، المبين ، الواحـد ، الماجـد ، الصـمد ، الأول ، الآخـر ، الظـاهر ، الباطن ، المتعال ، الغنى ، النور ، الوارث ، ذو الجلال •

فكل ذلك يدل على الذات والفعل من كل واحد صفة زائدة ، ويمكن حمل هذه العبارات على صفات الفعل ، لكن الظاهر أنها للذات •

ومنها خمسة للقدرة ، وذلك هو :

القهار ، القاهر ، والقوى ، القادر ، المقتدر .

ومنها خمسة للعلم ، وذلك هو :

العليم ، الخبير ، الحكيم ، الشهيد ، المحصى .

ومنها عشرة للارادة ، وذلك هو :

الرحمن ، الرحيم ، الودود ، العفو ، الرءوف ، الصبور ، الحليم ، الكريم ، البـر .

قال المضيف :

عرفت أن الله تعالى لا يوصف أنه صبور ، لأن ذلك انما يوصف من يناله الأذى .

ومنها واحد يرجع الى السمع ، وآخر يرجع الى البصر ، وآخر الى الحياة ، وآخر الى البقاء ، وآخر الى الكلام ، وذلك هو :

الشكور ، والسميع ، والبصير ، والحى ، والباقى .

فهذه كلها صفات الذات .

ومنها خمسة وأربعون للفعل ، وذلك هو :

الخالق ، البارىء ، المصور ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، القابض ، الباسط ، الخافض ، — نسخة — الحافظ ، الرافع ، المعز ، المذل ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الباعث ، الوكيل ، المبدى ، المعيد ، المحيى ، المميت ، القيوم ، الواحد ، المقدم ، المؤخر ، الولى ، التواب ، المنتقم ، المقسط ، الجامع ، المغنى ، المانع ، الضار . الضار لا يجوز .

قال غيره :

فى قول من قال : الضار لا يجوز نظر اذ أجاز المسلمون أن يوصف الله تعالى أنه ضار للكافرين بعقابه اياهم ، هكذا وجدت فى آثار المسلمين الصحيحة ، والله أعلم .

النافع ، الهادى ، البديع ، الرشيد ، مالك الملك .

ومعانى هذه الألفاظ مختلفة ، وأبين معنى كل واحد منها على الايجاز ان شاء الله عز وجل ، وانما رتب أصحابنا هذه الأسماء على ثلاثة أقسام ردا على أهل البدعة ، حيث ألزموا أهل الحق القول بتسعة وتسعين اسما قديما ، لأن ما يرجع الى الذات من العبارات فهى ذات واحد .

وما يرجع الى صفات الذات كالقدرة والعلم وغيرهما فهى صفات البارى سبحانه .

وما يرجع الى الفعل فذلك محدث ، فبطل الزامهم لا محالة ، وبالله التوفيق .

* مسألة :

قال أبو عبد الله : قال أهل العلم بالله : ان الحب من الله ، والرضا هو جنته وثوابه ، وغضبه وسخطه هو ناره وعقوبته ، وليس الحب منه ، والغضب منه بوصف ، كما يكون من المخلوقين ، لأن حب المخلوقين فرح ، وغضبهم حزن .

وقال : لم يعمل أحد من العباد عملا من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية الا وقد شاءها الله ليس مشيئته محبة .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لعل قوله فى مشيئة المعصية فكما قال ، وأما قوله فى مشيئة الطاعة فلا ، لأن الله تعالى قد شاء الطاعة مشيئة أمر وارادة ، ومحبة ورضا ، هكذا حفظت • رجــــع •

قال : وقال قومنا : يسمون أصحابنا المجبرة أنهـم يقولون : ان الله جبر العباد على المعصية ، وليس ذلك من قول أصحابنا ، أصحابنـا يقولون : ان الله خلق الطاعـة والمعصـية ، فأمـر بالطاعة ، ونهى عن المعصية ، وعلم من يعمل بالطاعة والمعصية ، فنفذ علم الله كما علم •

وقال : ان الله شاء من العباد المعاصى ، وكان منهم ما شاء •

قال غير المؤلف والمضيف :

هذه المشيئة التى عنى بها أبو عبد الله محمد بن محبـوب ، يعنى مشيئة علم • رجــــع •

وقال : لا يوصف الله بالفرح ، ولا بالسرور ، لأن الفـرح ضـد الحزن ، والسرور ضد الغم ، وهذا من صفة المخلوقين ، ولا يوصف الله بالحب ، ولا بالرضا والغضب •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لعل فى الكتابة غلطا ، لأن المسلمين قد وصفوا الله تعالى بجميـع ذلك ، وأن محبته عندهم هى جنته ، وكذلك رضاه وغضبه عندهم هـو عقوبته ، وكذلك سخطه • رجــع •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن العبد ليعمل بعمل أهـل الجنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا مقدار ذراع أو باع ، ثم يدركه العلم السابق فيعمل بعمل أهل النار فيموت على ذلك فيصير الى النار ،

وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبين النار الا مقدار ذراع أو باع ثم يدركه العلم السابق فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت على ذلك فيدخـــل الجنـــــة » •

* مســألة :

قال أبو سفيان : قدم أبرهة بن عطية ثم ابن عطية من الجزيرة الى البصرة ، فنزل بجوار الربيع ، فدخل عليه فسلم ، فقال : يا أبا عمرو رجل من اخوانك قال : فمن أى البلد أنت ؟ قال : من أهل الشام ، فلم يفتشه الربيع •

وكان يختلف اليه ويسأله عن الفقه ، ولا يحرك من أمر القـــدر ، فلبث بذلك زمانا ، حتى دخل على الربيع بعض المسلمين ، فقال له الربيع: سلم على أخينا هذا ، قال : فسلم عليه ، ثم قال : من أنت يا فتى ؟

قال : من أهـــل الشـــام •

قال : ما بالشام أحد من أهل هذه الدعوة ؟ فمن أى الشام أنت ؟

قال : من أهل الجزيرة •

قال : لعلك ابن عطية ؟

قال : نعم يا أبا عمرو ، وهذا ابن عطية الذى أهلك أهل حران هو وأبوه من قبله ، فلا يدخلن عليك ، ولا تنعمه عينا •

قال له الربيع : أسرعت على الرجل •

قال : فقال ابن عطية : يا أبا عمرو سـألتك عن أمر تنكره ، انمـا أريد أن أسأله عما يحتاج الناس اليه من الفقه الحلال والحرام •

قال : فخرج الرجل فأتى وائل والمعتمــر وعبد الملك وجماعــة من أصحابه ، فأعلمهم بحال الرجل •

قال : فمشوا الى الربيع مغضبين ، فدخلوا عليه فقــالوا : أنزلت ابن عطيــــة وقربتــــه ؟

فقال لهم : انه لا يجمل بمثلى أن رد من يأتينى ، مع أن الرجل لم يسألنى عن شيء أنكره ، ولم أكن علمت به •

قالوا : فلا يدخلن عليك ، ولا يفتيه بمســألة واحــدة ، قال : فلما غلبــــوه حمل نفســــه على رده •

قال أبو سفيان : فأتاه أبرهة كما كان يأتيه فلم يأذن لــه ، قال : فبكى وقال : ما كنت أظن الربيع فى فضله وورعه وحاله يرد مثلى ، وانما أسأله عما ينتفع به الناس فى أمر دينهم ، قال : فارتحل من الجزيرة ونزل داخــــل البصرة •

بـــاب
فى القدر وما أشبهه

قال المضيف :

سمعت أنه بزرجمهر .

قيل لبزرجمهر : مالك لا تناظر فى القدر ؟

قال : وما أصنع فى المناظرة ، وأرى ظاهرا استدل به على باطن .

فقيل له : وما هـــو ؟

قال : أرى أحمق مرزوقا وعاقلا محروما ، فعلمت أن التدبير ليس للعبـــــاد .

ومن غـــير الكتاب :

*** مســألة :**

وسألت عن القدر خيره وشره ، ما خير القدر ، وما شره الذى يلزم العباد أن يؤمنـــوا به ؟

فاعلم أن القدر هو الخلق ، تقول : قدر الله ، وخلق الله ، فهــذا هو القدر ، وخيره وشره كل خـــير وكــل شر ، يلزم العبـــاد أن يعلموا ويصدقوا ، ويؤمنوا أن الله خلق كل شر ، وكل خير ، والكفر من الشر ، والايمان من الخـــير .

وقد زعمت القدرية أن الله خلق كل شر وكل خير ، والكفر من الشر ، والايمان من الخير ، وقد زعمت القدرية أن الله تعالى لم يخلق الــكفر ولا الايمان ، ولا الطاعة ولا المعصية ، ولا خلق حركات شيء من الحيوان من الناس وغيرهم من الدواب والهوام والطير ، وكل حــركة كانت من متحرك ، وكذبوا فى ذلك على الله ، والله خالق كل شيء ، وخالق الكفر والايمان ، والطاعة والمعصية ، والحركات والسكون ، وكل شيء فهــذا هو الايمـــان بالقدر خيره وشره .

ومن غير الكتاب :

* مسـألة :

وجدت هذا فى بعض الكتب ، ثم بعد ذلك القول فى القدر خـيره وشره كائن من الله عز وجل ، مقدور جرى فى لوحه المحفوظ بعلمه ، وثم التقدير والمقادير ، فالتقدير ما أراد الله سبحانه كونه وفصله من اللوح المحفوظ والمقادير الأوقات التى تكون فيها المقدورات على المقدور عليهم فى الليل والنهار .

* مسـألة :

من منثور من كتب المسلمين رحمهم الله .

* مسـألة :

وعن معنى قولهم : القدر سر الله فى أرضه ما تفسير ذلك ؟

قال : فالله أعلم بهذا القول ، وفى تفسيره ، فان كان يذهب الى أن القدر هو خلق الله فى الأرض يقع على العباد ما قد علم منهم ، وهـم لا يعلمون ، فعسى يجوز ان احتمل ذلك ، وعلى غير ذلك ، فلا أدرى لأن الله عالم بما يكون ومالا يكون فى الأرض والسماء ، والقدر هو الخلق ولا يكون الخلق هم سر الله ، والله أعلم .

* مسـألة :

قال أبو سعيد : يروى عن النبى صلى الله عليه وسـلم أنه قال : « القدر سر الله فى الأرض فلا تتكلفوه » .

* مسـألة :

قال أبو عبد الله : قال أصحابنا من المسلمين — نسخة — قال أبو عبد الله : وقد ذكر له ذاكر فى قول القدرية أن أصـحابنا من المسـلمين يقولون : ان الله جبر أهل المعصية عليها واستكرههم ويسمونهم المجبرة .

قال أبو عبد الله : ليس كما قالوا على المسلمين ، وما هذا من قولنا

أصحابنا ، بل قولهم ان الله لم يجبر أحدا من خلقه ، ولا استكرههم على طاعته ولا معصيته ، ولكنه قد علم من يعمل منهم بمعصيته ، ومن يعمل منهم بطاعته من قبل أن يخلقهم ، فأراد انفاذ ما علم .

قال أبو عبد الله : تسأل القدرية : هل يعلم الله من يدخل الجنة ، ومن يدخل النار ، فاذا قالوا نعم فقل : أراد انفـــاذ ما عـــلم ، أو أراد ابطـــاله ، فان المخرج يضيق عليهم .

قال : وقيل : ان الله تبارك وتعالى لما استنبى عزيرا سأل ربه فقال: يارب انك عزيز لا تغلب ، ولا تحب أن تعصى ، وأنت تعصى فكيف هذا ؟

قال : فأوحى الله اليه : أن كف عن هذه المسألة ، فلبث ما شاء الله.

ثم رجع فقال : يا رب انك عزيز لا تغلب ، ولا تحب أن تعصى ، وأنت تعصى فكيف هـــــذا ؟

قال : فأوحى الله اليه : أن كف عن هذه المسألة ، فلبث ما شاء الله.

ثم رجع فسأله عن هذا أيضا ، فأوحى الله اليه : هل تقدر أن تصر صرة من الشمس ، أو تقدر على رد أمس ؟

فقال : يا رب لا .

قال : قد نهيتك أن لا ترجع تسأل عن هذه المسألة ، ثم رجعت فقد جعلت ثوابك منها أن محوت اسمك من النبوة اذ رجعت سألت عما نهيتك عنـــــــــه .

قال : فلما بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام سأل ربه عن هذا المسألة ، فأوحى الله اليه : يا عيسى ان عذيرا قد سألنى عن هذا الذى سألتنى عنه ، فكان من أمره كذا وكذا ، فكف عن هذه المســـألة ، فكف عيسى ولم يرجع يسأل ربه عن ذلك .

مســألة :

جواب أبى صفرة عبد الملك بن صفرة : حدثنا أبو سفيان محبوب

ابن الرحيل ، عبد المليح بن حسان ، عن أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة فى القـــــدر معروض •

وحدثنا أيضا محبوب ، عن الربيع قال : حدثنا أبو عبيدة ، حدثنا أبو سفيان محبوب بن الرحيل ، عن المليح بن حسان ، أن حمزة الكوفى أتى أبا عبيدة ، فشكا اليه أصحابه ، فقال : انهم يستهزئون بى ، ويروون عنى مالا أقـــــــول •

فقال له أبو عبيدة : فما مجيئك الىّ ؟

قال : الى من أذهب ؟

قال : اذهب الى منزل حاجب ، فانه منزل معشى •

فقال له حمزة : انى أحب أن يحضر •

فقال له أبو عبيدة : فأنا آتيك به ان شاء الله •

قال المليح : فخرجنا الى منزل حاجب ، فجساء أبو عبيدة يقسوده حصين بن أبى وديمة السدوسى ، فقال المليح : فقعد أبو عبيدة وحمزة داخل البيت ، وقعد حاجب على باب البيت ، وقعد من جاء من الرجـــال فى الدار •

قال : فكلمه أبو عبيدة بكلام ليس بكثير ، ولا طويل ، الا أنا سمعنا أبا عبيدة وهو يقول : ويلك يا حمزة ما فارقت غيلان الا فى هذا الكلام ، ثم قام ابن الحصين فأخذ بيده ، فخرج أبو عبيدة •

ودخل حاجب الى حمزة ، فقال له حمزة : يا أبا مودود ارفق ولا تعجل علىّ •

فقال له حاجب : أراك والله يا حمزة اليوم ستحملنى على ما أكره٠

قال له حمزة : يا أبا مودود اقبل منى منزلة أنا أقول : الحسنة من الله ، والسيئة من العبـــــاد ٠

فقال له حاجب : هى من الناس مقبولة ، وأما منك فلا ، فأنا أعرف مذهبك وما تريد ، فلم يزالا يتكلمان حتى أمعنا وقد قال له حـــاجب : فيما تقول عمن أخذت هذا ، وعمن حفظته ؟

فقال : عن المســــلمين ٠

فقال : عن أيهـــم ، فانك لم تدرك أحـــدا الا وقد أدركته ولقيتـــه الا جابر بن زيد ، فلما شدد عليه قال : منك قلته ، وعنك حفظته ، وكما شـــــــاء الله أن يقول٠

قال حاجب : الله أكبر ، ان كنت قلته عنى فأنا راجع عنه ، فارجع عنه كمــــا رجعت ٠

فقال حمزة : لا تريدون نسخه ، لا تردون ذا ، أو دع ذا ، أو ما أشبه هذا من الكلام ، ثم تفرقا فلم يزل حمزة عندهم متهما حتى جمع حاجب النــــاس فى مجلس ٠

ثم قال : ان حمزة قد أحدث علينا حدثا ، فمن أدخله ، أو أنزله ، أو كلمه فهو عندنا الخائن المتهم ، فضاقت على حمزة البصرة ، ولـــم يجترىء أحد من المسلمين أن يكلمه بعد النهى ، فخرج منها الى الكوفة ، والى غيرها ، وكان آخر أمره أن خلع وبرىء منه ٠

❋ مســـألة :

وحدثنا سفيان قال : بلغنا أن ابن الشيخ البصرى ، وكـــان يكنى بأبى عبد الرحمن ، سأل أبا عبيدة بمنى فقال له : يا أبا عبيدة ، هل جبر

الله أحدا على طاعته — نسخة — طاعة ، أو على معصيته — نسخة — معصـــــية ؟

فقال : ما علمت أن الله جبر أحدا على طاعة ، أو على معصية ، ولو كنت قائلا لقلت : ان الله جبر أهل التقوى على التقوى ، لما أراهم من ثوابهـــــا .

قال له ابن الشيخ العلم : ساق العباد الى ما عملوا من المعاصى .

قال أبو عبيدة : معاذ الله ما كذلك أقول ، ولكن سولت لهم أنفسهم، وزين لهم الشيطان حتى كان منهم ما علم الله .

قال له ابن الشيخ : ان هؤلاء الشـــباب يقـــولون : ان الله شاء ، وأحب ، وأراد ، ورضى .

فقال أبو عبيدة : ماعلمت أن الله عذب من عذب من خلقه الا على ما سخط منهم ، ليس على رضى ، لأنه يقول تبارك وتعالى : (اتبعـــوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) .

وقال أبو سفيان : كان أبو عبيدة يقـــول : ان الله أمـــر بالطاعة ، وأحبها ورضيها وزينها ، فمن عمل بها فبعلم الله ، والله المانّ عليه ، ويقول : ان الله نهى عن المعصية وأبغضها وكرهها ، وقبحها فمن عمـــل بها فبعلم الله ، والله الحجة عليه .

وقال أبو سفيان : كان صحار يقول : كلموا الناس فى العلم ، فان أقروا لكم به فقد خصموا ، وان جحدوا به كفروا .

وقال أبو سفيان : بلغنا أن أبا عبيدة جاءه رجل وكلمه فى القدر ، فقال أبو عبيدة : هل علم الله ما العباد عاملون والى ما هم اليه صائرون قبـــــل أن يخلقهـــــم ؟

فقال الرجل : ما أسرع ما استغنيت بالعلم يا أبا عبيدة ، انما هذه مسائل الضعفاء ٠

فقال له أبو عبيدة : أجب هذا الضعيف ، قال : فلم يجبه وتفرقا ٠

وقال أبو سفيان محبوب بن الرحيل : سمعت الربيع يقول : ان عبد السلام بن عبد القدوس : عظم أمر القدر وقال فيه قولا شديدا ، وكبره الكلام فيه ٠

فقال الربيع : فأخبرت بذلك أبا عبيدة فقال : ما قال عبد السلام شيئا ، وما القدر الا رأى من رأى الناس اختلفوا فيه ، ليس فيه نكاح ذات بعل ، ولا انتحال هجرة ، ولا سبى ولا غنيمة ، قال : وصغر أمر القدر ٠

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

البلية بأمر القدر شديدة ، لأنه سريع بخروج المرء من دين الاسلام، لأن مذهب المعتزلة أجمع ضلوا بكلمة فى القدر ، والعزيز غضب عليه ربه على سؤال عن كلمة القدر ، وكم من مذهب أهله فى ضلال بسبب القدر ، فالقدر بحر عميق قد هلك فيه بشر كثير ٠ رجسع ٠

قال : وكان واصل بن عطاء المعتزلى ، صاحب عمرو بن عبيدة المعتزلى وتمنى لقاء أبى عبيدة ويقول : لو قد لقيته قطعته وقطعت الأباضية ٠

قال : فبينما هو بمكة فى المسجد الحرام ومعه أصحابه ، اذ قيل له: هذا أبو عبيدة فى الطواف ، فقام اليه واصل فلقيه وقال : أنت أبو عبيدة ؟

قال : نعم ٠

قال : أنت الذى بلغنى عنك أنك تقول : ان الله تبارك وتعالى يعذب على القدر ؟

فقال أبو عبيدة : ليس هكذا قلت ، ولـكن قلت : ان الله يعـذبه عـلى المقـدور .

فقال أبو عبيدة : أنت واصل بن عطاء ؟

قال : نعم .

قال : أنت الذى بلغنى أنك تقول : ان الله يُعْصَى باستكراه ؟

قال : فنكس واصل والله فلم يجب وسبح أصحابه ، ومضى أبو عبيدة فأقبل أصحاب واصل على واصل يلومونه ويقولون : كنت تتمنى لقاءه ، فسألته فخرج وسألك فلم تجب .

فقال واصل : ويحكم بنيت بناء منذ أربعين سنة أهدمه فهدمه وأنا قائم لـم أقعـد .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

انظروا كيف ضلت أمة على كلمة ، وأخطئوا بها فى أمر القدر ، وذلك واصل المعتزلى ومن شايعه من المعتزلة قولهم فى المعاصى : ان الله لـم يشأها ولم يردها ، ولم يخلقها وانما كانت من العصاة بلا مشـيئة الله تعالى فيها ، ولا ارادة ، فاذا كان ذلك كذلك فقد كانت المعاصى فى ملك الله وسلطانه كرها وغلبة ، اذا لم يشأها البارى تعالى ولم يردها ، ولم يخلقها حتى كانت ، فعلى زعمهم أنه تعالى قد عُصِىَ باستكراه كمـا قال أبو عبيـدة .

فلما قال أبو عبيـدة ما قال أنت الذى تقـول ان الله يُعْصى باستكراه ، علم خطأه فى ذلك ، وعلم أن الحجة لأبى عبيدة ، وأن المعاصى لا تكون فى ملك الله وسلطانه ، إلا وقد شاء كونها مشيئة علم ، وأراد كونها فى ملكه وسلطانه ارادة علم لا ارادة أمر .

وأن كل شيء لا يخلو من أن يكون البارى تعالى قد علمه وشاءه ، والا كان فى ملكه ما لم يشأ كونه ، واذا كان فى ملكه ما لم يشأ كان مغلوبا مقهورا حيث كان فى ملكه ما لم يشأ كونه فى ملكه .

فنكس رأسه لعلمه بخطئه فى ذلك ، ولم يكاثر أبا عبيدة فى شيء ، فعلم أنه لا تكون معصية من عاص قط الا وقد شاء الله كونها مشـيئة علم لا أمر ، والا كان مغلوبا يُعْصَى باستكراه وغلبة .

وانما بيناه لأن المحنة بالخطأ فى القدر عظيمة ، لئلا يقع أحـد من ضعفاء المسلمين على هذا الحديث الذى فيه استهانة أمر القدر ، فيصغر القدر فى أمر نفسه ، فتقع الاستهانة به من الضعيف فيجرأ فى ذلك حتى ربما تحمله جرأته يوما ما على القول فيخطأ فيه فيهلك ، وكان تحذيرنا له فى ذلك أولى وأصـــوب .

وود قال النبى صلى الله عليه وسلم : « القضاء سر الله فى الأرض فلا تتكلفوه — نسخة — تكشفوه » وقالوا : المتعمق فى القضاء كالمعمق نظره فى عين الشمس ، كلما اعتمد نظره اليهـا أكثر ازداد عمى ، كذلك القــــدر .

رجع الى كتاب بيـــان الشرع .

مكتوب فى الكتاب ومن الكتابب ، ذكر أنه أقبل الى ابن مســعود رجلان ، فقال أحدهما : ان الله تعالى فوض الأشياء الى العبـاد ، فمن شـــاء منهم ضل ، ومن شاء منهم اهتدى .

وقال الآخر : بل القوم مجبورون على المعاصى .

فبكى ابن مسعود حتى ابتلت لحيته ثم قال : اللهـم دينى دينى لا أرتد عنه ولا أنصرف ، ولا أخدع عنه به رضيت وبصرت ، ورجوت لا عذر لى فيه ، فأعوذ بك أن أتكلم — نسخة — أن كل مالا جهل لى وآمن

بما لا جهل لى فيه ، أو آمن بما لا عــذر لى فيــه ، رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، آمنت بك وبملائكتك وكتبك ، ورسلك •

اللهم ما فىّ من خير فلا جهل لى فيه ، ومالا فى من شر فلا عــذر لى فيــــــه •

اللهم ما فىّ من خير فأنت هديتنى اليه ورزقتنيه فلا جهل لى فيه ، وما فىّ من شر فقد حذرت •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

أما اللفظ ففيه غلط من الكتابة ، وتناقل النســخ ، وأما بكاؤه من قول الرجلين فيما ذهبا اليه ، لأن القائل بالتفويض خطؤه أن لو فوض الله الأمور الى العباد ، لكان قد خلقهم عبثا ، وجعلهم سدى ، وهــذا ليس من فعل اله حكيم عليم ، لأنه يقول : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) الآية ، وقوله : (الم أحسب الناس أن يتركوا) •

والذى قال بالجبر خطؤه أن لو أجبر الله العباد ، لم يستحق أحد منهم جزاء على عمل يعمله ، وبطل بالجبر الثواب والعقاب •

فبكى ابن مسعود من هذين الوجهين ، اذ فى جميعهما الخطأ المستبين والصواب هو أمر ثالث من هذين الأمرين ، هو تكليفهم اختيارى بلا جبر ولا تفــويض • رجــع •

* مســألة :

فى القضاء والقدر ، والمشيئة والارادة : ذلك مالا يبلغــه علمى ، ولا يحيط به فهمى ، وهو موجود فى آثار المسلمين ، الا أنى ألوح لك يا أخى من ذلك ما حضرنى فاعتقده •

أقول وبالله أستعين : انى أؤمن بالقضاء والقدر ، خـيره وشره ، وأن الله قضى الطاعة والمعصية وقدرهما وأرادهما وشاءهما ، وانا ندين لله بالايمان أن الله خالق الطاعة والمعصية ، وقضاهما وقدرهما مع الفعل، لا من قبل ولا من بعد ، وليس لله شريك فيما قدر وقضى .

ولم يؤت العبد من جهة خلق الله لفعله وقدره وقضائه ، وانمـا أوتى من جهة اكتسابه المعصية ، ومخالفته للأمر وايجاب الحجة عليه ، ولم يزل الله مريدا لذلك لا ارادة رضى ومحبة .

قال غـيره :

لعله أراد ولم يزل الله مريدا لذلك ارادة علم لا إرادة رضا ومحبة، والله أعلم . رجع الى الكتاب ولكن ارادة علم ومشيئة ، فافهم هداك الله للايمان ، ولم تعص الله باستكراه ولا بغلبة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولم يزل مريدا عالما بذلك قبل أن يحدثه ، ثم أحدثه على ما أراده وشـــــاءه .

وليس العلم والارادة شيئين حالا بين العبيد وبين أعمالهم ، ولم يتعبدهم بما أراده منهم ولا ما علمه منهم وشاءه منهم ، وانما تعبدهـم ما أعطاهم من الاستطاعة ، وعلمهم وهداهم له ، ولا يكون الا ما علم الله، وأراد وشاء سبحانه وتعالى ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقد أجملت لك فى هذه المسألة تفسير مسائل يخرج فى غير هـذا الكتاب ، وان كان أهل الخلاف فقد خالفونا فى ذلك ، فادعوا أن الله لم يرد المعاصى ، ولم يقضها ولم يقدرها ولم يخلقها ، وقد أكذبهم البارى تبارك وتعالى فقال : (خلقـكم وما تعملون) وهى آية محكمة ، فهـذا الايمان بالقدر خـيره وشره .

وينبغى للمتعلم أن لا يتعمق فى الدخول فيما وسعه جهله من هذه الأمور وأشباهها ، فقد نهى عن ذلك ، ويعتصم بقول المسلمين ، ويقتدى

بهم ، فقد كفى المؤنة ؛ وما ترك الأول للآخر حجة ، فعلينا أن نقتــدى بسلفنا رحمهــم الله •

❋ مســألة :

وقال أبو سفيان : حدثنى الربيع بن حبيب ، عن عمرو الفراهدى أبى عمرو رحمه الله ، أنه دخل على ضمام بن السائب ، وهو فى مرض وعنده عمران بن عبد العزيز المدنى — نسخة — البدنى ، وكان عمران أمام مسجد الباب الذى يصلى فيه ضمام •

فقال عمران : يا ضمام انى لأضيق أن أزعم أن الله تبارك وتعالى فى حكمه وعدله ، دعا العباد الى شىء لم يجعل لهم السبيل اليه •

فقال الربيع : فقلت لعمران : أفترى أن المنّ من الله ، والتوفيق والتسديد منه لأبى بكر وعمر ، كتسديده وتوفيقه لأبى جهل ؟

فقال عمران : لا لعمرى ما هما سواء •

فقال ضمام للربيع : شد عليه ، وأعجبه ما قال الربيع ، ولم يزل عمران أمام المسجد ، ولم يضره ذلك القول عند ضمام ولا غيره ، وانما ضاق فى شىء ، ولم يخالف فيه ، ولم يدن به •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

أن الله تبارك وتعالى لم يسدد أبا جهل ولم يوفقه ، وانما كــان التسديد لأبى بكر وعمر خاصة دون أبى جهل ، ولم يوفقه ، فليس القول هاهنا أنى لأعجب من أبى بكر وعمر ، وأبى جهل ، أفسددهم الله تعالى كلهم تسديدا واحدا ، لأن أبا بكر وعمر اختارا الايمــان على الــكفر فسددا ووفقا ، وأبو جهل اختار الكفر عــلى الايمان ، فــلم يؤت من التسديد والتوفيق شــــيئا •

وأما قوله : ان الله دعا العباد الى شيء ، ولم يجعل لهم السبيل اليه ، فما هكذا قول المسلمين ، وأن ضاق على هذا القائل ، ولم يدر العلم فى ذلك ، لأن الله تعالى كلف العباد كافة ، وهداهم الى ما كلفهم كافة ، هدى البيان لا هدى السعادة .

فأى سبيل الى هذا التكليف أهدى سبيلا من هذا البيان الذى بين الله تعالى لعباده أجمع ، فلما هداهم أجمعين هدى البيان بأن لهم أجمعين وكلفهم التكليف الاختيارى ، فاختار فرعون الكفر ، كذب وتولى ، فولاه الله ما تولى .

وباختيار أبى بكر وعمر الايمان على الكفر سددا ووفقا ، وكيف يقال : ان الله تعالى دعا العباد الى شيء لم يجعل لهم اليه سبيلا لو دعا العباد الى شيء لم يجعل الله لهم اليه سبيلا لم يكن حكيما بل كان سفيها جاهلا .

اذ الحكيم عندنا لا يكلف عند شيئا يعلم أنه لا يحسن عمله ، ولا يهتدى اليه سبيلا ، وذكره فيه ، ويستعمله فيه وهو لا يعلم علما من ذلك ، ولا يهتدى اليه سبيلا فما يفعل هذا الا سفيه عابث ، يكلف عبده العبث ، ولكن البارى تعالى كلف العباد ما كلفهم ، وهداهم الى ما كلفهم أجمعين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حىّ عن بينة .

والدليل على ذلك قول الله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) انظر كيف ذكر قوم هود أنه هداهم ، يعنى بذلك هدى البيان ، فسبيل قوم ثمود وفرعون ، وابليس والشياطين ، وجميع الجن والانس المكلفين سواء فى التكليف والهدى الذى هو هدى البيان ، لا هدى السعادة .

وأن من كفر وتولى فبسوء اختياره كفر وتولى ، فولاه الله ما تولى، وأن من آمن واتقى وفقه الله وسدده ، وكيف لم يجعل الله تعالى لعباده

الى ما دعاهم اليه سبيلا ، فأى سبيل أهدى من البيان الذى قد آتاه الله تعالى جميع المكلفين أجمع من الجن والانس • رجــع •

✱ مسـألة :

عن ابن عباس قال : الخلق الى علم الله منهم منقادون ، وعـلى ما سطر فى المكنون من كتابه ماضون ، لا يعملون خلاف ما منهم عـلم ولا غيره يريدون ، فهم لا محالة الى ما علم الله منهم صائرون •

قد ساق الله العباد الى ما علموا من طاعة أو معصـية ، لأنه لو ساقهم العلم الى ما عملوا من عمل كانوا مجبورين ، واذا كانوا مجبورين لم يكن لائمة لمسيء ، ولا محمدة لمحسن ، ولم يجب لمحسن بالثواب ، ولا على المسيء العقاب ، كما لم يعذب الأصم على السمع ، فيقال له : لِمَ لم تسمع فى دار الدنيا ، والأعمى لم لـم تبصر مـا كلفتك من دار الدنيا ، والمريض كذلك •

✱ مسـألة :

عن أبى عبد الله محمد بن محبوب : ان الله خلق الأشياء وأضدادها فهو خلق الصـلاح والفسـاد ، والهدى والضـلال ، والنور والظـلام والكفر والايمان ، والعدل والجور ، وهى من العباد أفعال ، والله خالقها والله تعالى لا يوصف بالفساد ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

بل كل أفعاله صلاح ، ولا يقـال : اذ خلق الفساد أنه أفسـد ، ولا يقال انه أربى الربا ، ولا أزنى ، ولا أسرق ، ولا أقذر ، وهو خلق الزنى ، والربا ، والقذر ، والسرق ، ولا يجـوز عـلى الله الأسماء ، ولا الصفات القبيحة القذرة ، سبحان الله وتعالى عما يشبهه ، ولا يقع عليه من الأسـماء والصفات القبيحة له الأسـماء الحسنى ، والصفات الطاهـرة •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

ان الله تعالى ليس له أشباه ، لكن يقال فى شيء لا يشبهه ، تعالى الله عما لا يشبهه ، فلا يجوز هذا القول على الله تعالى . رجع .

ومن قصيدة لأبى المؤثر :

وقالـوا لنـا حـول وطـول وقوة
بها دون رب العرش نبرى ونخـلق

لأنهم زعموا أنا نعمـل ما نشاء من الطاعة والمعصية ، ليس لله فيها قضـــــية .

وقالت فرقة : ان الله عالم لم يكن عالما بما يعمـل العبـاد ، حتى عملوا ، فتعالى الله عما قالوا ، الطاعة والمعصية شيئان ، والله خالق كل شيء فان زعموا أن الطاعة والمعصية شيء ليس بمخلوق ، ولم يدخل فى الـكل .

واحتجوا فى ذلك بقـول سليمان عليـه السـلام : (وأوتينا من كل شيء) وكان من الأشياء ما لم يؤته سـليمان ، وفى قول الله تعـالى للمرأة : (وأوتيت من كل شيء) وكان كثير من الأشياء لم تؤته .

فالحجة عليهم أن الله تعالى لم لا يوصف نفسه بصفة ، ولكن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وقد قال الله تعالى : (بديع السـموات والأرض أنى يـكون له ولد ولـم تكن لـه صاحبـة وخلق كل شيء وهـو بكل شيء عليم) .

فان كانت الطاعة والمعصية شيئا لم يخلقه الله ، فليس هو بعليم بها ، ومن قال : ان الله ليس بعالم بالطاعة والمعصية ، فقد أشرك بـكل

القرآن ، والله تعالى يقول : (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين • فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) •

وقال : (وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) •

وقال : (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل)•

فان يكن وكيلا عالما فقد خلقها ، وان لم يكن وكيلا عالما ، فاذن لا يعذب على معصية ، ولا يثيب على طاعة تعالى الله عن ذلك • وقيل شعرا من قصيدة أبى المؤثر :

نطيع اذا شينا ونعصى وما له
على فعلنا سلطان ملك مطوق

فقل لهم أخزاهم الله فعلهم
أشيء له رب الشيء مطلق

يسألوا : الله وكيل على أعمال العباد أم لا ؟ فان قالوا : لا ، فقل لهم : فلم يعذب عليها ، ويرحم ، والحكيم لا يعرض ما ليس له عليه وكالة •

وان قالوا : بلى ، فقد أثبتوا أن الله خلقها ، وقد قال الله تعالى : (لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل) •

وسألت محبوبا فقلت : وفى السيرة أن الخلق صائرون الى مشيئة ، فبين لنا ، رحمك الله معناها ؟

قال : معناهما علمه ليس بينهم فيه اختلاف .

وفى قول الله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) .

قال محبوب : تفسيرها قراءتها ، وذلك كله يروون على العلم ، يقول : انه من علم الله أن يهتدى لم يضل ، ومن علم أنه يضل لم يهتد .

* مسألة :

ويروى عن محمد بن محبوب أنه قال : كنت بالبصرة ، واذا قوم يتناظرون فى القدر ، فقال رجل يقال له أظن أنه العزال للرجل القدرى : ما أفضل فعل الله أم فعل العباد ؟

فقال القدرى : فعل الله أفضل من فعل العباد .

فقال الرجل للقدرى : الصلاة من فعل الله أم من فعل العباد ؟

فقال : من فعل العبـــاد .

فقال الرجل للقدرى : فالنوم من فعل الله أم من فعل العباد ؟

فقال القدرى : من فعل الله .

فقال الرجل للقدرى : فاذن النوم خير من الصلاة على قولك هذا ، وقد قيـــل : أن بلالا مؤذن رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم نادى للصلاة ، قيل له : أنه نائم ، فقال بلال : الصلاة خير من النوم .

قال : فانقطع القدرى ولم يكن معه جواب .

ومن غـيره :

ان قال قائل : ما أفضل فعل الله أم فعل العباد ؟

قيل له : فعـل الله .

فان قال : الصلاة فعل الله أم فعل العباد ؟
قيل له : من الله خلق ، ومن العباد عمل وكسب .
وان قال : النوم فعل الله أم فعل العباد ؟
قيل له : النوم والاضطجاع فعل العبد ، وما يغشى العبد من النعاس فعل اللـه .

فان قال : فما أفضل : الصلاة أم النوم ؟

قيل له : الصلاة التى هى فعلى أفضل من فعلى فى النوم ، وخلق اللـه أفضـل .

فان قال : بلال كان يقول للنبى صلى الله عليـه وسلم : الصـلاة خير من النـوم ؟

قيل له : معنى ذلك أن يقـوم يصلى أفضـل لـه من اضطجاعه فى النـوم ، وما خلق الله من جميع ذلك فلا يقاس بفعل العبد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت مكتوبا فى رقعة كتابا ـ نسخة ـ كتاب دفعه الى محمد بن هاشم ، وزعم أن محبوبا دفعه اليه لينسخه فنسخه .

أما بعـد :

فان عدونا من القدرية عابوا علينا ان زعمنا أن الله تبارك وتعالى ، قد علم ما العباد صانعون قبـل أن يخلقهم فيما كلفهم ، والى ما يصيرون الى جنة أو الى نـار ، فعلم من هـو صائر الى الجنـة قبل أن يخلقه ، وعلم من هـو صائر الى النار قبـل أن يخلقه ، وقد احتج عليهم بالكتب والرسل ، وابتلاهم بالأمر والنهى ، فهم مبتلون فيما كلفوا ، لا يستطيعون أن يكون غير ما علم الله ، فمن علم اللـه منه أنه صـائر الى الجنـة ، عامل بالطاعة فلا يستطيع أن يعمـل بالمعصية ، ولا يستطيع أن يصـير نفسـه الى النـار .

وكذلك من علم منه أنه صائر الى النار ، عامـل بالمعصية ، تارك للطاعة ، فهو لا يستطيع أن يعمل بالطاعة ، ولا يستطيع أن يـكون من أهل الجنة ، وذلك من قبـل أن العباد لا يستطيعون أن يكون منهـم غير ما يعلم الله أنه كان منهم .

فلما عابوا علينا ذلك ، وأنكروه سألناهم عند ذلك ، هل علم اللـه قبل أن يخلق الخلق من يطيعه فيما كلفه منهم ، ومن يعصيه منهم .

فان قالوا : نعم ، قد علم الله من يطيعه منهم ممن يعصيه قبـل أن يخلقـه ؟

فقل لهم عند ذلك : ليس قد علمهم بعدتهم وأسمائهم وأنسابهم .

فان قالوا : نعم قد علمهم بعددهم وأسمائهم وأنسابهم ، من يسكن النار منهم ، ومن يسكن منهم الجنة ؟

فقل لهم : عند ذلك ، فهل يستطيع الذين يعلم الله أنهم يسكنون الجنة بعدتهم وأسمائهم وأنسابهم أن يسكنوا النار ، وهل يستطيع الذين علم الله أنهم صائرون الى النار بعدتهم وأسمائهم وأنسابهم أن يسكنوا الجنة .

فان قالوا : نعم يستطيعون ذلك ، ولا يفعلونه ؟

فقل لهم : انما تكلمتم فى الاستطاعة ، أليس يزعمون أنهم يستطيعون غير ما علم الله ، ولا يفعلونه .

فان قالوا : نعم .

فقل لهم عند ذلك : أرأيتم إن كانوا يستطيعون غير ما علم الله ، فهم يستطيعون أن يكون ما يجهل الله ، وأن يتخذوا فى سلطان الله ما لا يعلم الله .

فان قالوا : نعم ، فهذا قول عظيم لا يحمله عقل ، ولا يجوز فى قياس وقد أكذب الله قولهم فى كتابه لقوله تعالى : (وكانوا لا يستطيعون سمعا) . وقوله : (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) .

وانما يعنى بهذا الذين علم الله أنهم لا يؤمنون ، وعابوا علينا أن زعمنا أن الله تبارك وتعالى اذا أراد أن يكون شىء كان ، وذلك من قبل أن زعمنا أن الله قد علم ما العباد عاملون قبل أن يخلقهم ، فعلم من يؤمن منهم ، ومن يكفر قبل أن يؤمنوا ، وقبل أن يكفروا ، فأراد تبارك وتعالى أن يكون ما علم ممن علم ، ولم يرد أن يكون غير ما يعلم ، فعلم من يؤمن قبل أن يؤمن ، وأراد أن يكون الايمان ممن علمه ولم يرد أن يكون غير ما يعلم ، فعلم من يؤمن قبل أن يؤمن ، وأراد أن يكون الايمان ممن عليه منه أن يؤمن ، وقد دعا الى الايمان ورضيه ، فهو

يحب الايمان ، ويحب أن يؤمن الذين علم أنهم يؤمنون قبل أن يؤمنوا ويرضى أن يكونوا من أهله الذين علم أنهم عاملون به •

وكذلك أيضا من علم منه أنه يكفر ، فقد أراد أن يكون منه ما علم أن يكون يكفر ، وقد نهاه عن الكفر ، وحرمه عليه ، ولكنه قد علم أنه عامل به ، فقد أراد أن يكون منه ما علم من الكفر الذي حرمه عليه ، ونهاه عنه ، وهو يبغض الكفر ولا يحبه ، ولا يرضاه ، وقد رضى أن يكون ممن لا يحب ولا يرضى ولا يريد •••••

وذلك من قبل أنه نهى عن الكفر وحرمه ، وشتم أهله عليه ، وقد يبغض الله الشيء وهو يحب أن يكون ، فقد أحب الله يكون ابليس ولا يحب ابليس •

وكذلك أحب أن يكون الكفر من أهله ، ولا يحب الكفر ولا يرضاه ، ولكن يحب أن يكون منهم ما يبغض ليعذبهم عليه ، وقد أحب أن يكون الخمر خمرا ولا يحب الخمر ، لأنه رجس •

وكذلك يقول : انه قد أحب أن يكون الكفر من الذين علم منهم أنهم سيكفرون ، ولم يحب الكفر ولم يرده •

سألنا من عاب هذا علينا من القدرية ، هل أراد الله أن يؤمن الناس اذا دعاهم الى الايمان ؟

فان قالوا : نعم قد أراد أن يؤمن الناس اذا دعاهم الى الايمان فقلنا لهم عند ذلك : أخبرونا عما أراد الله أن يكون من ايمان الناس جميعا ، هل كان حتى آمن من الناس ؟

فقالوا : لا لم يكن من الناس كلهم الايمان الذي أراد أن يكون منهم •

فقلنا لهم عند ذلك : فقد أراد الله شيئا لم يكن ، فعجز الله ما أراد .

فان قالوا : نعم قد أعجزه ما أراد ، فهذا فرية منهم على خالقهم ، وكذبا على الله ، وتكذيبا بكتاب الله ، لأن الله تعالى قال : (ان ربك فعال لما يريد) .

وان زعموا أنه لم يعجزه شيء ، وقد كان ما أراد الله أن يكون من ايمان الناس جميعا ، فقل لهم عند ذلك : أخبرونى عن الناس ، أليس قد آمنوا جميعا ، لأن الله قد أراد أن يؤمنوا اذ دعاهم ، فقد كان ما أراد الله .

وان لم يكن منهم ما أراد فقد أعجزه ما أراد ، وليس بينهما منزلة ، اما أن يكون قد كان ما أراد الله أن يكون من ايمان الناس ، أو يكون قد أعجزه أن يكون ما أراد الله أن يكون من ايمانهم .

فان قالوا : انما أراد أن يؤمنوا فى غير جبر .

قيل لهم عند ذلك : أليس وهو يقدر على أن يؤمن الناس فى غير جبر .

فان قالوا : هو يقدر على أن يؤمن الناس فى غير جبر .

قيل لهم عند ذلك : فهل كان ما أراد أن يكون فى غير جبر ما يقدر أن يكون فى غير جبر .

فان قالوا : لعله نعم .

فقل : أفأعجزه أن يكون فى غير جبر ، وقدر على أن يكون ، فان كان قدر على أن يؤمنوا فى غير جبر ، وان كان لم يقدر على أن يؤمنوا بغير جبر فقد أعجزوه أن يؤمنوا فى غير جبر .

فانظر فيما تسألهم عنـه من هذه الوجـوه ، فانهم لن يستطيعوا الخروج من هذه المسألة الا أن يقولوا بأحـد هذين الوجهين •

* مسـألة :

وسئل عن قول الله تعالى : (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) أليس الله تبارك وتعالى قد أخبر نبيه أنهم سيحلفون قبل أن يحلفوا ؟

فان قالوا : نعم ، فقل لهم عند ذلك : أليس قد كانوا يستطيعون الا يحلفوا حتى يكون ما أخبر الله نبيه كما أخبره •

فان قالوا : نعم ، فقل لهم عند ذلك : فقد كانوا يستطيعون أن يكون ما أخبر اللـه كـذبا •

فان قالوا : نعم ، قيل لهم عند ذلك : فهـم يستطيعون أن يكذبوا الله فى مقالته ، وذلك بأنهم ان شاءوا عملوا بما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكان الله قد صدق نبيه اذ عملوا بما أخبر نبيه أنهـم عاملـون بـه •

وأن شاءوا عملوا بغير ما أخبر الله نبيه أنهم عاملون حتى يكون الله تعالى قد كذب نبيه بما أخبره به من علمهم الذى أخبره أنهم عاملون به قبـل أن يعملوا ما أراد ، وان كانوا لا يستطيعون أن يعملوا الا الـذى علم الله أنهم عاملون بما أخبر الله به نبيه فقـد نهاهم عن العمل به •

وهم لا يستطيعون أن يعملوا به ، كلفهم ما لا يستطيعون العمل به ، وذلك من قبل أن كلفهم الصدق ، وحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب ، لأن الله تعـالى قال : (سيحلفون لكم اذا انقلبتم اليهـم) فهم لا يستطيعون الا أن يكون الكذب الذى نهاهم عنه ، لأنه أخبر نبيـه قبـل أن يحلفوا أنهم سيحلفون ، فأراهم أنهم لا يستطيعون ترك ما أخبر الله به نبيهـم عنهم •

فقل لهم عند ذلك : أليس قد كلفهم أن لا يحلفوا على الكذب ، فنهاهم عن ذلك ؟

فان قالوا : نعم ، فقل لهم عند ذلك : أليس قد نهاهم عن أمر لا يستطيعون تركه .

فان قالوا : نعم ، فقل لهم عند ذلك فقد تركتم قولكم ، ودخلتم فى قول من هو أعدل منكم ، وسل القدرية أهل الفراء على الله ، هل يستطيع من هو كافر أن يؤمن فى حال كفره ، أو هل يستطيع من هو مؤمن أن يكفر فى حال ايمانه ؟

فان قالوا : نعم ، فقل لهم عند ذلك : أليس يستطيع فى حال الكفر أن يكون مؤمنا ، وفى حال الايمان أن يكون كافرا .

فان قالوا : نعم ، فقل : أليس حال الكفر لها كافر ، والكفر فيهم ؟

فان قالوا : نعم فقل لهم : فهل يستطيع أن يحدث الايمان والكفر فيه ؟

فان قالوا : نعم ، فقل لهم عند ذلك : فهل يستطيع أن يكون مؤمنا كافرا ؟

فان قالوا : نعم ، فقل لهم : وكيف يكون مؤمنا كافرا ، ويكون عارف القلب ، منكر القلب ، محسنا مسيئا ، أو هل يكون قاعدا قائما فى حال أبدا ، وهذا محال أن يكون مؤمنا كافرا فى حال واحد .

قال : وقد قالوا لا يستطيع فى حال الايمان أن يكون كافرا ، ولا فى حال الكفر أن يكون مؤمنا ، ولكنه اذا ترك الايمان استطاع أخذ الكفر ، واذا ترك الكفر استطاع أخذ الايمان ، ولا يستطيع ترك الايمان

فى حال أخذه له ولا ترك الكفر فى حال أخذه ، انما يستطيع الايمان مع أخذه الايمان ، وكذلك انما يستطيع ترك الكفر مع تركه ، فاذا جاءت حال الايمان وقع الايمان معها ٠

ولم يكن الكفر فى حال الايمان ، واذا جاءت حال الكفر وقع الكفر ، ولم يكن الايمان فى حال الكفر ، فان قالوا ذلك فقل : أفليس من كان كافرا فهو يستطيع أن يؤمن حتى يجىء حال الايمان ، وكذلك من كان مؤمنا لا يستطيع أن يكفر حتى يجىء حال الكفر ٠

فان قالوا : نعم ، فقد تركوا قولهم ، ودخلوا فى قول من هو أولى بالعدل منهم ، ولابد لهم من الدخول فى هذا القول ، وأن يجيبوا بالمحال ، فهو لم يستطع أن يكون فى حال الكفر مؤمنا ، وفى حال الايمان كافرا ، فهو لا يستطيع أن يكون مؤمنا كافرا ، فهذا محال لا يعرف ذو لب وبصر ، فانظر ما يدخل عليهم فى هذه المسألة ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

* مســالة :

من كتاب محمد بن حازم :

أما بعــــد :

فان النـاس اختلفـوا فى القــــدر ، فقــال أصــحاب واصــل وغيــلان وعمرو : ان الله لم يخلق أعمــال العباد فى وجه من الوجوه ، وزعموا أن الاستطاعة مقدمة قبل الفعل ، وأنها لا تكون معه ولا تقاربه .

فعاب ذلك عليهم المسلمون ، وكثير من أهل التوحيد ، وقالوا لهم : قد أوهمتم وأخطأتم فى ذلك موضع الحق ، فالحق فى ذلك أن يقــال : ان الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل وأنها لا تكون قبله ، وأنها لا تدوم بعد انقضاء الفعل ، وأن أعمال العباد لو كانت غير مخلوقة ، وأن العباد هم الذين ولو تميز مابين الكفر والايمان لكانوا قادرين على أن تجعلوا الايمان الذى يرضى الله به كفرا يسخط الله به ، والكفر الذى يسخط الله به ايمانا يرضاه الله ، ولو كانوا مع ذلك قادرين على أن يأتوا بفعل دائم أبدا ، لا ينقضى حتى ينقضى الفـــاعل .

فكان مما سألناهم عنه ان قلنا أخبرونا عن الاستطاعة ليست متقدمة قبل الفعل ، انها لا تقاربه قالوا : بلى .

قلنا لهم : أخبرونا عن كفكم عن قتــل أنفسكم ، ليس هـو شيئا تحمدون عليه ما لم تفعلوا فعلا منكم قالوا : بلى .

قلنا لهم : أفليس أنتم لم تزالوا ، لأنكم لــم تزالوا كافين ، فمتى قدمت الاستطاعة الكف ، وأنكم لم تزالوا كافين ، فالكف فعل منكم ، ولا يكون فعلا الا بالاستطاعة .

فان قالوا : أن الاستطاعة كانت فينا قبل أن تكف •

قلنا لهم : فأنتم حينئذ قاتلون لأنفسكم ، لأن من لم يكف عن قتل نفسه ، فهو قاتل لنفسه ، لأن الكف عن قتل أنفسكم منزلة تعرف ، والقتل لأنفسكم منزلة تعرف ، فاذا كنتم فأنتم تاركون للقتل •

قال غيره :

لعله أراد : فان كنتم كافين فأنتم تاركون للقتل ، واذا كنتم قاتلين ، فأنتم تاركون للكفر •

وسألهم أيضا عن آدم صلى الله عليه وسلم حين خلقه الله تعالى فقل : أخبروني عن خلق الله لآدم صلى الله عليه وسلم ، أليس انما تكامل فى حال قد مضت قبلها حال ليس هو فيها بموجود ، فاذا قالوا بلى ، فقل لهم عند ذلك ، أخبروني عن الحال التى هو فيها موجود كامل ، هل كانوا يخلوا فى تلك الحال التى هو فيها موجود من أن يكون متحركا ، أو ساكنا ؟

فان قالوا : انه لم يكن يخلو من أن يكون فى حال تكامله متحركا أو ساكنا ، فقل لهم عند ذلك : أخبروني عنه ان كان عند تكامله متحركا فمتى استطاع بتلك الحركة ؟

فان قالوا : مع الحركة ، فقل لهم هذا قولنا قد دخلتم فيه كارهين ، وقد قاربت الاستطاعة الحركة والحركة فعل •

وان قالوا : انه انما استطاع بتلك الحركة قبل أن يتحرك ، فقل لهم عند ذلك : أليس تعلمون أنه قبل أن يتحرك غير موجود ، وأن تلك الحركه لم يخلق الله فيها ، فلم يتكامل وذلك لأنهما حالان : حال تكامل

قبلها فتحـرك أو سكن فى حـال قبـل هذه الحـال ، ليس هو قبلهـا بموجـود ولا متكامل .

وستصيرهم هذه المسألة الى أن يزعموا أن الحركة مقارنة للفعـل ، وانها لا تكون قبله ولا بعده .

واعلموا أن هذه المسألة تفتح لكم مسـائل كثيرة ، لأن الملائكة الذين لم يخلقوا بولادة هم بمنزلة آدم فى هذا الوجه .

وذلك أنك تسألهم فتقول : أخبرونى عن الملائكة ، ألستم تعلمـون بأنهم عرفوا الله فى أول تكاملهم ؟

فاذا قالوا : بلى فقل لهم : فمتى استطاعوا بتلك المعرفة ؟ فان قالوا قبل المعرفة فقل لهم : ألستم تعلمون أنهم ــ نسخة ــ أنكم قبل المعـرفة غير موجودين ولا مخلوقين وكيف يستطيع من ليس هو بموجود ولامتكامل أن يفعل شيئا وهو لا شىء .

فان زعموا أنهم استطاعوا بتلك المعرفة مع المعرفة ، وحـين عرفوا فهذا الذى عابوا علينا قد دخلوا فيه ، لأن الاستطاعة اذا أمكن أن تقارن فعلا واحدا جاز ذلك فى جميع الأفاعيل ، حتى لا يكون فعل الا الاستطاعة له مقارنة ، وهو الذى لا يصلح غيره .

وقل لهم أيضا : أليس الذى كلفوه من أمر التوحيد وغـيره ، انمـا هو كلام بعضه قبل بعض ، فاذا قالوا : بلى ، فقل لهم ليس هو على حال لفظه لأوله ، غير مؤدى لآخره ، ولا لأوسطه .

فاذا قالوا بلى فقل لهم عند ذلك ، هل يستطيع أن يؤدى آخره فى حال أداه لأوله ؟

فان قالوا : انهم قد يستطيعونه أداء آخره فى حـال أدائهم لأوله ، ولن يعطوك ذلك لما يدخـل عليهم من فساد القول وتناقضه .

فان زعموا أنهم أدوا أوله فى حال أدائهم لآخره ، فقل لهم : ليس مالا يستطاع ، فالناس معذورون بتركه ، فان قالوا : نعم ، فقل لهم : أليس هم فى حــال أدائهم لأول الكلام ، الذى هو توحيد معذورون بترك آخــره فى حال أوله .

فان قالوا : نعم ، فقد عذروا النــاس بترك ما كلفهم اللــه من التوحيــد .

وان قالوا : انهم يســتطيعون فى حــال أوله لآخــره فى الحــال الثانية ، فقل لهم : انى لم أسألكم عنه فى الحــال الثانية ، وانما سألتكم عنــه ، هل يستطيع آخر الكلام فى حال أوله .

واعلم أنك لن تســألهم عن شىء أشــد ، وسلهم عن فرعون ان أحسنت أن تسألهم ، وبالله التوفيق .

واسألهم عن فرعون : أليس قد كان يستطيع الايمان ؟ فان قالوا : بلى ، فقل لهم : ما باله لا يؤمن .

فان قالوا : انه لم يرد ذلك ولم يشأ ، فقل لهم : أليس قد عــلم الله أنه لا يؤمن أبدا ، فان قالوا : نعم فقل لهم : أليس يعلمون أنــه من كان فى سلطانه مالا يريد ، فهو ان أراد كان الله جاهلا ، لأنــه ان زعمتم لو أراد كان منــه الايمان الذى قد علم الله أنه لا يكون منــه أبدا ، ففرعون الآن فى قياس ما قلتم اذا أراد كان الله جاهلا ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وهذه المسألة تفتح لكم من المسائل أكثر من ذلك ان شاء الله .

وسلهم عمن لا يكون فى سلطانه الا ما يريد ، أهو أقوى أم من يكون فى سلطانه مالا يريد ، فهذا هو الخلف من الكلام والمحال الذى لا تتكلم به العرب ، ولا تجيزه فى لغاتها ، وحسبك بهذا سعة ان أعطوك هذا .

فان قالوا : ان الذى لا يكون فى سلطانه ما لعله يريده هو أقــوى من الذى يكون فى سلطانه مالا يريده ، فقل لهــم عند ذلك : فلم وصفتم خالقكم بأنه قد يــكون فى سلطانه مالا يريد ، والذى يكون فى ســلطانه إلا ما يريد أقوى منه ، فسبحان الله عما قلتم أيها المبطلون .

لأن الذى يكون فى سلطانه الا ما يعلم فهو أفضل من الذى يــكون فى سلطانه مالا يعلم ، وكذلك الذى يكون فى سلطانه الا ما يريد هــو أقوى وأفضــل من الذى يكون فى سلطانه مالا يريد ، وأحسن المســألة ، ولا تدعهم ينتقلوا من مسألة الى غيرها .

بسم الله الرحمن الرحيم

* مسـألة :

كتب الحسن بن أبى الحسن البصرى الى الحسن بن على :

أما بعـد :

بنى هاشم ، فانكم الفلك الجـارية ، فى اللجج الغامضة التى من تعلق بها نجى ، ومن تخلف عنها ضل وغوى •

كتبنا اليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تحيرنا فى القدر ، واستلافنا فى الاستطاعة ، فاكتب ما أنت عليه ، وما كان عليه آباؤك من قبل ، فأنتم ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم •

الجـواب :

كتب الحسن بن على ، الى الحسن بن أبى الحسن البصرى :

أما بعـد :

فقد وصـل كتـابك تخبر عن تحيرك وتحـير أصحابك ، وكيف لا تتحيرون ، وأنتم لهم قادة ، أما أنه ستبغون الرجعة ، وتطلبون الاقالة عند تبرى المتبوع من التابع ، ولولا ما أخـذه الله على عباده ممن علمـا فكتمه لأمسكت عن جـوابك •

وبعد : فالذى أنا وآبائى عليه أنه من لم يؤمن بالقضاء والقدر كله ، خيره وشره ، وحلوه ومره ، فقـد كفر ، ومن حمـل المعاصى على الله عز وجل فقد فجر ، ان الله تبـارك وتعالى لم يطع باقتدار من المطيع ،

ولم يعص بغلبـة من العاصي ، لكنه المالك لما ملكهم عليه والقـادر لمـا أقدرهم عليـه ٠

فان ائتمروا بالطاعة لم يكن لهم عنها صارفا ، وان ائتمروا بالمعصية وشاء أن يحـول بينهم وبينها فعل ، وان لم يفعـل فليس هو الـذى جبلهم على ذلك ٠٠٠٠٠٠ اذ ملكهم وقواهم ، وجعـل لهم السبيل الى حد ما أمرهم به ، وترك ما نهاهم عنه ، ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعـين ٠

فى القدر من أبى المؤثر من سيرة له أولها :

الحمد لله رب السموات ورب الأرض ، ثم اعلموا أن الله تبارك وتعالى لم يزل عالما بما يعمل العباد قبل أن يخلقهم ، عالم بما تصير اليه عواقب أمورهم وثوابهم وعقابهم ، فجرت أعمالهم على علمه تبارك وتعالى ، فمن زعم أن الله لم يعلم أعمال العباد حتى عملوها فهو كافر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ٠

واعلموا أن اللـه تبارك وتعـالى خلق أعمـال العبـاد وحركتهم وسكونهم ، وجميع أفعـال الحيـوان وخلق الكفر والايمـان ، والطاعة والمعصية ، والعباد فى ذلك مكتسبون ، والله خلق اكتسابهم ، ولا يقال : انهم اكتسبوا خلق الله ، ولكن يقال خلق الله كسبهم ٠

ومن زعم أن الله لم يخلق أعمالهم ، فقد كذب على اللـه ، وكفر به ، وقد قال الله تعالى : (والله خلقكم وما تعملون وهو خالق كل شىء) وأفعالهم شىء ٠

ومن زعم أنهم لم يكتسبوها ، وأن الله لم يعذبهم على شىء منهـا ، وأنه انما عذبهم وأثابهم على فعله لا على أفعالهم فقد كذب على الله ، والله تبارك وتعالى يقول : (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظـلام

للعبيد) وقال تعالى : (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) وقال : (وتلك الجنـــة أورثتموها بما كنتم تعملون) •

وقالت طائفة من القدرية : ان الله لم يرد من العباد الا الايمـــان ، وأنهم كفروا ، وقد أراد الله أن لا يكفروا فكفروا •

وقول المسلمين : لو أراد الله أن لا يكفروا لما كفروا ، لأنه لو أراد أن لا يكون شيء فـكان عاجــزا مغلوبا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

فان قالوا : فتقولون : ان الله أراد منهم الكفر ، كان الجـــواب في ذلك أن يقول : ان الله أراد أن يكون الكفر منهم كفرا باطلا مذموما ، لأنا نضيف الى الله الأشياء بأحسن الألفاظ •

وكذلك ان قالوا : أتقولون ان الله جعل الكفر والربا والسرقة ؟

قلنا : نقول ان الله تعالى خلق ذلك ، وأنه وان كان الخلق منـــه ، فانا لا نضيف الأشياء الى الله الا بأحسن الألفاظ ، لأنا لو رأينا ثمرة فاسدة لم نقل ان الله أفسدها ، وان كان فاســدها انما جاء من قبـــل الله ، لأن الفساد خطأ متصـــل بالتدبير ، فلا يضاف ذلك الى الله •

وكذلك لو رأينا عذرة لم يجز أن نقول : ان الله أحدث هذه العذرة ، وهذا عظيم من القـــول ، وان كان هو الذى خلقها ، وجعلها محـــدثا كحدوث سائر الخلق ، ولا ننكر أن نقـــول : ان الله خلقهـــا ، لأن كل ما أضفاه الى الله تعالى أنه خلقـــه من جميع الأشياء ، فليس بقبيح ، وقد قبح ذلك في بعض الأشياء أن تنسب اليه أنه أحدثها وفعلها •

ومما زعمت القدرية : أنهم يقدرون أن يفعلوا ما قد علم الله أنهم لا يفعلونه ، وأنه انما أمرهم بما هم عليه قادرون •

وقول المسلمين : ان أحدا لا يقدر أن يعمل ما قـــد علم الله أنـــه

لا يعمله ، وقد أمر الله الناس أن يفعلوا مالا يقدرون على فعله الا بعون الله وتوفيقه ، وليس ذلك منه جور تبارك وتعالى ، لأن الجور لا يسكون الا من المأمور المنهى ، والله تعالى ليس بمأمور ، ولا منهى ، وانما كان الجور جورا ، والظلم ظلما ، لأن الله حرمه تبارك وتعالى .

ولم يؤت العباد فى أن يقدروا على ما كلفهم الله تبارك وتعالى ، وانما أوتوا ذلك من قبل أنفسهم ، لأن الله تبارك وتعالى لم يحل بينهم وبين ذلك بمنع منهم اياه ، ولا يجبر جبرهم عليه ، ولا عجز أعجزهم عنه ، وانما العاجز الممنوع من كانت خلقته غير محتملة لما كلف مثل الزمن ، أن يكلف النهوض والأصم أن يكلف السمع ، الأعمى أن يكلف البصر ، وهذا لا يجوز على الله تبارك وتعالى ، ولكنه كلفهم الايمان وخلقهم محتملين لذلك .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لعله لذلك فلم يستطيعوه لاشتغالهم بالكفر ، لأن كل مكلف مشغول ، اما بما كلف وأما بخلافه ، فان كان مشغولا بما كلف ، وهو مؤمن ولا يقدر على الكفر ، لاشتغاله بالايمان ، لا لعلة تمنعه من ذلك ، فيوجب عليه العجز عنه .

وكذلك ان كان مشغولا بخلاف ما كلف فهو كافر لا يقدر على الايمان ، لاشتغاله بالكفر لا لعلة تمنعه من ذلك توجب عليه العجز عنه .

فافهموا ما وصفنا من قول المسلمين فى القدرة ، واعلموا أن القدر هو الخلق وكذلك القضاء .

فان قال لك : أتقول ان الله قضى عليه الكفر ثم يعذبه ، فلعله كان يظن قضى الله عليه ، أى جبره ، وليس ذلك كذلك ، ولكن معنى قوله :

قضى الله عليه ، أى خلق على يديه ، قضى الله ، أى خلق الله الكفر ، وكذلك قدر الله .

وأما قولهم : أحب الله ذلك فلا يجوز أن يقال لصاحب المعصية : أحب الله المعصية ولا رضيها ، فان الله لا يحب المعصية ، ولم يرضها بل سخطها وأبغضها ، وانما تأويل قول ذلك أحب ورضى ، وانما هو ثواب لأهل الطاعة ، لأن محبة الله ورضوانه أنه ثواب لأهل الطاعة ، وسخطه وبغضه عقاب لأهل معصيته لهم ، وليس هذا على الضمير .

وقد قال بعض أهل اللغة : أحب الله أن تكون السماء سماء ، والأرض أرضا ، والحسن حسنا ، والقبح قبيحا وليس هذا معنى الثواب ، ولكن يقولون فى هذا المكان : أحب أى أراد ، فأعقبوا ذكر المحبة من ذكر الارادة لما جرت عليه العادة معهم فى اللغة ، وتأويل المحبة هاهنا فى الارادة . فافهموا ذلك وبالله التوفيق .

ومنها : القدرية كل من زعم أن الله لم يخلق أفعال عباده ، وأنهم يقدرون أن يفعلوا ما قد علم الله أنهم لا يفعلونه مما أمرهم بفعله ، وأن الله أراد أن لا يكون الكفر من الناس ، فكان منهم مما قد أراد الله أن لايكون منهم ، فهذا القول منهم قد بينا القول فى ذلك ونحن منهم برآء .

* مسألة :

ومن سيرة الامام المهنا بن جيفر ، الى معاذ بن جرب :

أما ما سألت عنه من أمر القدر ، فان القدر بحر عميق ، وقد عطب فيه كثير من الخلق ، وحاروا وتهوكوا فيه ، والكلام فيه يدق ويسكثر ، حتى يكاد المتكلم فيه أن يتعاطى ما لم يأذن الله له ، وقد اختلفت فيه الأمة وكثر اختلافها .

ولأهل العدل فى ذلك قول جميل ، وحجة واضحة ، هداهم الله لها ، ليقوموا بها على من خالف الحق ، وضل عن سواء السبيل .

واعلم أن الأمة انما ذهبت فى القدر على وجهين : لم يجدوا غيرهما ثالثا ، فقال قوم وهم القدرية : إن الله لم يخلق أفعـال العباد ، ولـم يقدرها ولم يدبرها ، ولم يخلق الكفر قبيحا ، ولا الايمان حسنا ، ولاخلق تسبيح الملائكة المصطفين ، ولا خلق طاعات المرسلين ، ولا شيئا من أفعال المؤمنين ، ولا الكافرين ، ولا خلق ضرب الملائكة الكفار فى النار بمقامع الحديد ، ولا خلق شيئا من الأفعال غير الآدميين من الحيوان ومن الطير ، والسباع والهوام ، وجميع ما خلق الله مما يتحرك ويسكن باكتساب •

وقال المسلمون وهم أهل العدل والصـواب : ان الله تعالى خلق الايمان ايمانا حسنا ، والكفر كفرا قبيحا ، وخلق ما سوى ذلك من أفعال الملائكة والآدميين ، من المطيعين والعاصين ، والمؤمنين والكافرين ، وخلق أفعال الحيوان أفعالا ممن كانت منه •

وقدر ذلك كله على ما كان عليه فى جميع أموره من أوقاته وأقداره ، وحسنه وقبيحه ، ومن الدليل على ذلك قول الله فى آيات محكمات غـير متشابهات : (خلقكم وما تعملون) وقوله : (خلق كل شيء فقدره تقديرا) وقوله : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) •

وقوله : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسـنتكم وألوانكم) وقوله : (ومن آياته منامكم بالليل والنهـار وابتغـاؤكم من فضله) فقد علمت وعلم ذلك أولو الألباب أن منام العباد بالليل والنهار، وابتغاؤهم من فضله من أفعالهم ، وقد أخبر أنهما من آياته ، ولا يكون من تدبيره وخلقـــه •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لعله أفيكون شيء من آياته ، ولا يكون من خلقه • رجع •

وقال تعالى : (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه) فهذا مالا يقدر على

رده ، ولا بدلهم من اقرار بأن النعاس من أفعال العباد ، والله يخبر أنه هو يغشاهم اياه ، لولا أنه غشاهم اياه ما تغشوا ، ولا قدروا على ذلك .

فان أقر القوم بأن الله خلق أفعال العباد والحيوان ، فقد دخلوا في العدل ، وان أنكروا ذلك وزعموا أن الله لم يخلقها ، ولا صنع له فيها ، فقد زعموا أن مع الله خالقا غيره ، وهذا ما نفاه وعابه على من قال به .

ومع ذلك لو أن قائلا قال : ان أفعال العباد خير من فعل الله ، لكذب وعوقب ، وأنت اذا نصصت هؤلاء السفهاء رأيت قولهم يرجع الى هذا لأنهم يزعمون أن الصلاة من أفعال العباد ، وخلقهم ، وليست من فعل الله ، ولا من خلقه ، ويقرون أن الخنازير والقردة والكفار وابليس من خلق الله وفعله .

وقد علم أولو الألباب أن الصلاة بالمؤمنين خير من الخنازير والقردة فصار فعل العباد وصنعهم خير من صنع الله وخلقه ، فهل سمعت أعظم افكا وافتراء على الله من هؤلاء السفهاء ، وهم القدرية الا من قال من قولهم ، وافترى على الله .

واعلم أن الأشياء لا تكون الا بارادة الله لها ، ومشيئته فيها ، فكل ان كان كائنا ، فقد شاء الله أن يكون على ما هو عليه ، ان كان خيرا فقد أراد أن يكون خيرا ممن كان منه ، وان كان شرا فقد أراد الله ممن كان منه قبيحا .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

الذى عرفت أنه أراد أن يكون شرا ممن كان منه قبيحا ارادة في الشر والمعاصي والكفر . رجع .

ومن الدليل على أنه لا يكون الا ما أراد قول الناس : ما شاء

الله كان ؛ و ما لم يشأ لم يكن ، وليس من شيء كان أو لم يكن الا والله أراد لما كان أن يكون ، ولما لم يكن أن لا يكون فمن وصف ربه بغير هذه الصفة ، فقد افترى من العباد اثما عظيما ، ووصف الله بغير صفته .

لأن من زعم أن الله أراد من العباد كلهم الايمان فقد علمت ، وعلم أهل العقل أن العباد كلهم لم يكن منهم الايمان ، وقد كان من بعضهم الكفر ، فقد كان غير ما أراد الله من قولهم : أهل الجهل هم القسدرية ، فاسمع الى صفتهم بأنه أراد أمرا فلم يكن ما أراد ، فهذه صفة المغلوبين، المقهورين ، المكرهين على خلاف ما أراد — نسخة — أرادوا .

ولأنك تعلم أن كل من أراد شيئا فلم يكن ما أراد ، وكان خلاف ما أراد فقد غلب وأكره على خلاف ما أراد ، فكفى بهذا من القول فحشا، بل جل ربنا عن هذه الصفة وعز وتكبر ، أن يكون يريد شيئا فيكون غير ما يريد ، بل هو المريد لجميع الأشياء .

واعلم أنى كتبت اليك بجليل القول منا فى القدر ، ليتضح لك الأمر ويتشعب لك من هذا أصناف ، وأبواب كثيرة ، لا يمكن لنا شرحها فى الكتاب ، غير أنك قد عرفت ما بينت لك ، ومذهبنا فيه ، ولك فى ذلك دلالة وكفاية .

ولم أذكر لك باب الاستطاعة قبل الفعل أو بعده أو معه ، والحجج منافية بطول الباب وكثرته .

وقولنا : ان الاستطاعة غير المستطيع ، وأنها تكون مع الفعل للفعل، وأن الله يحدثها كل وقت مع الفعل ، ولا يكون الا فعل واحد .

والاستطاعة معنا على ضربين : فمنها نعمة ، ومنها بلية .

فأما النعمة فهى التى يعمل بها الطاعة .

وأما البلية فهى التى يعمل بها المعصية •

وباب الاستطاعة من أعز وأدق ما ذهب فيه المتكلمون فى أمر القدر واختلافهم فيها كثير ، وقد أوضحت لك جملة قولنا فيها ، ولنا بحمد الله — لعله أراد — ولنا بحمد الله على ذلك برهان من الحجج لا يمكن لنـــا ذكر تكرير ذلك فى الكتاب ثم الذى فى سير المهنا بن جيفر •

﴿ مســألة :

قيل : ان أبا حنيفة ، هو النعمان بن ثابت ، أراد الدخـول عــلى جعفر بن محمد ، واذا شاب قد خرج من جماعة من الشـــباب ، فقال له أبو حنيفة : يا غلام الذنب ممن ؟ من الله تعالى أم من الله ومن العبــد أو من العبـــــد ؟

فقال له الغلام : ان كان من الله فليس من العــدل والانصاف أن يكون الذنب منه ، ثم يعاقب عليه ، وان كان الذنب من الله ومن العبد ، فقد أشرك فيه ، وهو الشريك القوى يقدر على منع الشريك الضعيف ، لكن الذنب من العبد ، فان عفا الله عنه فبفضل ، وان عاقبه فبعدل •

وانصرف الغلام مع الصبيان يلعب ، فسأل أبو حنيفة عنه من هذا ؟ فقيل له موسى بن جعفر أمير المؤمنين •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

قوله : ان الذنب من العبد ، فالذنب من العبد اكتساب ومن البارى خلق ، ولا يقال : اكتسب خلق الله ، بل خلق الله كسبه • رجع •

﴿ مســألة :

ومن بعض الآثار : اعلم أن الله تعالى لم يزل يعلم الأشياء ، اذ وهى عدم لم يكن ولم يزل عالما بها فى حال كونها ، ولم يزل عالما بهـــا

بعد كونها ، ولم يزل عالما بها فى حال فنائها ، ولم يزل عالما بها بعد فنائها ، ولم يزل عالما بها بعد انشائها فى الآخرة •

فان سألوا : خلق الله الكفر والايمان ؟

فقل : نعم خلقهما الله عملا من العباد ، ولم يعملهما على وجه ما عمله العباد ، يزنى ويسرق ويعصى ، ولم يفعل الله ذلك على ما عملته العباد ، ولكن الله خلق عملهم ، فخلق المعصية والطاعة عملا من العباد ، وكذلك كل شيء صنعه العباد وعملته ، فالله خالق عملهم ، وخلق الله لعملهم غير عملهم •

وان سألك أحد عن الخير والشر : أهو من الله أم من العباد ؟

فقل : الخير والايمان من العباد بعون الله ، لا يكون العبد عاملا بخير أبدا الا والله على ذلك الخير عون ، لا يكون عمل عمل العبد قبل عون الله ، ولا يعين الله العبد قبل أن يعمل ، وانما يقع عون الله للعبد على الايمان مع الايمان فى حال واحد •

ولا يكون الكفر والضلال أبدا الا من العبد ، ولا يعمل الكفر أبدا الا وهو مخذول عن عون الله ، والكفر منه ، غير أن الله قد علم ما كائن من عمله — نسخة — علمه ، فهو كان كما علم من غير أن يكون علم الله عملا لعلمه لم يعمل العبد •

ولا يكون الايمان والكفر من أحد أبدا الا وقد شاء الله أن يكون منهم ما علم أنه كائن منهم ، وأحب أن يكون منهم ، ورضى أن يكون منهم، ولم يحب الكفر ولا أهله ، وأحب الايمان وأهله ، وأحب أن يكون الشيء ولا يحب المكون ، كما أحب أن يكون ابليس ، وكذلك أحب أن يكون الكفر ، ولا يحب الكفر ولا الكافر •

وكلما شاء الله أن يكون فهو يحب أن يكون ، ويرضى أن يكون ، ويريد أن يكون ، وقد لا يحب بعض ما أراد ، ولا يرضى بعض ما أراده ،

والحسنة من الله ومن العباد ، والسيئة والضلالة من عند الله ، والسيئة والضلالة من العباد ، والضلالة من الشيطان ، فكل لله فيه الملك والقدرة والخـــــيرة •

فأما الحســـنة التى هى من عنـــد الله ، فلطفه وعـــونه ودلالته ، واختص بذلك أهل تقواه الذى سبق لهم فى علمه ، فالحمد لله على انفاذ ما أراد وأمضى فى علمــــــه •

وأما الحسنة التى هى من العباد فأعمالهم فى طاعة الله بمـــا لطف لهـــــم به •

وأما السيئة التى من عند الله ، فالطبع منه والقسوة والران عـــلى القلوب لما هو كائن من أعمال العباد القبيحة لم يلطف الله ولم يمنعهـــم ، ولم يختر لهم مثل الذى يختار الله ولطف به لأهل طاعته •

وكذلك أن الله يختار لأهل طاعتـــه رحمته وعـــونه ولم يبلغـــوها الا بذلك منه ، ويختار لأهل معصيته ضلاله وتركها لما علم الله منهـــم ، ولم يبلغوا لذلك الا بذلك •

وأما السيئة التى هى من العباد ، فأعمالهم فى معصية الله •

وأما الضـــلالة التى هى من عنـــد الله ، فتركه اياهـــم ، وتخليته العاصين الى ما هو كائن مما قد علم من أعمالهم ، وتسليط ابليس عليهم •

وأما الضلالة التى هى من ابليس فأمره ودعوته لمن أجابه •

ونخبركم أن الكفر الا بالذى به يكون وهو العمل بالمعصية ، وهو قبل تلك المعصية برىء من الكفر ، والكفر خلق من الله ، خلقه من العباد عملا ، وهو خلق محدث ، لأن الله خالق كل شىء ، فخلق الايمان والكفر، ومن العبـــــاد عمـــــلا •

ومن غـــيره :

فى قول الله تعالى : (كفروا بالحق لما جاءهم) وقـــوله : (كفروا بآياتنا) (وكذبوا بآياتنا) والكفر الذى يطول ذكره فى القرآن ، وهـــو كفر شرك ، وكفر بالنعم ، والكفر هو التغطية للحق والستر عليه ، واظهار خلافه ، كما يقال : كفر فلان حقه : أنكره وجحده وغطاه ، فالكفر التغطية، كما يقال : كافورة : النخلة تسمى كافورة تغطية الطلع من حين يخـــرج حتى يخــــــــرج .

فالكفر تغطية الحق ، فغطوه وجحدوه فكفروا قوله : (ان الدين عند الله الاسلام) يعنى الاخلاص ، وقال : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقال : (الا من أتى الله بقلب سليم) ســــــليم من الذنوب .

وقوله تعالى : (ادخلوا فى السلم كافة) فى الاســـلام ، وقوله : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) ان طلبوا الصلح والمسالمة فاجنح لها ، والايمان من الاسلام ، لأن الايمان هو التصديق ، والمؤمن هو المصدق ، والمصدق هو المقر المعترف بالاسلام ، والتصديق من الايمان بالطاعـــة والعمل لله بما أمر ، والاسلام والاخلاص كله واحد .

وفى قوله فى يوسف : (وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا ، وقـــول الله : (وما نحن لك بمؤمنين) أى بمصدقين ، وقوله : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، (ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعـــروة الوثقى) وهـــو التصديق بالطاعة والعمل بهـــــا .

وقوله : (وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) معناه جزاء وافر فى الجنة ، وقوله : (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للـــكافرين سعيرا) فالانسان اما كافر كما قال تعالى : (اما شاكرا واما كفـــورا) فالانسان كذلك لا يخرج من أحد هذين .

وأما قوله : (أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم) فالمغفرة هي ستر الذنوب ، كما يقال مغفرة على رأسه ، انما هو ستر رأسه بغطاء يغطى به ، والمغفر ستر وغفران الذنوب سترها ، كما قال لداود : (فغفرنا له ذلك) سترنا ذنوبه ، وقوله : (استغفر لذنبك وللمؤمنين) مثله مغفرتها لك وللمؤمنين أن يسترها ويغفرها لهم •

قال الشافعي :

ومن الدليل على القضاء وكونه
بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

فالرزق يهجر باب عاقل قومه
وتراه بوابا لباب الأخرق

※ مسألة :

وسألت عن القدر ، أهو مما يسع جهله أم لا ؟

فأقول : انه مما يسع جهله حتى يركب الجاهل به شيئا منه بقوله بالقدر مما يوجب على من ارتكبه الكفر ، فاذا فعل ذلك لم يسعه جهله •

واذا سمع من يقول : ان الله لم يخلق أعمال العباد ، ومن يقول : ان الله لم يقدر على العباد ما عملوا ، فلا يسعه ولاية من سمعه يقول هذه المقالة •

قال الخوارزمي :

شهدت بأن الله لم يعط قوة
أخا قوة الا ليقوى على بر

وأشهد أن الله لم يخلق امرأ
ضعيف القوى الا ليضعف عن شر

❋ مسـألة :

فى القدر فى حفظ والدى ، عن أبى عبد الله :

وصل كتابك تذكر أنه أوحشك قوم يقولون : ان الله أمربالفواحش وجبر العباد عليها مع ما قد أغمض الناس فيه وأكثروا ، وتسـألنى عن رأيـــى :

فلعمرى يا أخى لقد حمل الناس على أنفسهم أمورا قد كان يسعهم الايمان بجملتها ، والكف عن الاغمـاض فيها ، والذى نقـول يا أخى : الايمان بالله ، وبجملة ما فى القرآن ، وأن الله خالق كل شىء فقـدره تقديرا ، وأن الله عالم بكل شىء قبل أن يكون ، وأنه لايكون شىء الا بعلم الله ، وأن العباد لا يشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين .

وأن الله أمرنا بالطاعة ، فمن عمل بها فتلك نعمة من الله ، ولله المنة فى ذلك عليه ، وأن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون فلم يأمر الله بالمعصية ، بل نهى عنها وأبغضها وكرهها ، فمن عمل بهـا فالله برىء منه ، ولله الحجة عليه .

فهذه جملة الايمان التى فيها السلامة لمن قال بها ، ولا يسع العباد جهلها ، فان قال قائل ، وجهل من القول فى القدر سواها ، رجـوت أن لا يسأله الله عن ذلك ، وما قصر فيه بصرك ، وحرج عنه صدرك ، فقل : دينى فيه دين المسلمين بلاشك منك فى الله ، ولا فى الاسلام منك .

عرض هذا على محمد بن محبوب وقال : يكتفى من قال بما فيـه ، الا أن يجيئه تفسير من المسلمين مما لم يوصف فى هذا الكتاب ، فليس له أن يرد عليهـم . وفى الأحاديث :

قال ابن أبى يحيى : كنت مع هارون الخليفة ، وعنده أبو يوسف القاضى فقال : ما يقول الناس فى القدر ؟

فقال : أدركت الناس وهم لا يختلفـون يقـولون : ان الله تبارك وتعالى ، ابتدأ الخلق بالنعم ، وجعل لهم السمع والأبصـار ، والأيدى والأرجل ، والعقول ، فلا يهتدى مهتد الا بتوفيق من الله وتسـديده ، ولا يضل ضال الا بحجة من الله ، وتقديم اليه ، فالمحسن معان والمسىء مخذول ، وعلم الله سابق فى الأشياء ، لن يكلف الله نفسا الا وسعها ، والا ما آتاها كما قال فى كتابه •

قال هارون : أشهد أن هذا هو الحق •

قيل : أول ما خلق الله القلم فقال : اكتب • قال : ما أكتب • قال : اكتب القدر ، فجرى القلم بما يكون الى أن تقوم الساعة •

قال غي المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

أليس أول ما خلق الله من الموجود القـلم ولا اللوح ، لأن اللوح والقلم محتاجين الى الهوى ، يلدنا فيه ، فالهـوى قبلهما حـدث ، لأن الناس اختلفوا فى الهوى والزمان أنهما خلقا قبل • رجع •

قال : وبلغنا عن أبى الأسود الديلمى — لعله قال — فان وقـع فى نفسى شىء فى القدر فقلت حدثنى بشىء لعل الله أن يذهبه من قلبى •

قال : ان الله لو عذب أهل سمواته وأرضه عذبهم ، وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أن لكل — لعله لك — مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله ، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وحتى تعلم أن ما أصابك لم يـكن ليخطئك ، وما أخطأك لـم يـكن ليصـيبك •

عن أبى الأسود الديلمى ـنسخة — عن أبى الديلم قال : غـدوت على عمران بن الحصين فقال لى : يا أبا الأسود ما يعمل الناس اليـوم ،

ويكذبون فيه ، أشيء قضى عليهم ، ومضى عليهم فى قدر قد سبق . أوفيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ، وأكدت عليهم الحجة ؟

قال : قد قلت : بلى شيء قضى عليهم ، ومضى عليهم •

قال : فقال عمران : هل يكون ذلك ظلما ؟

ففزعت من ذلك فزعا شديدا ، وقلت له : ليس شيء الا خلق الله ، وملك يده ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون •

فقال عمران : سددك الله . والله ما سألتك الا ليحور عقلك أن رجلا من جهينة ، أو من مزينة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أرأيت ما يعمل الناس ويكذبون فيه ، أشيء قضى عليهم ، ومضى عليهم فى قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهـــم ، وأكدت به عليهم الحجة ؟

قال : « بلى شيء قضى عليهم ومضى عليهم »

قال : يا رسول الله فلم يعملون اذن ؟

فقال رسول الله صلى الله عليهم وسلم : « من كان خلقه لواحدة من المنزلتين فهمه لعملهـــا ، وتصـــديق ذلك فى كتاب تعـــالى : (ونفس وما سواها • فألهما فجورها وتقواها) » •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

ان صح الخبر فله تصاريف غير هذه المعانى ، لأن هذا يأتى عـــلى أن الطاعة والمعصية كلهما نسبهما وابتداءهمـــا من البـــارى ، كالمجبورين عليهما ، اذ كان البارى ألهم الخلق العمل بالكفر ، فالكفر اذن من البارى ، واذا كان من البارىء فكيف يعذب على شيء ابتداءه منه ؟

ولكن قول الله تعالى : (فألهمها فجورها وتقواها) بين لهم ما فيه النجاة والهلاك ، فاذا عمل العبد بالطاعة كان ذلك بعـون الله وتوفيقـه ومنته . واذا عمـل بالمعصـية كان ذلك بمسلم الله وحجته على العبد ، حيث قـد تقدم البارى اليـه بهذا التبيين الذى بينـه الله تعالى له ، وهو الهدى الذى هو هدى البيان ، لا هدى السعادة بل هدى البيان .

الذى قال الله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) قول الله قد هدى الخلق كلهم هدى البيان ، وأن كلا منهم يعمل باختيار نفسه لما يعمل من كفر وايمان ، فهذا هو الموافق لقول الله تعالى : (فألهمها فجورها وتقواها) أى بين لها لما فيه فجورها وتقواها .

فان كان هذا يعنى ألهمه — نسخة — أفهمه للفجور ، لعمله فعمله ، فلا يصح ذلك ، وان كان ألهمه بأن بين له أن هذا فجورها ، وهذا تقواها ليكون على بينة من أمره ، لكن اذا عمل بأيهما باختياره ، جـوزى بمـا يعمل ، فهذا مذهب المسلمين ، وغير هذا لا يصح على مذهبهم . رجع .

* مسـألة :

وجدت هذا فى كتاب هكذا وجدت مكتوبا :

اختلاف الناس فى أفعال العباد مخلوقة أو غير مخلوقة :

فقال أهل القدر بأجمعهم : ان أفعال العباد ليست مخـلوقة ، وان الأمر فيها اليهم ، يملكون أعمالهم ، وينشئون أفعالهم ، وان الله عز وجل لم يخلق أفعال المؤمنين ، ولا سلم المسلمين ، ولا قبول نبـوة النبيين ، ولا تسبيح الملائكة ، ولا صوت الرعـد .

ولا فتح خزنة الجنة أبواب الجنة ، ولا حركات أهل الجنة ولتلذذهم ، ولا حركات أهل النار وتصرفهم ، ولا طيران طـير ، لا دبيب ذر ، ولا حركة بهيمـــة .

وأن الله عز وجل لم يخلق من ذلك شيئا ؛ وأن الأمر فى ذلك اليهم ، ينشئون كما أرادوا ؛ ويفعلون الأمور ، فجعلوا التدبير لاثنين : الله منفرد بفعله ، والخلق منفردون بأفعالهـم ، لا يوصف الله بالقـدرة على فعل هذا ، ولا هذا يوصف بالقدرة على فعل هذا كما قالت الثنوية : ان العالم نور وظـــــلام •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لعله أراد أن العالم من نور وظلام • رجع •

فما كان من خير فهو فعل النور ، وما كان من شر فهو فعل الظلمة ، وكذلك قالت المجوس : أن هرمز هزم الذين يعبدونه قديم ، وأنه يفعل الخير ، ولا يجوز عليه فعل الشر ، وان الشيطان محدث ، ولا يفعـــل الخير ويفعـــل الشر • رجـــع •

ولا يجوز أن يفعل شيئا من الخير ، وصيروا التدبير لاثنين كمـــا قالت الثنوية والقدرية ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

فان سأل سائل فقال : أخبرونى ما الدليل على أن الفعل مخلوق ؟ وما الدليل على أن أفعال العباد مخلوقة ؟

قيل له : الدليل على ذلك من كتاب الله وسنة رســوله ، واجمـــاع الأمة ، واللغـــــــة •

فان قال : ما الدليل على ذلك من كتاب الله ؟

قيل له : قول الله عز وجل : (أم جعلوا لله شركـــاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء) •

فان قال : فما أنكرت أن تكون هذه الآية خاصة وليست بعامة مثل

قول الله تعالى : (وفتحنا عليهم أبواب كل شىء) ، (وأوتيت من كل شىء) ؟

قيل له : فان جميع ما فى كتاب الله خاص فهو مجمع عليه أنه خاص مثل قوله : (فتحنا عليهم أبواب كل شىء) فقد علمنا أنه لم يفتح عليهم أبواب الجنة ، ولا أبواب عطاياه وخزائنه التى أعطاها الملائكة ، وما يقدر عليه أكثر مما وصفنا . فقد أجمعت الأمة أن هذا خاص ، ولو كان ذلك خاصا لأجمعوا عليه ، وكانت اللغة فيه موجودة ، فلما لم يجمعوا ، ولم يكن فيه آية جاءت من القرآن والآثار والسنة ما يؤكده ، علمنا أنه خاص .

فان قال : وما ذلك الدليل الذى أكده ؟

قيل له : قول الله عز وجل : (خلقكم وما تعملون) ، وقال الله تعالى : (خالق كل شىء وهو بكل شىء عليم) فكان مخرجهما مخرجا واحدا فى العموم ، ولو جاز أن يكون واحد منهما خاصا ، جاز الآخر أن يكون مثله ، ومما يؤكده قول الناس ، واجماع الأمة : لا اله الا الله ، ومعنى اله معنا : خالق ، ولو جاز أن يكون خالق غير الله ، لجاز أن يكون اله غير الله .

وسئل على بن أبى طالب عن أفعال العباد ؟

فقال : هى من الله خلق ، ومن العباد فعل .

وسئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن أفعال العباد ؟

فقال : الله خالق كل شىء ، فمن نقض ذلك كان فى رده . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القدرية مجوس هذه الأمة » لاشتباه قولهم بقول المجوس .

يقال لهم : أخبرونى عن الاسلام فعل من هو ؟

فان قالوا فعل العباد ، قيل : فتقولون ان الله رب الاسلام ؟ فان قالوا : نعم فهو رب ما يخلق فان قالوا ...

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

لم أجد للمسألة جوابا فى لفظها غلط ، ولعل المسألة فيما أراد أنه يقال لهم : أخبرونا عن الاسلام من فعل من هو ؟

فان قالوا : فعل العباد .

قيل لهم : أفتقولون ان الله رب الاسلام ؟

فان قالوا : نعـــم .

قيل لهم : هو رب مالا يخلق ، أو قيل لهم : أفيكون رب شيء ولا يخلقه ، فهذا ما يخرج عندى على سبيل مذهب المسلمين . رجع .

*** مســألة :**

وسئل أصحاب القدر : ما أراد الله لعباده بالتفويض ، أراد بهـم الخير ، أم أراد بهم الشر ؟

فان قالوا : أراد بهم الخير بالتفويض .

فقل : الله أقـدر على ما أراد الخير لعبـاده بالتفـويض أم الله — لعله — أم العباد أقدر على ما أرادوا لأنفسهم بالتفويض .

فان قالوا : الله أقـــدر .

فقد انتقض قولهم : ان الله أراد أن يهتدوا جميعا من قبل التفويض

ونفذت ارادتهم فيما أرادوا لأنفسهم ، وهو أقدر على ارادته بهم منهم على ما أرادوا بأنفسهم •

وان زعموا أن العباد أقدر على ما أرادوا بأنفسهم بالتفويض من الله ، فقد كفروا وافتروا اثما عظيما وقالوا : اذن من القول منكرا وزورا •

وان زعموا أن خلقه وعبيده أقدر على ما أرادوا بأنفسهم من الله على ما أراد بهم •

فصــــل

خطب زياد فقال : ان الله قد جعل لعباده عقولا عاقبهم بها عـلى معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، والناس من محسن بنعمة الله عليه ، ومسيء بخذلان الله اياه ، ولله النعمة على المحسن ، والحجة على المسيء•

فما أحق من تمت نعمة الله عليه فى نفسه ، ورأى العبرة فى غيره ، بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله ، ان الدنيا دار فناء ، ولا بد من لقاء الله ، وأحذركم الله الذى حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أجـر المعجزة حتى صاروا الى دار ليست لهم منها أوبة ، ولا يقدرون فيها على توبة ، وأنا أستحلف الله عليكم وفيكم •

وقال معين بن معين ، فيما أحسب :

يا لهـــا من ندامــــة لو أفـــادت
فرحـــا فى مــواقف التفنيـــــد
حســـرة المجـــرمين من أعظـم خطبا
حين لـــم يعلمـــوا بفرض الحـدود
كـــان تفريطهـــم وبالا عليهـــم
اذ شـــروا باخســا بيــوم السـعود

دلنـي باعتـرافهم بالمعـاصي
انهـا من فعـال عبد مـريد

ليس في العدل عدل نفس على مـا
كـان من غيرها فهـل من مفيـد

ليس علـم الالـه فينـا بمضـر
لا ولا مكرهـا لفعـل الـكنود

حجج الحـق واضـحات علينـا
برسـالات ربنـا المحمـود

فبتوفيقـه اهتـديت لرشـدي
وبربي أعـوذ من معهـودي

ان عفـا سيدي فعن جـرم عبد
في هبـوطه وتـوبة وصـعود

كـل حـكم للـه في الخلق عـدل
برىء اللـه من ذنـوب العبيـد

غـير أني أنـا الفقـير اليـه
في قيـامي ومنهضـي وقعـودي

مـا على العبـد غير أمـر ونهي
فهمـا حجـة عـلى المـكدود

ان في الأمـر منـه والنهي خطبـا
فيـه تبيـان كل أمـر وطيـد

ومن الزيادة المضافة قال المضيف :

وجدت فى بعض الكتب هذه الأبيات من الشـــعر :

لم تخلُ أفعـــالنا اللاتى نـــذم بهـــا
إحدى ثلاث خصـــــال حين نأتيهـــا

أمـــا تفـــرد مولانــــا لصـــنعتها
فادفـــع اللـــوم عنـــا حين نأتيهـــا

خـــبر :

قال عيسى بن هشام : دخلت فرسان البصرة ومعى أبو داود المتكلم فنظرت الى مجنون تأخذنى عينه وتدعه فقــال : ان صــدق الظن فأنتم غـــــرباء !

فقلت : انا كذلــــكَ .

فقال : من القوم لله أبوهم .

فقلت : أنا عيسى بن هشام ، وهذا أبو داود المتكلم .

فقال : العســـكرى ؟

فقلت : نعـــــم .

فقال : شاهت البلدة وأهلها ، ان الخيرة لله لا لعبده ، والأمــور بحمد الله لا بحمده ، وأنتم يا مجـــوس هذه الأمة تعيشـــون خـــيرا ، وتموتون صبرا ، وتساقون الى القدر قهرا ، ولو كنتم فى بيوتـــكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم .

ألا تنتصفون ان كان الأمر كما تصفون ، وتقولون : قاضى الظلم

ظالم ، أفلا تقولون قاضى الهلاك هالك ! أتعلمون أنكم أخبث من إبليس ذنبا ، قال : رب بما أغويتنى ، فآمن وكفرتم ، وأقر وأنكرتم ، وقلتم خبر وأخبار ، وكلاما لمتسار لا ينعج بطنه ، ولا يرمى من خالف ابنه ، ولا يفقأ عينه •

فهل الاكراه الا ما تراه ، والاكراه مرة بالمسرة ، وتارة بالدرة ، فليجزيكم أن القرآن ليعظكم ، أن الحديث يغبطكم اذا سمعتم من يضلل الله فلا هادى له ألحدتم ، واذا سمعتم عرضت علىّ الجنة حتى هممت أن أقطف من ثمارها ، وعرضت علىّ النار حتى أيقنت حرها بيدى أنغضتم رءوسكم ، ولويتم أعناقكم •

فان قيل : عذاب القبر طيدتم ، وان قيل : قيامة تغامزتم ، وإن ذكر الكتاب قلتم من القدر دفناه ، وان ذكر الميزان قلتم من الفزع كمتاه •

يا أعداء الكتاب والحديث بماذا تطيرون ! أبالله وآياته تستهزئون ، انها مرقت مارقة ، فكانت حيث الحديث ، ثم مرقتم منهـا قلتم أخبث الخبيث ، يا مخابيث الخوارج ترون رأيهم الا القتال •

وأنت يا ابن هشام تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض وسمعت أنك افترشت منهم شيطانه ، ألم ينهك الله أن تتخذ منهم بطانة ! هلا تخيرت لنطفتك ، ونظرت لعقبك •

اللهم أبدلنى بهؤلاء خيرا منهم ، وأشهدنى ملائكتك •

قال عيسى : فبقيت وبقى أبو داود لا يحير جوابا ، ورجعنا عنه بشر وانى أعرف انكسارا فى أبى داود حتى افترقنا ، فقلت لأبى داود : فما الذى أراد بالشيطان ؟

قال : لا والله ما أدرى ، غير أنى هممت أن أخطب الى أحدهم ، ولم أحدث بما هممت ، فوالله لا أفعل ذلك أبدا •

*** مسـألة :**

ومن جواب الامام المهنا بن جيفر ، الى معاذ بن حرب :

وأما ما ذكرت من معرفة التوحيد وصفته فمن قولنا : ان الله واحد لم يزل ولا يزال الى غير غاية ولا نهاية ، وأنه صانع الأشياء وفاطرها ، ومنشئها كما يشاء ، وهو الاله ، والخـلق مألوهـون ليس له شريك فى صنعه ، ولا ضدّ له فى ملكه ، ولا شبه له ولاند ، ولا صاحبة ولا ولد ، وأنه محيط بالأشياء وناظر اليها ، ومطلع عليها ، ولا تحيط به أقطارها ، ولا تدركه أبصارها فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ولا هو الى شىء بأقرب منها الى شىء لا يستعين ساطع الضـياء على الاحاطة بالأشياء ، ولا تحجبه ظلم الدجى عن درك ما تحت الثرى ، يدرك الأصوات وان كثرت بلا اصغاء منه اليها ، ولا استماع منه اليها ، ويرى الأشياء بلا لحظ منه لها ، ولا جنوح الحاج منه اليها ، سبحانه عن ذلك وعز أن يقع عليه التوهم ، أو يدركه التوسم ، نصفه بما وصف به نفسه فى كتابه ، ولا نجاوز ذلك ولا نعدوه بتحـديد ، ولا تبعيض ولا تقدير ، ولا تصـوير .

وقد قال قوم : ان الله تعالى تدركه الأبصار فى الآخـرة ، وذلك ما هم فيه على الله كاذبون ، والحجة عليهم فى انفاء ذلك عن الله قوية من المسلمين ، نحمد الله ، وذلك أنا نقول لهم : أخبرونا عن الله تبـارك وتعالى ، هل نفى عز وجل أن تدركه الأبصار فى الدنيا ، فلا بد لهم من مجامعتنـا .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

على قول نعم فنقول لهم : ان عزة الله وجلاله دائمة غير زائلة فى الدنيـا ولا فى الآخـرة *

فان زعموا أن العز يذهب عن الله فى الآخرة ، فهذا ما تجهله القلوب ومن قبل هذه الجهة فسد عليهم قولهم ، وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا •

ومن صفتنا لتوحيد الله تبارك وتعالى أنه يفعل ما يشاء ، ولا يفعل ما يشاء سواه ، وما أراد فهو كائن ، وما لم يرد فغير كائن ، فمن وصف بصفته — لعله بغير — وتأول فى صفته كتاب الله تعالى ، فأخطأه وذلك مثل قول من قال : ان الله واحد ، غير أن له يمينا ، وتأول قول الله تعالى: (والسموات مطويات بيمينه) •

فانا نقول : انهن مطويات بقدرته ، ولا نحد لله يمينا فنكون هنالك ننسبه بتشبيه ، وذلك فى نحو مثل قوله : (وما من دابة الا آخذ بناصيتها) يقول قادر عليها يصرفها حيث يشاء ، لا يجوز أن نقول — نسخة — يقال آخذ بناصيتها أن نصف فنقول : قابض عليها تعالى عن مماسته الأشياء •

فلما فسد هذا علمنا أنه من حد الله ووصفه أن له يدا محدودة ، وأشباه ذلك من زعمهم ، أن الله تدركه الأبصار فى الآخرة ، واحتجوا بقول تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة) وليس ذلك بالنظر اليه ، ولكن تنتظر ثوابه ورحمته •

قال الناظر فى قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) من النضارة وهو الحسن ، وهى بالضاد (الى ربها ناظرة) أى منتظرة الى ثواب ربها وهو بالظاء ، والله أعلم •

وهم عندنا بقولهم هذا كفار نعمة ، لا كفر شرك ، حتى يتوبوا ، والكفر عندنا كفران : كفر جحود ، وكفر نعمة •

فأما كفر الجحود : فهو الكفر بالتنزيل •

وأما كفر النعمة : فهو الخطأ فى التأويل ، مما نصبه الناس دينا

ودعوا الخلق الى مخالفته ، فهم عندنا بذلك ضلال هالكون ، الا أن يتوبوا ويرجعوا الى الحـــــق •

ومن غـــيره :

الشرك من أشرك بالله شيئا ، قال الله تعـالى : (ولا تشركوا به شيئا) لا تجعل له شريكا ، وقال تعالى : (لئن أشركت ليحبطن عملك) فالشرك بالله يحبط العمل ، والمشرك بالله من جعل معه شريكا ، فقـد أشرك به غيره مما لم يأذن له به ، فقال : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك) •

وقال : (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم)، فلهم النار بشركهم وبكفرهم ، والآى كثيرة فى معنى الشرك والكافر ، والجاحد بحق الله ، كما أن من جحد حقا يجب عليه أن يسمى جاحدا ، والجاحد خارج من جملة المعترف وحكم المطيــع •

ومن جحد شيئا كفر به ، ومن جحده وكفر به أشرك به غيره ، اذا جعل غيره سواه مثله ، والجاحد المنكر لله وللرسول مشرك به ، خـارج من الايمان ، لجحدانه اياه ، وانكاره له ، والملحد هو الخارج الى جانب من الشيء خارج منه بظلمه ، قال الله تعالى فى البيت : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) خارج من الحق بظلمه فى ناحية •

والفاسق : هو الذى قد فسق بفعله ، وخرج من دخوله فيمـا أقر بفسقه ، كما يقال : فسقت الرطبة ، اذا خرجت من قشرتها •

والعاصى : هو من خالف ما أمر به ، ومن خالف سيده فيما يأمره به عاص له ، قال الله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم) استوجب العذاب ونار جهنم بمعصيته •

وقال تعالى : (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار) فأوجب لهم الجنة بالطاعة له ولرسوله ، وقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) أى شرك ، (أو يصيبهم عذاب أليم) .

والظلم ظلمان : كفر وكيد ، ظلم جحود ، وظلم كفر ، وقد قال تعالى : (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) ، (وما للظالمين من أنصار) ، (وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) .

والنور هو الهدى والبيان ، قال الله تعالى : (يهد الله لنوره من يشاء) أى يهدى للحق من شاء ، وقال تعالى : (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ويقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا) والنور الهدى والبيان، والايمان نور فى قلب المؤمن ، والكفر ظلم فى قلب الكافر .

وقال فى المنافقين : (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) والنفاق مأخوذ اسمه من جحر الضب يسمى نفقا ، يدخل فيه من جانب ، ويخرج من جانب آخر ، كذلك المنافق يدخل الاسلام بقوله ، ويخرج منه بنيته وفعله ، وقد قال الله تعالى : (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) أى خبثا الى خبثهم (وماتوا وهم فاسقون) .

وقال : (ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) جعل لهم النار بنفاقهم ، وقال : (ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا) وقد سمى الله المشرك والكافر فاسقا بقوله تعالى : (الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وقال : ابليس كان من الكافرين .

والنزول منه خلق ، قال الله تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء) وقوله : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وقوله : (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) هذا ومثله خلق .

وقوله : (وأنزلنا اليك الذكر) ، (وانا نحن نزلنا الذكر) ، وقال : (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) غير خلق ، لأن كلام الله غير كلام المخلوقين، ولا تشبهه بخلقه فى شىء من الأمور .

وأما قوله تعالى : (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) معناه أنه تعالى يبين لهم ، ويعرفهم ما يتقسون ، ويخبرهم فيتركوا ما يبين لهم ، ويأخذون بغيره ، ويتبعون غير ما حـد لهم ، وبين لهم ، فضلوا بذلك عن طريق الحق الذى بين لهم .

فتركهم تبيينهم على مخالفة الحق فلم يتبعوا الطريق ، فصاروا ضلالا كما قال : (فضلوا عن الهدى) ألا ترى أن الذى يأخذ غير الطريق فى اللغة يقول : ضللت وعميت وغويت عن القصد الذى أردت .

والاغواء منه قوله تعالى : (قال ربى بما أغويتنى) جنبنى ، قد سمى الذى يأخذ غير الطريق المعروف ضل ، أو ضال أو غوى ، يقـول عمى عن القصد الذى ينال به السعادة والثواب .

والخذلان : هو من خذل عن الحق ، سمى مخذولا ولم ينصر عـلى فعله ، مخذول متروك من النصر ، ألا ترى أن من كان يطمـع أن ينـال شيئا فلم يصله فضل سمى خذلا ، ومن لم يكن له ناصر ، سمى مخذولا ، أى خذلوه تركوا نصرته فخذل ، لم ينصر .

والنصر : انما هو من الله على الطاعة ، سمى نصرا منه ، أعـانهم وأرشدهم وبين لهم فعلموا فسمى نصرا منه .

وتوفيق : هو اصابة الحق ، والمراد الذى قصدوه ، ألا تـرى أن من أراد أمرا فوجده فى السرعة ، ولقيه يقول : وفق لى موفق ملقى ، ويقال : أتفق أصاب ، يقال وفقت اذا أصاب الصواب فى الأمر بعينـه ، واذا لم يصب يقال أخطأ وضل ، وعمى وغوى ولم يهتـد ، وقـد نزل النصـــــر .

كل هذا تجرى به اللغة والعادة مجرى ذلك طريق واحدة ، ومجرى التوفيق والهدى والبيان والسداد ، والأفضل والمراد طريق واحدة ، فطريق اصابة الحق هدى الى السعادة ، وطريق العمى اصابة الضلال والاتباع لغير البيان ، والغواء والخذلان طريق الأشقياء شقوا لم يصيبوا أمرهم .

ومما يوجد أنه عن أبى الحسن على بن محمد : وسألته عن المعدوم، هل يقع عليه اسم شيء ؟

قال : المعدوم على ضربين : يكون ولا يكون ، فما لا يكون فلا حظ للنظر فيه ، ولا أعلم أنه يقع عليه شيء من الأسماء .

وأما ما يكون فانه ينقسم على قسمين : معاد ومبتدأ ، فما وقعت عليه اللغة منها وصفا فلا قياس فيه ، وما كان اللغة فحيث كانت كان الاسم لها صحيحا بصحة التمييز ، وهما عرض وجوهر ، لا ينفك أحدهما من صاحبه ، ومحال وجوده الا به ، فهما مع العيان مشاهدان فى الأوهام، موجودان ، ودليلان صادقان ، وشاهدان على أنفسهما أنهما محدثان فيما جعله .

قلت : فالاسم صفة أم جوهر ؟

قال : أما من يقول ان الاسم هو المسمى به ، وأن اسم الشيء هو الشيء لا غيره ، لأنه لايخرج الا أنه جوهر وعرض ملازم له ، وهذا لا يصح الا فى الأجسام المؤلفة .

وأما من يقول : ان الاسم غير المسمى ، فهو عرض وهو صفة للموصوف من الواصف له ، وليس هو هو .

وأما من زعم أن اسم الشيء لا هو ولا غيره ، فيقول : انها صفة لشيء لا هي هو ولا غيره .

قلت : وهل يجوز أن يكون الشيء ولا يسمى ؟

قال : لا ، لأن الأسماء لا تعرف الا بمسمياتها ، والموصوف بالشيء يسمى به ، والاسم صفة .

واذا قلت شيء وصفت شيئا الا ما اختلف الناس في صفة الله تعالى، فبعض قال : ان الله تعالى ليس بمسمى ، وهذا القول مالا يصح مع أصحابنا ، لأن قول القائل : الله واسم الله ، فقد سماه ووصفه .

قلت له : واذا لم يجز أن الشيء مسمى ، فالاسم هو أم غيره ؟

فقد مضى الجواب من كتابي في أول المسألة ، وقد قلت : ان منهم من قال ان اسم الشيء لا هو ولا غيره .

وقال آخرون : أن الاسم صفة له وهو غيره .

وقال آخرون : أن اسم الشيء هو أن الوصف للشيء لا يقع الاعليه، واذا كان لا يقع الا عليه كان هو .

واحتج بقول لبيـــد :

الى الحـــول ثم اســـم السلام عليكما
ومن يبك حـولا كـاملا فقــد اعتــذر

فذكر الاســم وأراد المســمى .

قلت : فاذا كان غيره فهو عبارة عنه ؟

قال : أما على قول من يقول : ان الاسم غير المسمى ، وانما هــو

تعريف له ووصف يدل عليه من الواصف له فى حال صفته له ، فانما هـو تعبير عن صفته ودلالة عليه ، وهو كلام من المتكلم أنه محدث •

قلت : أسماء البلدان محدثة أو قديمة ؟

قال : الأشياء كلها محدثة الأسماء وغيرها من البـدان ، القـديم هو الله المسمى لهذه الأشياء كلها ، تعالى الله عن الأشياء •

وأما صفة الواصف باسم البلد فى حال صـفته له محـدث اللفظ ، فذلك للاسم ، وقد يوصف بأنه قديم لقدم متناه لا فى وقت الوصف من الواصف له ، وقد يوصف الشيء بالقديم والاسم ، يقال : هذا بلد قديم، والقديم فى اللغة تقع على من خلاله سنة الى أكثر سمى قديما الى قـدم متناه يولى — لعله — يؤول تقدمه الى الفساد •

وأما صفة الواصف باسم البلد فهو من المتكلم محدثه فى حال لفظه لا بعد ذلك ولا قبـــــله •

وقد يقال : هذا افك قديم ، وملك قديم ، والعرجـون القـديم ، وشيء قديم قدم متناه ، وانما هى حقيقة الواصف للقديم ، الذى لم يزل الى غير غاية ولا نهاية ، تعالى الله عن الأشباه •

تدبر مـا كتبت به اليك ، وأجبتك به ، فان تبين لك غلط من قولى ، ومخالفتـه لشيء من الحق ، فأنا تائب الى الله من ذلك ، لأنى ضـعيف النظر والمعرفة ، ولا آمن الغلط والخطأ ، ولا توفيق أبدا الا بالله ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم •

❋ مســألة :

قال أو سفيان : قال أبو محمد المهدى ، وكان من أفاضل المسلمين ، لا يذكر الحسن فى شيء من القدر ، فانى عاينته فيه ؟

فقال : معاذ الله أن أقول ذلك انما أفسد على قلبى ، وأضل أيامـا كنت مستخفيا عنـــده •

وأما ان كان أقول بالقدر ، فمعاذ الله ، وكان أبو محمد يقـول : هـــذا أبعد النـــاس من القـــدر •

❋ مســألة :

من الزيادة المضافة :

أظن عن أبى سعيد :

وقلت : وان قال : خلق الله العباد للطاعة أم المعصية أم لا لهـذا ولهـــذا ؟

فقـــال : أن الله خلق العبـــاد للطاعة لا للمعصـــية ، كذلك قوله : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ، والمعنى فى ذلك أنه ليأمرهـم بعبادته وطاعته ، ولم يخلقهم ليعصوه ولا ليعبدوا غيره ، جل الله وعـز عن ذلـــك •

قلت له : فإن قال خلق الله القوة للعبد للطاعة أم المعصية ؟

فمعى أنه يقال له : انه خلق القوة للعبد للطاعة لا للمعصية ، كمـا خلقه للعبد للطاعة لا للمعصية ، على معنى الأمر والنهى •

قلت : فان خلقها فيه للطاعة فعصى ، أليس قد أتى بما لم يقوه الله من فعل نفسه ، فهذا استطاع خلاف ما جعل الله فيه ، فالجواب له ؟

فمعى أنه من الجواب له أنه لم يفعل ما جعل الله فيه ، ولكن فعل ما لم يجعل الله له ، وجعل الله له ، غير جعل الله فيه ، وانما فعل ما فعل

بما جعله الله فيه من الجوارح التى بها عصى ، وفعل ما لم يجعل الله له، فافهم معانى جعل الله له من جعل الله فيه .

قلت : فان قال : القوة التى يواقع بها العبد المعصية أهى من خلق الله وتركيبـــــه ؟

فمعى أن القوة من خلق الله تبارك وتعالى ، وتركيبه فى العبد التى جعلها ليطيعه بها فعصاه .

* مسـألة :

ومن غير الكتاب والزيادة :

موجود بخط الشيخ العالم أبى القاسم بن محمد بن أحمد بيده : فان قال قائل : لم خلق الله الخلق لأى حكمة خلقهم ، ولأى حكمة رزقهم، ولأى حكمة أماتهم ، ولأى حكمة بعثهم ، ولأى حكمة حاسـبهم ، ولأى حـــكمة غفـــر لهـــم ؟

الجـــواب :

خلقهم ليظهر ضعفهم ، ورزقهـم ليظهر كرمـه ، وأماتهم ليظهـر سلطانه ، وبعثهم ليظهر قدرته وحاسبهم ليظهر عدله ، وغفر لهم ليظهر عفوه ، (وهو على كل شىء قدير) ، (ليس كمثله شىء وهو الســميع البصـــــير) .

* مسـألة :

أحسب عن أبى ســـعيد :

وقلت : هل يجوز أن يقول : ان الله قضى على الكافرين النار ؟

فمعى أنه يجـــــوز •

قلت : واذا قال : اذا كان يجوز هذا اللفظ فما معناه ؟

فمعى أنه من معناه أنه شاءه ، وأراد أن تكون لهم النار ، وما شاء وأراد فهو كائن ما شاء وأراد •

قلت : وكذلك هل يجوز أن يقال : ان الله قضى لأهل الجنة بالجنة ، وما معنى ذلـــــك ؟

فمعى أنه يجوز ، ومعناه عندى ما ذكرت لك •

قلت : وان قال قائل : ما معنى قول الله تبارك وتعالى : (وكـــان أمرا مقضيا) أكان قد قضى ، أم قضى لولدها ؟

فالله أعلم ، ومعى أنه قضى عليها وعلى ولدها ، واعلم أن الناس داء •

بـــــاب

في دعاء الله عز وجل

ومن جامع أبي محمد :

المسألة لله ، والدعاء فريضة ، لقول الله جل ذكره : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنـــم داخـــــــرين) .

وقال جل ذكره : (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعــوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

وقال جل ذكره : (واسألوا الله من فضله ان الله كان بــكل شيء عليمــــــا) .

وقال عز اسمه : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) . ففيما تلونا من آيات الله من القرآن يدل على ما قلناه ، وعلى فضل الدعاء وكبر منزلته ، وعلى أن الاجابة فيه مضمونة اذا وقع على الوجه المرغب فيه ، دون المحظور منه ، لأن مالا يجوز ليس يقــع به الضــمان باجابته ، لأنه ليس في الحكمة أن يقول للناس : سلوني مالا يجــوز أن أجيبكم اليه ، لأن ذلك يقع على غير فعل الحكيم .

ويدل على ذلك أيضا ما يعرفه الناس من مسألة العبد ربه الرحمــة والغفران عند حادث يحدث به ، لا يأمن أن يكون عقابا يحدث ، وعند توبته من ذنب قد سلف منه ، فان الدعاء في مثل هذا وأشباهه ، قد يلزم فعله ، ولا يجوز تركه ، لأن المسلمين جميعا يعيبون على من أعــرض عن ذلك ولــــم يفــــرغ اليــــه .

واختلف الناس فى الدعاء فقال قوم : الواجب أن يدعو الانسان ، ويكون سؤاله مقيدا فى العقد ، والضمير بشريطة حكم الله فيه ، وما هو أعلم به من حق تدبيره لئلا يقع دعاؤه موقع الاعتراض على ربه ، والحكم عليه ، لأن العبد هو المربون فلا حكم له على سيده فيما هو أملك به ، وأعلم بوجهه منه •

وقال قوم : قد يحسن اظهار ما يضمر من ذلك فى أمور ، ولا يحسن فى أمور أخرى ، وذلك كقول القائل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وأغننى ما كان الغنى خيرا لى ، وهذا لعمرى سائغ فى الدعاء والمسألة •

وعندى أنه لو أفرد الدعاء ، والمسألة بالحياة والغنى بغير اظهار شرط الخبر ، كان جائزا اذا كان عقده وضميره ما يدعو المسلمون •

* مسـألة :

وعمن عجز عن دين ربه ، فسأل ربه الموت ، فهذا لا يجوز أيضا ، لأنا عرفنا أن المؤمن لا يجوز له أن يدعو على نفسه بالموت ، والدليل على ذلك ما جاءت به الأخبار : « لا يدعو أحدكم بالموت فان المؤمن لا يزداد الا خيرا وايمانا » •

وقال قوم : الدعاء والمسألة لا يحتاج معهما الى ضمير يعتقده ، ولا يشترط معها ولا اظهار ذلك أيضا لأن موضع الدعاء هو على ذلك ، ولا وجه لاشتراط الدعاء فيه باظهار اللفظ ، ولا بعقده بضمير •

وعندى أنه يجب اذا دعا ربه ، وسأله أن يفقره أو يميته أو نحو هذا ، فلا بد له من اظهار الاشتراط بأن يقول : ما كان الفقر خيرا لى فى دينى ، وما كان الموت أنفع لى من الحياة ، ولا يرسل المسألة فى مثل هذا ارسالا ، والله أعلم •

لأن من لم يشترط فى مثل هذا الموضع ، خرج دعاؤه مخرج السخط والاستصغار لنعم الله عليه ، ولا ينبغى للعبد أن يسأل ربه الا ما يكون بدعـــائه مطيعـــــا .

ولا يجوز أن يسأل ربه ما لو فعله لم يكن فعله خروجا عن الحكمة ، وذلك مثل قولهم : اللهم أحى لى من أمت من أهلى وقرابتى قبـل يوم القيامة ، وأرجعهم الى الدنيا ، واجعل مدة عمرى ألف سنة ، وهب لى ملكا مثل ملك سليمان النبى عليه السلام .

ولو فعل هذا ، أو دعا به كان جاهلا متحـكما على الله تعـالى ، وخروجا عن حد مسألة المتهيب الخاضع الى حد مسألة المتحكم الملزم ، وليس من مسألة العبد لسيده فى شىء ، وانما يجـرى مجرى الأمـر والالزام وايجاب الفروض .

والمسألة وان كان لفظها لفظ الأمر ، فانها تتصل بما يطلق به اسم الأمر بما يجامعها من القصد والارادة والخضوع ، والاستكانة والتواضع، ونفى الألفة ، ولهذا لم يجز أن يقال : ان العباد يأمرون الله وينهـونه بدعائهم له ، ومسألتهم اياه .

وقد ذهب بعض المعتزلة على أن الأمر والمسألة يقعـان على حـد واحد ، فزعموا أنه لم يسم دعاء الله ومســألته أمرا ، اسـتعظاما لله تعالى ، فكأنهم ذهبوا الى أن قائلا لو قال ذلك لم يكن مخطئا ، ولســنا نذهب الى ذلك ، بل الذى نختاره انما تطلق له اسم المســألة ، والدعاء يقع على غير حد الأمر والنهى .

ووجدت بعض من يتخصص بالنحو ، يذكر أن لفظ الأمـر والنهى على وجهين : فما كان لمن هو دونك فهو أمـر ونهى ، وما كـان لمن هـو فوقك فهـــو مســـــألة .

وقال بعضهم : وما كان الله فهو دعاء ، كأنه يذهب الى أن يسأل الله عز وجل أن يفعله ، فهو وان كان مسألة ، فهو دعاء أيضا ، وأن مسألة الله عز وجل تخص بهذه الصفة ، وتقدر بها ، وهذا وجه شائع ألا ترى أنك تقول : دعوت الله بكذا ، غير قولك : دعوت فلانا الى كذا .

وأما مسألة الله للعبد ، فهو عندي ، والله أعلم ، أنهما للترفق والاستعطاف ، والدلالة على موقع الحض مثل قوله تعالى : (ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا) وقوله تعالى : (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) .

ودعاء العبد ربه ، فهى مسألة الخاضع المستكين ، ومن هذا ونحوه لم يجز أن يدعو داع فيقول : يا رب لا تجور علىّ ولا تظلمنى ، وان كان معلوما أن الله لا يفعل شيئا من ذلك ، لأن هذا اللفظ وما شاكله يخرج عن حد خطاب التعظيم والهيبة والاجلال .

فمن أجل ذلك لم يجز هذا وشبهه فى دعاء الله تعالى ، وجاز أن يقال : (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا) وان كان من حكم الله أنه لا يحمل أحدا مالا طاقة له به اذا كان هذا كلاما يدل على الخضوع والاستكانة ، وعلى الانقياد وليس من الأول فى شىء .

وكل شىء سأله السائل ربه أن يفعله ، فهو عندي على ضربين : أحدهما شىء من حكم الله أن يفعله دعا به الداعى أو لم يدع به ، وشىء من حكم الله الا يفعله الا بعد دعاء ، فأما المعنى الذى من حكمه أن يفعله دعابة الداعى أو لم يدع به ، فكالذى حكاه الله عز وجل من دعاء ملائكته وسؤالهم اياه ، واستغفارهم للمؤمنين (قالوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) .

وقد علمنا أن الله تعالى يدخل المؤمنين الجنة ، وأنه يغفر للذين تابوا ، دعا بذلك داع أم لم يدع .

وأما الضرب الذي ليس من حكم الله أن يفعله الا بعد الدعاء ، كدعاء الأنبياء للأشياء التي لولا دعاؤهم بها لما اتفق كونها على سبيل ما اتفقت عليه من الكثرة ، ومقادير الأوقات لعلم الله عز وجل ، بأن ذلك لا يكون موجبا للحجة ، ولا واقعا موقع المصلحة الا بأن يكون بعد ذلك الدعاء .

وقد علمنا أن المسلمين يوجهون دعاءهم الى الله فى النصرة على المشركين ، وفى استسقاء الغيث ، وفى كشف ما كان من المكان ، وفيما يشبه ذلك وجرى مجراه ، رغبة الى الله جل ذكره ، وطمعا فى أن يكون اجتهادهم سببا لاجتلاب ما سألوا .

فقد دل ذلك على أن الدعاء ما لم يكن الشيء المسئول فيه ، وان كنا لا نعرف كل شيء من ذلك بعينه مما سواه ، ولكنا نعلم فى الجملة أن مما ندعوا به أن الله يفعله دعونا به أو لم ندع به ، ومنه ما نعلم أن الله جل اسمه لا يفعله الا بأن ندعوا به ومنه مالا ندرى من أن الصفقتين هو ، فنحن ندعوا به ، بحسن الدعاء لما فى ذلك من الوجهين والله أعلم .

فان قال قائل : ما وجه الدعاء بما معلوم أن الله يفعله بغير دعاء ؟

قيل له : وجه ذلك ما يكتسب به الداعى فضل الطاعة بالدعاء ، وما يرجو به من الله الثواب عليه ، ومما يستعمل من الانتفاع به فى خشوع قلبه ، والتأديب لنفسه .

وأيضا فان الدعاء جرى مجرى التسبيح والتقديس وسائر ضروب الذكر الذي يفعله المسلمون ، فكل وجه يحسن فيه تسبيح الله وتقديسه ، فهو حسن منه دعاؤه ومسألته ، وعلى أن الداعى بما يعلم أن الله يفعله بغير دعاء يتعرض للاجابة اذا كان وقوع ما يقع من ذلك الشيء الذي دعا به ، وهو لا محالة فاعله .

قد يقع على وجه الاجابة ، وعلى غير وجه الاجابة ، لأن اجابة

الدعاء انما يكون بأن يريد الله جل ثناؤه ، وأن يفعل ما يفعل اجابة مسألة الداعى ، وفيما سأل ليس بأن يفعل ذلك بعد الدعاء فقط .

ألا ترى أن مسألة — لعله — ان سبيله له ألا يفعله الا بدعاء ، أو قد فعله بغير دعاء الداعى على وجه الاجابة لدعائه ، كان غير مجيب له فيما دعا ، وان كان قد فعل ما أراد له الداعى بدعائه أن يفعله .

وكذلك أيضا ما يفعله بغير دعاء ، فقد صح أن يفعله على وجه الاجابة بدعاء الداعى ، واذا جاز أن يقال : ان الله تبارك وتعالى يجيب الملائكة فى دعائهم للمؤمنين وأهل التوبة بالمغفرة ودخول الجنة .

لأن الله عز وجل يفعل ذلك مريدا به الانعام على من يغفر له ، والانعام على الملائكة باجابة دعائهم ، ويدل على ذلك لو أن انسانا عزم على صلة رجل وبره بمال يدفعه اليه ، فبدأ رجل فسأله ذلك ، وهو لا يعلم عزمه ونيته ، لجائز أن يقول : انى قد كنت عزمت على هذا وعلمت به لا غفل وأعرض عنه .

وأنا الآن أفعل ذلك ليجتمع لى أمران : أحدهما : قضى حق مسألتك، والآخر قضى حق الرجل الذى سألت فيه لكان بهذا القول محسنا محملا وموجبا على السائل شكرا عند أهل المعرفة والعقول .

فهذا يقوى عندى قول من يقول ان الاجابة بموافقة الارادة ، ولا يشترط فى ذلك شيئا من هذه الجملة .

وقد اختلف الناس فى اجابة الله تعالى من يدعوه فقال بعض المعتزلة: ان ذلك ثواب للداعى ، وان الكافر والفاسق لا يستجاب لهما دعاؤهما ، لأنهما ليسا من أهل الثواب ، ولأن اجابة الله عندهم للداعى تشريف له ، ودفع من منزلته .

وهذا القول عندى غلط من قائله ، لأنه ليس بمستحيل أن يقع من

الله اجابة لبعض خلقه على غير جهة تشريف الداعى ؛ بل يجوز أن يكون على سبيل الاستصلاح له ، والاستدعاء بذلك الى طاعته . فربما كان فى ذلك مرجو لبعض خلقه ، كنحو الاجابة لدعوة المظلوم ، وان كان ذلك المظلوم مشركا أو فاسقا ، كما ورد الخبر بذلك أن دعوة المظلوم والحاج والوالد مستجابة •

وفى رواية أخرى : أن دعوة المظلوم لا يردها راد حتى تتصعد الى السماء ، ومثل هذه الأخبار كثيرة ولو كانت الاجابة لا تكون الا تشريفا وتعظيما للداعى ؛ لم يجز أن يجيب النبى صلى الله عليه وسلم سائلا يسأله شيئا ، حتى مؤمنا تقيا ، فرذا مالا يذهب فساده على أحد من أهل الصلاح ، والله نستهديه لما يحبه ويرضاه •

وأيضا فان الاجابة قد تكون تشريفا ، وقد تكون احتجاجا واستعطافا كنحو ما يتعارفه الناس من أن انسانا لو سأله الناس عدوا له حاجة فقضاها ، وهو غير متصرف بقضائها من عداوته ، لم يكن فعله قبيحا ؛ بل نعمد بذلك زيادة فى نيله ، ودالة على جلالته ، وسعة صدره ، وانه بذلك يستعطف عدوه ، ويبسطه حتى يكون له وليا ، بعد أن كان له عدوا ، وبالله التوفيق •

وذهب بعض من يقول بالوعيد الى أن الله تعالى يجيب كل داع يدعوه على الشريطة التى لا يجوز أن يخرج الدعاء الا عليها ، وزعموا أن الله جل ذكره قد تضمن بقوله : (ادعونى أستجب لكم) وقوله : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) •

وقالوا : لم يخص بهذا وليا دون عدو ، ولا مؤمنا دون كافر •

قالوا : فقد دل على عموم كل داع دعا على السبيل التى أمر الله بالدعاء عليها ، لأنه اذا خالف ذلك خرج من جملة المتضمن لهم الاجابة ، لأن المتضمن لهم الاجابة هم الذين يفعلون ما أمروا به من الدعاء دون غيرهم •

وكان بعض شيوخنا يناظرنى فى هذه المســألة ، ويحتج علىّ بشىء توهمت أنه كان يذهب اليه ، ويعتقده ، ويقول به ، وهو أن الله جل ذكره، لم يتضمن الاجابة لكل من دعاه بما أمره أن يدعوه به ، وانما أعلم العباد أنه ذو اجابة لدعوة الداعى •

وهذا وصف قد يتحصل الاجابة للبعض ، كما أن وصفه لنفسه أنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وقد يتحصل المغفرة للبعض دون الكل •

والذى نختاره ، ونذهب اليه ، أن الاجابة قد تكون ثوابا وغير ثواب، وقد تكون للمؤمن وغير المؤمن ، بحسب ما يعلم الله جل ثناؤه فى فعل ذلك من الصلاح للحجة التى ذكرناها فيمـا تقدم ذكـرنا له ، والله نسـأله التوفيق لـــا يحبــه ويرضــــاه •

بـــــاب

فى رفع اليدين فى الدعاء

قال أبو سفيان : والقنوت يوم الجمعة بدعة ، ورفع الامام يده فى يوم الجمعة والناس وهو يخطب بدعة ، انما كان يشير بأصبعه .

* مســألة :

قال : حدثنا عبادة أنه رأى بشيراً يرفع يديه يوم الجمعة على المنبر فثبتـــــه .

وقال ، قد رأيت رسول الله صلى الله عليــه وســلم على المنبر وما يقول بيده الا هكذا ، وأشار بأصبعه السبابة .

وقال أبو المؤثر : يكره عندنا أن يرفــع الداعى يده فى الخطبــة ، ولا فى الصلاة ، ولا فى غيرها ، الا أنه قد رخص بعضهم فى يوم عرفة .

قال : ومايجب رفع اليدين ، لأن الله قريب عليم بذات الصدور .

* مســألة :

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه : « اللهم ارزقنى عينين هطالتين تبكيان من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما ، والأضراس حمـــــــرأن » .

* مسـألة :

من الزيادة المضـافة :

وعن الرجل يرفع يديه فى الدعاء ؟

قال : لم نر أحدا من أصحابنا يرفع يديه رفعا شـديدا ، الا أن حاجبا كان يرفع يديه فى الموقف رفعـا شـديدا ، وقال : وكان أحدهـم يشير بأصـبعه .

بـــاب

ما يجوز من الدعاء وما لا يجوز

وعن رجل يقول : اللهم ارض عنى كرضائي عنك ، هل يكره له ذلك ؟

فما ينبغى لهذا أن يقول هكذا ، لأن رضا الله أكثر من رضا العباد .

* مســألة :

أيجوز أن يقول الانسان فى دعائه : يا رب لا ترزقنى الحــرام ، ولا تطعمنيه أم لا ؟

بل جائز له ذلك أن يسأل الله أن لا يجعله من أهل الكفر والمعاصى ، لأن الحرام هو رزق الله ، فمن أكله رزق الغذاء لا رزق التمليك ، ولا رزق غير الله ، ولا مطعم غير الله ، وبالله التوفيق .

* مســألة :

يجوز أن يقــال فى الدعاء : اللهــم ارحمنى برحمتك ، وتب عــلى بتوبتك أم لا ؟

ما عرفت من أهل البصر الدعاء على هذه الصــفة ، ولا أرى بذلك بأسا على استنباط المعنى ، لأن المراد بذلك : اللهــم أصــبنى برحمتك ، وامسسنى بنعمتك .

قال المضيف :

فى جواز ذلك اختلاف .

* مسألة :

روى لنا أبو سعيد رضيه الله ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان من دعائه : « اللهم لا تجعل لمنافق عليّ يدا ولا منّة » •

* مسألة :

وقلت : أرأيت ما أفضل من يبسط يديه فى وقت الدعاء فى دبر كل صلاة ، أو رفعهما ، أو ارسالهما ولم يرفع ؟

فقد جاء في الرواية ، والله أعلم بذلك : أن سلوا الله ببطون أكفكم، وقد جاء فى بعض القول النهى عن رفع الأيدى فى الدعاء ، وارتفاع الأصوات شدأ إلا بعرفات •

ويقول : من بسط كفه بسطا ، ولم يرفعها فذلك جائز ، ويجب ارسالهما ، ولا يرفعهما ، وقد شهدنا من عرفنا من الفقهاء فى دعائه ، ولم نره يرفع يديه ، ومن بسط كفه ، ولم يرفع فذلك جائز لا بأس به ان شاء الله تعالى •

وهذا كله يرجع الي ما قال الله تعالى : (ويدعوننا رغبا ورهبا) فقيل : الرغبة والرهبة فى القلب ، والله أعلم بصواب هذا وعدله ، فانظر ما كتبنا ولا تقبل منه الا ما وضح لك منه الصواب • من منثورة •

* مسألة :

روى عن ابن مسعود قال : الخير ثقيل مرىّ ، والشر خفيف وبى •

وقال رحمه الله : لأن أعض على جمرة ، فتحرق ما أحرقت ، أحب الىّ من أن أقول لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان والله أعلم •

* مسـألة :

قلت يجوز أن أقول : اللهم حل بينى وبين الشيطان ؟

ومن غـيره :

لم نجد جوابا لذلك ، ونرجو أن ذلك يجوز •

قلت : وهل يجوز أن أقول ان الله حال بين المؤمنين وبين الكفر ؟

قال : نعم ، أمرهم بالايمان ، ونهاهم عن الكفر •

* مسـألة :

وعن رجل يقول : اللهم انى أسألك بحق شهادة أن لا اله الا الله ، أو بحقك على خلقك ؟

قلت : هل فى هذا كراهية ، أم هذا مما يستحب أن يقال فى الدعاء ؟

فمعى أن هذا مما يحسن أن يقال فى الدعاء ان شاء الله •

* مسـألة :

من الزيادة المضافة من كتاب الأشياخ :

وعمن يقول : اللهم لا تنسنا ذكرك ، ولا تولنا غيرك ؟

قال : يقول ذلك على معنى لا يفعل بنا فعلا يحول بيننا وبين طاعتك كقول الله تعالى : (ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) ولكن يقول : لا تفعل بنا ما يحول بينا وبين طاعتك •

قال المصنف :

ووجدت فى الضياء : أنه لا يجوز أن يقال : لا تنسنا ذكرك ، ولا تولنا أحدا غيرك . والأول عندى أصح وأجوز . رجع .

※ مسألة :

وعن رجل دعا على رجل أو امرأة بالموت ، هل يأثم ؟

قال : ان كان من المسلمين فلا ينبغى له ؛ وان كان فاسقا فلا بأس .

قلت : فان لم يعلم منه كثيرا ؟

قال : فلا يدعى عليه ما لم يكن مؤذيا للناس .

※ مسألة :

من منثورة : وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يدع الرجل بالموت ولا يستعمل الا أن يكون قد رضى عمله ، وأن الله اذا أراد بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه ؛ واذا أراد بعبد شرا أمسك عليه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة كأنه غيره .

وكان جابر بن زيد يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يتمنى أحدكم الموت يدعو به الا أن يكون قد وثق بعمله ألا وان المؤمن يزداد احسانا فى أجله اذا أصابته سراء شكرها وازداد بها خيرا وان أصابته ضراء صبر عليها وكانت خيرا » .

فمن قال : انه يهلك فى بقية أجله ، فقد كذب النبى عليه السلام . رجع .

❋ مسألة .

وعمن دعا على ظالم أن يسقط الله — نسخة — يسفك الله دمه ، هل يسعه ذلك كان بحق أو بباطل ؟

فعلى ما وصفت فواسع له أن يدعو على الظالم أن يسقط الله دمه ، والله لا يفعل الا الحق والعدل .

❋ مسألة :

ورجل يغيظه شيء فيلطم نفسه ـ أو يدعو بالويل أو نحو هذا ؟

قلت : هل يأثم فى ذلك وتلزمه التوبة ـ وأن لا يعود الى مثل ذلك ؟

فمعى أنه قد نهى عن لطم الخدود والدعاء بالويل على المصائب ، والمصائب كلها عندى سواء ، ولا يجوز هذا عندى ، وأخاف أن يكون من الكبائر من المعاصى ، وعلى هذه التوبة عندى والندم على ذلك .

❋ مسألة .

وسئل الفضل بن الحوارى : هل أؤمن على دعاء من لا أتولاه اذا دعا لـى ؟

قال : لا .

❋ مسألة :

فى الزيادة المضافة :

قال بشير : ولا بأس أن يقول الرجل : اللهم اغفرلى وهو ظالم مع نفسه فاسق على أن يخرج من ذلك الظلم .

* مسألة :

من كتاب الأشياخ :

وسألته عن رجل يدعو الله فيقول : يا جبار الجبابرة ، أيجوز له ذلك أم لا ؟

قال : لا يجوز على الاطلاق .

* مسألة :

منه : وعمن قال : اللهم أخبرنى أو زدنى أو عالنى على فلان حتى أنتصر منه ، أو : اللهم ارزقنى مال فلان أو زوجته ، أو دابته أو خادمه ؟

قال : أرى عليه شيئا فى ذلك ان كان معناه اللهم ارزقنى مال فلان بالثمن من وجه المال الحلال والشراء ، أو زوجته ان طلقها ، وأما ان تمنى على غير هذا الوجه من وجه الحسد ، فلا يجوز الحسد لمسلم وجائز للكافر .

* مسألة :

ومنه وعمن قال : اللهم اعزم لنا بالخير ، أيجوز أم لا ؟

قال : أرجو أنه يجوز لسعة اللغة فى معنى الارادة بالخير .

* مسألة :

قلت : فالمنافق تجوز أن يدعى له بالعافية ؟

قال : اذا كان للداعى فى ذلك نفع ، فجائز وليس ذلك ولاية اذا لم يعتقد . رجع .

* مسألة :

وعن أبي معاوية قلت : فيقول : اللهم انى أسألك بحقك على نفسك ؟

قال : لست أحب هـــذا .
قلت فيقول : اللهم انى أسألك بالله ؟

قال : نعم ، لأن الله يقول : (قل ادعو الله أو ادعو الرحمن) .

قيل له : فهل يقول القائل : اللهم انى أسألك بحق محمد عليك ؟

قال : لا أحب ذلك ، ثم قال : وأى حق لأحد على الله .

ومن غيره :

قال : نعم ، قد قيل ذلك أنه لا يقال : أســألك بحق محمـد عليك ، ولكن يقول : أسألك بحرمة محمد عليك .

* مسألة :

من الزيادة المضافة :

وقال أبو محمد : لا تسأل الله تعالى بصفاته .

وقال أبو سعيد : لا أدرى ما معنى لا تسأل الله بصـفاته ، وقـد قال الله تبارك وتعالى : (قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعو فله الأســماء الحسنى فادعوه بها) .

وقد يدعى بصفاته الحسنى كما يدعى بأسمائه الحسنى ، ويســأل بأسمائه كلها وكل أسمائه على صفات ، فمنها صفات للذات ، ومنها صفات للفعل ، وانما كل اسم من أسمائه يدل على معنى وصـفة من صفاته ، فمنها ذات ، ومنها أفعال تبــارك وتعـــالى .

* مسألة :

عن الشيخ أبى الحسن البسيوى :

وقلت : هل يجوز أن يقال : أسألك باسمك اللهم أو بأسمائك العظام ؟

قال : الذى عرفت أن هذا من أسماء الذات ، وأسماء الذات لا يسأل الله تعالى بها ، ألا ترى أنك اذا قلت : أسألك بلا اله الا أنت ، أو أسألك بالعظيم ، كنت قد سألته به أو بغيره ، فان كنت قد سألته ، فكيف تقول أسألك بك ، وان كان غيره فكيف تسأله بغيره ، فمن هذا قالوا : لا يجوز .

ولكن يقول أسألك يا كريم ، وأسألك يا عظيم قصدا بالمسألة اليه ، وقد سألته بالدعاء به ، فانظر فى ذلك .

قال المصنف :

وقد عرفت فى بعض الآثار أنه يجوز أن يقال : أدعو بأسمائك ، ولا يقال : أسألك بأسمائك ، والله أعلم .

* مسألة :

قلت : رجل يدعو له رجل ليس بولى يرد عليه آمين ، هل تكون هذه ولاية ؟

قال فيه اختلاف : فقد قيل تكون ولاية ، وقد قيل غير ذلك .

قلت : وان قال له : جزاك خيرا ؟

قال : هى ولاية .

* مســألة :

قلت : فمن يكتب الى غير ولى يا سيدى ، ويا مولاى جائز أم لا ؟

قال : نعم هذا يتصرف ، وهو فى اللغة جائز .

قلت : وما النية فى ذلك أن يكتب الى ولى أو غير ولى ؟

قال : أما غــير الولى فيعتقــد ذلك بمعنى التشريف ، وأنه رئيس ، والعرب تسمى رئيسها سيدها ، والمولى مولى النعمة ومولى العتاقة .

وأما الولى فالقول له جائز مطلق له بذلك ، وهــو ولى فى الدين ، وسيد الشرف فى الاسلام . رجع .

بـــاب

ما يجوز من الكلام للولى

وقال لا يجوز أن يقال الرجل غير ثقة : هذا رجل صالح ، ويقال : هو هذا مؤمن ومسلم ، هذا وجدته من منثورة لم أعرف مصنفها ٠

عن أبى الحوارى ، وعمن يقول لمن لا يتولاه : عظم الله أجـــرك ، وأصحبك الله ــ نسخة ــ وصحبك الله ، أو رحمك الله ، من باب التقية، أو استحياء منه كان من الأهل أو من غيرهم ، أو جار له هو ، وهـــو يبرأ منه ، فقد قيل : ان الجار له تقية ، والصديق له تقية ، فيجـــوز له ذلك الذى وصفت ، ويعنى بذلك كله فى الدنيا ، واذا نوى ذلك جاز له لمن كانته له تقية ، أو لم تكن له تقية ٠

* مســـألة :

ومما يوجد عن أبى عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله : سألت : هل يجوز أن يقول لمن لا يتولاه أكرمك الله ، أو أحسن الله اليك ؟

فنعـــــم يجوز ذلك ٠

قلت : فهل يقول له أحسن الله جزاءك ، أو ذكرك الله بخـــير ، أو بارك الله فيك أو عليك ، أو نصرك الله أو كلاك الله ، أو صحبك الله ، أو كان الله معك ، أو سلمك الله ؟

فلا أرى ذلك أن يقول شيئا من هذا لمن لا يتولاه ٠

ومن غيره :

قال : وقد قيل : انه يجوز أن يقول لمن لا يتولاه أحسن الله جزاءك فى الدنيا ، وذكرك الله بخير الخير فى الدنيا •

وبارك الله فيك ، ومن بركته العافية التى يتقوى بها على الطاعة والمعصية ، وييسر بها ويقربها •

وأما بارك الله عليك ، فهو أضيق ، وكذلك نصرك الله ، وقد يجوز ذلك على معنى الدنيا •

وكذلك كلأك الله ، يجوز فى معانى الدنيا ، وصحبك الله ، وكان الله معك برحمته فى الدنيا ، والسلامة منه وكذلك سلمك الله ، قد يجوز على معانى سلامة دنياه، ويعينه فى الدنيا •

ومن غير الكتاب :

هل يجوز أن يقال عند الممات والأمور الحادثة أنا فلان ، وأنا ابن فلان ، وأنا الفلانى أم لا ؟

الجواب :

قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنا النبى لا عجب• أنا ابن عبد المطلب » وقيل قال ابن عباس : أنا البحر ولا فخر ، فان صح هذا فلا يضيق ، ولا يبعد بهذا جوازه •

❋ مسألة :

من منثورة ، ومن كتاب :

يجوز أن يسمى الانسان اذا فعل الرحمة ، رحمان ، كما يسمى رحيما ؟

قال : ان ذلك جائز فى اللغة ، والقياس ، ولكن لا يستعمل ذلك ، لأن أهل اللغة لا يستعملون هذه اللفظة فى الانسان ، وان كان معناه صحيحا على ما وصفناه .

* مسألة :

من الزيادة المضافة :

يقال : نستخير الله ، ولا يقال : نستخيره ، ولا يقال : رأى الله ثم رأيك ولا بقى فلان بين الله والشمس ، ولا يقال : استأثر الله بفلان . رجع الى كتاب بيان الشرع .

بـــــاب

ما يجوز أن يقال من الكلام ومالا يجوز

وما أشـــبه ذلك

رجل يقول لبعض المسلمين : انه ثقيـــل الروح ، أيكون هـــذا غيبة أم لا ؟

بل هي غيبة ، لأن هذا وصف نقصان لا مدح ، وبالله التوفيق .

*** مســـألة :**

وذكر لي بعض الناس أن له جار سيىء الأدب ، كثير الطلب ، سريع الغضب ، نتن الرائحة وهو عفيف مسلم ورع تقي ، يعتقد مذهب المسلمين، ويقول بقولهم ، فكرهه وأبغضه ، واســـتثقله لسبب ما عـــرفتك في أول المسألة ، وهو لا يشتمه ، ولا يتكلم فيه ، ولا يعيبه الا أنه يكرهه لـــما عرف منه ، أيكون سالما من الاثم أم لا ؟

الجواب :

انه لا يحل له أن يصف مسلما بهذه الصفة ، وهي غيبة عليه منهـــا التوبة والاصـــــــلاح .

*** مســـألة :**

وما تقول في العبد الصالح ، أيجـــوز له أن يقـــول : انه من أشر الخلق أم لا ؟

قلت : وما يكون حاله عند السامع ؟

ليس له ذلك ، اذا نطق بذلك لم آمن أن يكون قد شهد على نفسه بالكفر عند السامع ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : (أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) .

قال غيره :

لعله أراد ، وكذلك قوله تعالى : (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) .

❋ مسألة :

وما تقول فى رجل منافق يأكل الحرام ، ويظلم الناس ، ويشرب المسكر ، ويقر على نفسه بالزنى ، ويعين الظلمة ، يجوز لعبد صالح أن يقول : انى خير منه أم لا ؟

بل جائز ذلك على معنى : انى خير منه فعلا ، لأن أفعاله عند نفسه طاعة وأفعال ذلك منكر ، لا أنه يشهد لنفسه بالتزكية ، ولذلك الفاسق بالنار .

❋ مسألة :

وسألت عن الكلام الذى يتعلمه الصبيان ، فقد سمعت أن فى ذلك إخباراً ، ويسعنا ترك ذلك وليس بواجب معرفة ذلك ، ولم يصح معنى الخبر فى ذلك ؟

قال المضيف :

لا أدرى ما أراد بذلك .

* مسألة :

من منثورة من كتب المسلمين رحمهم الله :

وقال كل لفظ لفظ به الانسان لابد أن يكون أراده لمعنى : فان كان ذلك المعنى يجوز فهو طاعة ، وان كان لا يجوز فهو معصية .

* مسألة :

عن أبى الحوارى : وعن فئتين التقتا باغيتين ، فهزمت احداهما الأخرى ، فهل يجوز أن يقال للهازمة منصورة ، أو نصرها الله ، أم ليس يجوز ذلك وقد قيل النصر عند الصبر ؟

فعلى ما وصفت ، فاما أن يقال : منصورة فذلك جائز ، واما أن يقال : ان الله نصر هذه الفئة الباغية ، فلايجوز ذلك .

وأما ما قيل : ان النصر مع الصبر ، فقد قيل ذلك ، والنصر فقد يكون هو الغلبة والغالب منصور ، وقد تنصره الغلبة ، لأنها معه والدولة — نسخة — زيادة — ومخذول من طاعة الله .

* مسألة :

قلت له : فما تقول فى رجل سمعته يقول : ليس فى الدنيا خير منى ؟

قال هذا يبرأ منه .

* مسألة :

وسألته عن رجل قال لرجل آخر معى فى الولاية انتقم الله من فلان ؟

قال : يستتيبه ، فان تاب والا فابرأ منه .

قال غيره :

معى أن الانتقام اسم من أسماء البراءة .

قلت له : ما تقول فى قوم سمعتهم يذكرون ..... ؟

* مسألة .

وجدتها من منثورة أبى محمد رحمه الله :

قال لا يجوز لأحد أن يتكلم بما لا يعلم ، وينظر حيث لا يعلم ، لأنه ان وافق كلامه مالا يسعه ، أو ربما ينظر ، حيث لا يسعه هلك بذلك ، وذلك اذا تكلم بكلام لا يدرى ما هو ، فوقع فى هلاك ، ورمى شيئا لا يدرى ما هو ، فوقعت الرمية بنفس أو مال لم يسعه ذلك النظر ولا ما رمى .

وقال أبو مروان : ان الفعل خير من التوفيق ، لأن التوفيق محتاج الى الفعل ، والفعل غنى عن التوفيق .

أبو محمد : جميعان محتاجان الى بعضهما بعض : الفعل والتوفيق، وقال بعض الفقهاء : يجوز أن يقال : كبيرى ويا سيدى ، ويا عضدى بلا معنى يعتقده .

ووجدت أنا فى الأثر أنه لا يجوز بالمعنى .

* مسألة :

عن رجل قال : يا سيدى ، ويا عضدى ؟

إن فى ذلك اختلافا فى اللفظة على معانى ذكرها منهم من لم يرد ذلك ولا يجيزه ، ورأى ذلك مثل سند مثل الجسم الذى يسند اليه ورأى بعض غير ذلك .

* مســألة :

من الزيادة المضافة :

قال أبو سعيد : فى قول الرجل : أبد الله أن أفعل كذا وكذا ونحو هـــذا ؟

إن هذا ليسه حسنا من الكلام ، ولا بأس على من قال ذلك على العـــادة من القـــول .

ومعى أن معناه هذا يخرج أبد الله ، دهر الله ، وأيام الله ، وزمان الله ، والأصل فى هذا أن الأبد والزمان هو لله تبارك وتعالى . رجع .

* مســألة :

من كتاب الأشياخ :

وسألته : هل يجوز أن يقول القائل : أنا أقدر أعمل كذا وكذا ؟

فقال : نعم هذا على المجاز ، فأما على الحقيقة فلا يجوز ، ويستتاب من قاله حقيقة ، وأما على المجاز فجـائز من حيث جـرت العادة ، وأنه ما لم يحل حائل فهـــو قادر .

وقال : ويجوز مثل ذلك فى المجاز قامت الشمس ، وطالت النخلة ، وهبت الريح ، وهذا مجاز ، وأما حقيقـــة فلا ، ومن قال : هـــذا حقيقة فهـــو مخطىء .

* مســألة :

قال بشير : لا يقال : كل من فعل الكفر فهو كافر ، لأنه لو كان كذلك كان كل من فعل الكفر فهو كافر .

وقال أبو سعيد : معى أنه يجـوز أن يقال : ان المؤمن قد واقـع الخطيئة وأخطأ ، ولا يجوز أن يقال انه مخطىء ، وكذلك يقال : انه واقع المعصية وعصى ، ولا يجوز أن يقال : انه عاص ، لأن المعنى أن العاصى لا يرجع عن حال المعصية أبدا على مجاز المعنى .

* مســألة :

روى أن عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود اختلفا فى الرجل يقول : أنا مؤمن حقا عند الله ؟

فقال ابن مسعود : أنا مؤمن حقا عند الله .

وقال ابن عباس : أنا مؤمن حقا عند نفسى ، ولا أقول عند الله .

فأرسل عبد الله بن عباس الى عبد الله بن مسعود : اذا قلت : انك مؤمن حقا عند الله ، فقل : انك فى الجنة ، لأن الله تعالى يقول : (أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) .

وقال ابن مسعود : اذا لم تقل انك مؤمن حقا عند الله ، فأنت شاك فى ايمـــانك .

قال أبو محمد : ان سأل سائل فقال : أنت مؤمن ، فقل : نعم .

فان قال : مؤمن حقا ، فقل : عند نفسى نعم ، وأما عنـــد الله فلا أدرى .

فان قال : فلم لا تقول : انك مؤمن حقا على غير شرط ؟

فقل : اذا قلت انى مؤمن حقا ، قطعت لنفسى بالشـــهادة برضـــا اللـــه عنى .

فان قال : ولم قلت ان هذه شهادة لنفسك بالرضـا من الله تبارك وتعـالى ؟

فقل : ان الله مدح أولياءه ومن رضى عمله وأعد له النعيم الدائم فقال : (أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفـرة ورزق كـريم) ٠

فان قال : اذا كانت أفعالك كلها طاعة عند نفسك فلم لا تشهد لهـا بهـذه الشـهادة ؟

فقل : ورد الخبر عن الله تبارك وتعـالى بالنهى عن تزكية الأنفس بقوله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى) ولا نعلم اختلافا بين أهل الرواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشهدوا لأنفسكم بجنـة ولا نـار » ٠

فان قال : فان وصفت بأنك مؤمن فى أول المسألة ، وقد مدح اللـه المؤمنـين ؟

فقل : لأنى وجدت المسلمين يسمون كل من كان على مثل ما أنا عليه من الاعتقاد والقول مؤمنا ، فوجب أن أتسمى بهذا الاسم ٠

* مسـألة :

ان قال قائل : أنت مؤمن حقا ، أو كافر حقا ما الجواب له ؟

فالجـواب :

أنه ان كان يعنى مؤمنا حقا ، يعنى سعيدا فلا عـلم لى بذلك وتلك شهادة غيب محجورة علىّ وعليك ، واذ كان السؤال فى الغيب كان محالا ، والمحال ساقط ، وان كنت تعنى مؤمنا حقا فى حكم ما تعبدنى الله به ،

أو كافر حقا فى حكم ما تعبدنى الله به ، فتلك حالات لا يستدل عليها الا بالفعال المكفرة ، وبالفعال الصحيحة •

وأما فى حال ما أكون عاصيا لله فى حكم دينه ، أكون كافرا حقا فى حكم دينه ، واما مؤمن عند نفسى حقا اذا كنت تائبا من جميع ما عصيت الله فيه ، مؤديا لجميع ما يلزمنى أداؤه من طاعته •

❋ مسـألة :

أبو سعيد قلت له : فهل يسع أحدا أن يقول فى أحد من المخلوقين انه من أهل الجنة ، ويعتقد بذلك دينا يدين به ، من لدن أبى بكر وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهما الى حيننا هذا ، أم ذلك لا يجوز له القول فى الأولياء الا الأنبياء ، وان كان يدين بذلك ويقوله ويعتقده ، هل هو هالك أم سالم أو ما سبيله ؟

قال : انه قد قيل : لا يجوز أن يشهد لأحد من الناس بالجنة ، ولو ظهر منه ما يستوجب الولاية من الفضل والجهاد فى سبيل الله ، والقول والموافقة الا من صح له ذلك فى كتاب من كتب الله ، أو يشهد له بذلك رسول من رسل الله صلوات الله عليهم ، أو نبى من أنبيائه ، وإلا فلا يجوز له أن يشهد له بحقيقة ذلك •

فمن شهد له بحقيقة ذلك بغير هذا الوجه ودان به ، فهو عندى متعاط من الغيب من علم مالا يسعه وأخاف أن يكون هالكا شاهدا بالزور ، وحاكما بالجور الا على اعتقاد الشريطة له ان كان مات على ظاهر ما صح له ، فكانت له ، لعله أراد صحة سريرته مثل علانيته ، فهذا على الشريطة لا على الحقيقة ، فافهم ذلك •

❋ مسـألة :

ابن جعفر : وقيل لا يشهد لأحد بالجنة الا الأنبياء ، وقال من قال:

وأبو بكر وعمر ، لما جاء فيهما ، ولكن يشهد لأهل الايمان بالايمان . وأما من مات عـلى الكفر ، فيشـهد لهم بالنار .

❋ مسـألة :

وأما قول بعض مخالفينا : أتشهدون أنكم مؤمنون ، ولا تشهدون أنكم من أهل الجنـة ؟

فنعم ، يقولون بأنهم اذا سئلوا عن ذلك مؤمنـون فى اعتقادهم ، وأما أنهم مؤمنون بالله فيما أمر ، مطيعـون له بذلك ، عاملون بطاعته ، وليس لهم تزكية الأنفس ، لنهى الله بقوله : (فلا تزكوا أنفسكم) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تنزلوا أهل قبلتكم جنة ، ولا نارا » .

فان صح الحديث فقد وافق القرآن فى النهى عن تزكية الأنفس .

قال أبو الحسن البسـيوى : وقيل : لا تشهد لأحد بالجنـة الا الأنبياء الذين ذكرهم الله ، فان لهم الجنة ، ولكن يشـهد لأهل الايمان بالجملة بالايمان ، ولا يشهد بالنار الا لمن قال الله : انه من أهل النار ، ولمن تاب عـلى الكفر ، فهو من أهل النار فى الجملة حتى يعلم أحد بعينه مـات على الـكفر .

❋ مسـألة :

وسألته عن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يشهد لهن بالجنة ؟

قال : نعـم كلهن .

❋ مسـألة :

وسألته عمن يقول لانسان : سأل الله عنك ؟

قال : هذا لا يجوز ولا يسع جهله ، ويكون عاصيا بهذا القول •

قلت : يتصرف لمعنى ؟

قال : لا أعرف له معنى يتصرف اليه •

* مسألة :

من الزيادة المضافة ، من كتاب الأشياخ :

قال أبو محمد : وسألته عن رجلين وليين : أحدهما يعطى زكاته ، ولا يكرم النازل ، وغير ذلك من الرفد ، وما يفعله أهل الأخلاق الحسنة •

قلت : هل يقال للذى — لعله — لا يفعل ما وصفت لك : بخيل ، ويقال للآخر : كريم ؟

قال : يقال هو أكرم ، ولا يقال : للآخر بخيل ، لأن من أدى الحق الواجب لم يقل : إنه بخيل •

قلت : وهل أقول إنه أورع منه ؟

قال : لا •

قلت : ولم ؟

قال : لأن فى ذلك اتهاما أن هذا يتعاطى شيئا من الحرام •

قلت : فهل أقول : انه أصدق منه ؟

قال : لا ، لأن ذلك أيضا متوهم اذا كان أصدق منه ، كان الآخر يتعاطى شيئا من الكذب ، فليس ذلك من صفات المؤمنين •

قلت : فهل يقال انه أفضل منه ؟

قال : نعم ، لأن المؤمنين يتفاضلون فى الدرجات بعضهم أفضل من بعض ، وليس مما ينقص من منزلة الآخر شىء •

✱ مسـألة :

من الزيادة المضافة أظن عن أبي سعيد :

ما تقول في رجل يقول لقوم : يا قوم الله ، أو يقول لآخر : يا أخ الله ، هل يجوز ذلك ؟

قال : اذا أراد بقوله اللغة الجارية فهو جائز ما لم ينو شيئا لا يجوز في صفة اللـه ، أو لا يخرج كلامه على معنى يصح في تأويل الحق أنه خارج من الكلام .

قلت له : فما يخرج معنى قوله : يا قوم الله ؟

قال : عندي أنه عباد الله ، ومخرج قوله : يا أخ الله ، يا أخا دين اللـه .

قال المضيف :

وجدت أنه لا يجوز أن يقال : هذا أخ الله ، لرجل أخ ، ولا أب الله ولا هذه رجل الله ، ولا يد الله ، ولا جارحة اللـه ، ولا هذا خف الله ، ولا نعل الله ، وان كان جميع ذلك ملك لله ، فلا يضاف الى الله الا أحسن الصفات ، بأحسن الألفاظ ، والله أعلم .

✱ مسـألة :

من الزيادة المضافة :

قال سعيد بن قريش : اذا أنشد الرجل فما يعجبه أن يقال له أحسن الا أن يعرف صدق قوله .

✱ مسـألة :

نهى أن يقال : مسيجد ومصيحف ؟

قال : ان صح النهي لذلك فذلك انما هو أن لا يستنقص ، ولا يستخف بذلك . رجع الى كتاب الشرع .

بـــاب

ما يجوز أن يدعى به لمن يتولى أو لا يتولى أو لا يجوز

أيجوز أن يقال لغير الولى بعد موته عفا الله عنه أم لا ؟

لا يجوز ذلك لغير ولى من المتقين على الاطلاق ، الا أن يعتقـــد أن الله عفا عنه ، لم يأخذه بالعقوبة فى حال معصيته .

* مســـألة :

يجوز أن يقال لغير الولى برك الله أم لا ؟

هذا على وجه الاخبار أن الله قد أصابه برحمته ونعمته ، فلا بأس وان كان على وجه الدعاء له بالرزق والمعافاة ، فلا بأس بذلك اذا كان للمؤمنين فيه نفع ونصر ، وبالله التوفيق .

* مســـألة :

وسألته : هل أقول لمن لا أتولاه رحمك الله ؟

قال : ما أحب ذلك أن يجوز بها له ، ولا حياك الله ، ولا مرحبا .

* مســـألة :

لعله من كتاب التقييد :

قال : لا يجوز أن يقال : أعرض الله عنك ، ولا يجوز أن يقال أقبـــل الله اليك ، ولا يجوز أن يقال : تعالى الله بالعز والكبرياء .

قال : ويجوز أن يقال : صحبك الله ؛ على معنى أى أصحبك اللــه السلامة •

قال : ويجوز أن يقال : أستودعك الله ، أى أسأل الله أن يحفظك •

وقال : يجوز أن يقال : أستحفظ الله اياك •

وقال : يجوز أن يقال : يا رجائى ، يعنى يا من أرجو من جهته •

وقال : يجوز أن يقال : لا نظر الله اليك ، أى لا يرحمه الله •

وقال : النظر من الله تبارك وتعالى الى عباده الرحمة لهم •

وقال : لا يجوز أن يقال : ان الله يسمع ويرى •

قال الناظر :

وقيل ان ذلك يجوز أن يقال : ان الله يسمع ويرى ، لأن الله يقول : (انى معكما أسمع وأرى) وقال : (انا معكم مستمعون) •

فلا يجوز أن يقال : يستمع ، وكذلك لا يجــوز أن يقال : فهــم ، ولا فقيه ، و يجوز أن يقال : يدرى •

وقال بعضهم : أنت السميع ، وأنت الدارى •

قال : يجوز أن يقال عرفه ويعرفه •

* مســألة :

ومن غيره ، ولا يجــوز الترحم على الفساق ، ولا ينبغى للمسلم أن يفعل ذلك ، فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) •

❋ مســألة :

ومن لم يعرف حال والديه من اهل الولاية هما أم من أهل البراءة ، فانهما معه على الولاية ، الا أن يصح أنهمــا من أهل البراءة .

الدليل على ذلك قول الله تعالى : (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلمــا تبين له أنه عــدو لله تبرأ منــه إن ابراهيم لأوّاه حليم) هكذا عن أبى محمد .

وعن أبى قحطان : أنهما ان كانا من أهل الولاية تولاهما ، واستغفر لهما فى حياتهما ، وبعــد وفاتهما ، وذلك حق لله يجب لهما .

وان كانا من أهــل العداوة برىء منهما ، وحرمت عليه محبتهما ، ولم يحل له أن يستغفر لهما فى حياتهما ، ولا بعــد وفاتهمــا ، وان لم يتبين له أمرهما أمسك عنهما ، وعن ولايتهما وعداوتهما ، وكان أمرهمــا الى الله عز وجــل .

وقال أبو الحسن : ومن لم يعرف من والديــه الا الجميل ، وليس لهما معرفة بالدين والــورع الكامل ، فجائز لــه أن يسترحم عليهما ، ويستغفر لهما فى حياتهما ، ولا يجوز له ذلك فيهما بعد موتهما .

وانما يجوز ذلك للولى المسلم ، كما قال الله تعالى ، كل من لا يتولى فلا يدعى له برضا الله ، لأن رضا الله هو الجنة فلا يدعى له بذلك .

وقال : لا يدعى لــه بالمغفرة ، وذلك عنــدنا بتصرف ، واذا صرفه الداعى لمعنى لأن المغفرة ستره .

وقال أبو محمد : ومن لا ولايــة له ، ففى الترحــم بنية يحضرها المترحم اختلاف من قال باجــازة ذلك ، قال يصرف النية الى الله قــد رحمه لما أخرجه حياً ، والرحمــة بوجــد احــداها أنهــا رسالة النبى

صلى الله عليه وسلم الى الخلق ، وأنها رحمة من الله عز وجل ، وي‍ق‍ال الليل والنهار من رحمة الله تعالى أيضا .

وفى حديث عبد الله بن مغفل : لا ترحموا قبرى . أى لا تجعلوا عليه الترحم والرجام الحجارة .

* مسألة :

ومن كتاب مكتوب على ظهره :

مما سئل عنه محمد بن محبوب وقال : فى الرجل انه جائز له أن يقول فى وليه جعله أنه : أدم أو آكول ، أو لئيم ، ليس يعنى بقوله : لئيم فى أداء الحقوق ، ولكن فى غير ذلك ؟

وقال : جائز الا أن يكون اذا قال ذلك قدامه ، كره ذلك فلا .

بـــاب

ما يجوز أن يقال لأهل التقية

من منثورة الشيخ أبى محمد : وسألت الشيخ أبا محمد عن قــول القائل : غفر الله لك لغير ولى ، أو ممن يجب عليــه البراءة ؟

فقال : لا يجوز ان يقال : هذا الغير ولى الا على معنى .

قلت : وما ذلك المعنى ؟

قال : المغفرة مأخوذة من الستر ، واذا كان معنى القائل لمن دعا له بهذا يريد الاخبار على ما هو عليه مما يستر الله عليه من اللباس فيمــا مضى ، جـــاز ذلـــك .

وأما ان أرســل القول على غير نية ، وأراد بذلك المغفرة للذنوب ، والقبول من الله ، فذلك لا يجوز .

* مســألة :

منها ، قال : ويجوز أن يقــال للمنافق : أنت كماسير ، ويعنى أنــه كماسير قرينة ابليس ، ويقول : انه جيد ، ويعنى أنه جيد لأهل ، وممــا فصل مما يجوز به القائل للقائل .

* مســألة :

من الزيادة المضافة من كتاب الأشياخ :

قلت لبشير : رجل يبلغني عنه الكلام الذى يؤذينى ولا يصح ذلك بشاهدى عدل ، فيكون فى نفسي عليه الوجد ، وأنا لا أتولاه ولا أبرأ منه . هل لى أن أدعو له بشيء من أمر الدنيا ، وقلبى لا يحب له ذلك ، فأكــون قد قلت بلســانى ما ليس فى قلبى ، فكأنى رأيته يريد أن لا بأس بذلك ؟

قال : اذا لم يكن له حرمة الاســلام والمحبة دعا له بأمر الدنيا .

بـــاب

ما يجـــوز أن يقال من ذكر الله وما أشبه ذلك

ومن جواب أبي الحواري :

سألت ، رحمك الله ، عن رجل يقول : الحمد لله بما حمد به نفسه ، وسبح به نفسه ، وهلل به نفســـه ، فحق كما قال ، والمعنى أنه هو ليس له نفس ؛ كما يقـــول القائل : هذا الثوب نفسه ، وهـــذا الحجر نفسه ، والمعنى في ذلك أنه هـــو ؟

قال الناظر :

في بعض الآثار أنه لا يجوز سبح نفسه ، لأن التسبيح صلاة الا أن يكون بمعنى التنزيه .

* مســـألة :

وسألته : هل يجوز أن يقال : جزاء ربنا الحمد والشكر أم لا ؟

قال : لا يجوز ذلك ، لأن الله غني عن شكر العباد له ، وانما شكر الشاكرين فضل من الله ونعمة على الشاكر ، وما يعطيه من الثوب عـــلى الشـــكر .

* مســـألة :

يجوز أن يقال : الله أرحم الرحماء ، وأعلم العلماء أم لا ؟

لا أرى جواز الوصف لله الا بمـــا وصف به نفســـه أنه أرحـــم الراحمين ، وأما قوله : عالم العلماء فقد أصـــاب وان أراد به : يعـــلم ما لا يعلمون ، ولا يجـــوز التشبيه له بخلقه .

❋ مسـألة :

رجل قال له قائل بمعنى ، فقال : فال الله ولا فالك ، أو طلب اليه شيئا فقال : ما عنـدى قليل الله ولا كثيره ، أيكون هذا اللفظ جـائزا ليتكلم به أم لا ؟

أما قوله : فال الله ولا فالك فان هذا كلام أكرهه ، ولا أرى عدل هذا المقابل به ، وأما ما عنـدى قليل الله ولا كثيره ، يريد من الجنس الذى طلب اليـه ، فاذا صدق فى إخباره ما عنده منه قليل ولا كثير ، فلا أرى عليه بأسا فى مقاله ، والله أعلم ، وبه التوفيق .

❋ مسـألة :

يجوز أن يقال لغير ولى : لا شق الله عليك أم لا ؟

ما أرى جواز ذلك فى غـير ولى ، وجائز فى الولى بالتقييد ، اذا أراد به لاعذبك الله ، لأن فى العبادات مشقة على النفس .

وقد قال الله تعالى : (الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشـق الأنفس) وقال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) .

❋ مسـألة :

يجوز أن يقال : اعتمادنا بعد الله على فلان أم لا ؟

انها كلمة أكره المقال بها ، الا أن يقول : اعتمادنا على فلان مـع توكلنا عـلى الله .

❋ مسـألة :

وسألت أبا معاوية : هل يجوز أن يقول الرجـل : اللهم صلّ على محمد ، كما صليت أنت وملائكتك عليه ؟

فقال : ما أحب ذلك •

قلت : فيقول : اللهم صل على محمد كما صلت عليه ملائكتك ؟

قال : نعم •

ومن غـــيره :

ويقال : انه يقال : اللهم صل على محمد ، كما صليت وباركت عـــلى ابراهيم ، وعلى آل ابراهيم فى العالمين •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

وقد وجدت فى آثار المسلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم ســـئل فقيل له : يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟

فقال : « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد » •

*** مســـألة :**

من الزيادة المضافة • قال المضيف :

وجدت أنه لا يجوز أن يقال : الحمد لله الذى كان كذا وكذا بـــل يقال : الحمد لله كان كذا وكذا ، وعندى أنه يصح ان شاء الله •

*** مســـألة :**

وعن أبى معاوية : قلت له : فيقـــول القائل : يا من احتجب عن خلقـــه ؟

قال : نعـــم •

قيل : له : فيقول يا من احتجب عن خلقـــه بسمواته •

قال : لا •

قيل له : فيقال : يا من احتجب عن خلقه بنوره ؟

قال : لا ، لأن النور محـــدود ، قال : ولكن يقـــول : يا من احتجب عن خلقه بعزته وقدرته •

قال غـــيره :

لا يجوز أن يقال : يا من احتجب بعزته وقدرته ، اذ العزة والقدرة صفتان من صفات الله وجبتا لذاته ، ولا يجـــوز أن يقال : همـــا غـــير الله ، ولا يقـــال : انه عزه لا قدره ، تعالى الله عما نحله المبطلون علوا كبـــيرا •

بل يقول : صفات الله الذاتية لم يزل موصوفا بهـــا ، ولم يـــزل موجودا له الأسماء المعلومة ، ولا يحصيها الا هو •

وأما تأويل الحجاب الذى جاء ذكره فى القرآن ، فهـــو المنع عن الرؤية ليس بين الله وبين خلقه حجاب ساتر ، تعالى ربنا عن صفات المخلوقين علوا كبيرا ، والله أعلم •

ومن غـــيره :

قال : وقد قيل : لا يقال : ان الله يحتجب عن خلقه ، ولكن يقال : ان الله يحجب خلقه عن رؤيته •

قال غير المؤلف للكتاب وغير المضيف اليه :

هكذا قيل : وهو أعدل مما تقدم من الأقاويل الا أن يقول الأول لا يجوز ، اذ أنه لم يحتجب هو تعالى ، بل حجب خلقه عن رؤيته •

والقول الثانى : اذ أنه لو احتجب بشيء لاضطرته الحاجة اليه ، ولكان الحجب أكبر من المحجوب ، والصغير المضطر الفقير ، ليس بإله على كل شيء قدير •

والقول الثالث : كالأول الا أنه أكثر ابهاما للسامع أن قدرته وعزته هما غيره ، قد احتجب تعالى بهما •

رجع الى كتاب بيان الشرع •

وقول أبى معاوية : قيل له : فيقول القائل : رضينا بقضاء الله وقدره ؟

قال : نعم •

قيل له : فان من قضاء الله الكفر والظلم ؟

قال : الرضا بقدر الله غير الرضا بالمقدور من أفعال العباد ، والله هو المقدر لأفعالهم •

❊ مسألة :

وسألته عمن ينهى عن قول لا اله الا الله ، وأن تقال عند الزجر وعند البناء ، وأن لا يستدل بها على شيء من أمور الدنيا برأى منه ، ولا يخطيء من يأمر بها ، هل يجوز له ذلك ؟

قال : فلا يجوز له ذلك عندي ، لأنه قد نهي عن المعروف •

قلت له : فيبرأ منه بذلك ؟

قال : ما أحقه بالبراءة عندي •

قلت له : فهذا كبيرة من قوله وفعله : أم صغيرة حتى يصر على ذلك ثم تسكون كبيرة ؟

قال : معي أنها مشبهة بالكبيرة ، وما أشبه عندي الكبيرة فهو كبير •

قلت له : فان تولاه ولي" على ذلك ، هل علي" أولى أن أتركه ولاية وابي أو أبرأ منه ؟

قال : معي أنه اذا ثبت أنه يشسبه الكبيرة ، أو كبير فسلا تجسوز الولاية لمتولي من ركب الكبيرة ، المتولي له مثله اذا كان عالما بذلك منه •

* مسـألة :

وقيل : لا يجوز لأحد أن يقول الرأى لله ثم لك ، أو يقسول الرأى لله ، لأن الرأى انما يراه الانسان باجتهاد منه ، وتعبيره بين رأيه ورأى غيره باجتهاد •

* مسـألة :

ومن سيرة الامام المهنا بن جيفر الى معاذ بن حرب :

السميع البصير بما تعلن وتسر فصانعه عن نفسـك ، وراده بعلمك وتزين ليوم تعرض فيه على ربك •

ومنها : وأنا على أفضل ما جرت به علينا من الله عوائده ، وتواترت به الينا فوائده ، من سبغ نعمة •

ومنها : مع هداية الله لنا لما أضل عنه الضالين ، وبنصره ايانا مـا أعمى عنه قلوب الجاهلين ، من أهل التقصير والافراط •

ومنها : واعلم أن كل من علمه الله ، وأبلغ اليه معرفته ، كان أعظم للحجة ، والله طالب اليه الشكر فيما أنعم عليه •

ومنها : ولله على ما أهدى اليك شاكرا •

ومنها : حتى يستحق بذلك من الله محبتـه ، اسـتحفظ الله لك ، واستكلئه اياك • انقضى •

من سيرة أبى المؤثر :

خلق الخلائق محتاجين اليه ، غنيا عنهم ، غـير عابث فى خلقهم ، ولكن خلقهم لينفعهم ، ولينتفع بعضهم ببعض ، الغنى الذى لا تلزمـه الحاجـات •

ومن سيرة شبيب بن عطية :

فقد عير الله أقواما •

ومنها : وعيرهم فى آية أخرى •

ومنها : وعير الله أقواما حين تركوا الأمر بالمعـروف ، والنهى عن المنـكر •

ومنها : وقد يعرف ذو الألباب أن لو كانت النجاة والعصمة باتباع الكثرة والجماعة ، حيث دارت من الطاعة والمعصية ما حمـد الله صاحب

ياسين ، ومؤمن آل فرعون ، ولا أصحاب الأخدود . هؤلاء الذين كانوا ينهـــــون عن الســـــوء •

ولا الذين يشرون أنفسهم ، ولا ذم الله الذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس والأحبار ، اذ نمتهسم حيث يقــول : (لولا ينهاهــم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهــم السحت لبئس مــا كانوا يعملـــــون) •

ومن سيرة سالم بن ذكوان :

فنجاة الله من الفتنة ، وارتضاه لنفسه ، يعنى محمدا النبى صلى الله عليـــــه وســــــلم •

ومن سيرة أخرى لشبيب :

فانه انما انتخب الرسل ، ونزل الكتب ، ليطلب الى العباد معـرفة ما يكرهها ، وما جاءهم عنها معرفة ما يجب فأمضاه عليها حجة له بمــا بيّن فى ذلك من حلاله وحرامه ، وما بيّن من رضاه وســخطه مع الذى حذر من نفسه ، وشدة عقوبته ، وعداوته من الأليم المستأصل من عذابه •

ومنها : وقد فرع الله لمن الحكم فى ذلك •

ومنها : وبلغ بهم قولهم ذلك الى أن يكذبوه الى عرشـــه ، وبطلوا مــا قدم الى رســــله •

ومنها : والقوة لله وبه •

ومن سيرة القاضى أبى زكريا الى أهل حضرموت :

ولقد لقى أنبياء الله من الصغار والذل والبؤس والقتل مالا أحسبه تخفى عليــــكم أخبـــاره •

ومن سيرة لمحمد بن محبوب :

الى امام حضرموت أحمد بن سليمان فى رضا الغفور لراحة القبور .

ومنها : وقطع رحم الاسلام .

ومنها : وهدمت من الاسلام حصونه ، وفقئت عيونه .

ومنها : أفأمنتم من الله سطوته ومكره .

ومنها : ولم يدفعوا عن حرم الله .

ومنها : والدين مرذول .

ومنها : وأقرضوا الله أنفسكم ساعات يردها اليكم فى الجنة خالدات ، فاتخذ الذين أنكروا على عثمان أعوانا وأنصارا ، وأسماعا وأبصارا .

ومنها : فقل شيء أدبر فأقبل .

ومنها : فقد أختبركم الله بهذه الفتنة .

ومنها : فأخبر عن قول نبى بنى اسرائيل : يا رب انك سلطت علينا هذا العدوّ الجبار ، فانتهك المحارم ، فأوحى الله اليهم ، وينبغى أن يكون وحى الهام ، والله أعلم أنى كذلك أفعل اذا غضبت على قوم سلطت من شر منهم .

ومنها : ولن تبرح من موضوعك راصدا لهم ، وكائدا عن رعيتك ، والله المكايد عنكم ، والكائد لكم ان شاء الله .

ومنها : وانصروا الله ينصركم ، وينجزكم ما وعدكم .

ومنها : أعز الله كلمتكم وشكر أعملكم ، وقوى دعوتكم . ورد اليكم نعمتكم ، وأفلح حجتكم ، وأثرى أموالكم ، وكثر على الحق رجالكم ، وصدق مقالكم ، ورضى آمالكم .

ورتق الله بكم الفتوق ، وأعطى بكم الحقوق ، وأحيا بكم سنة الصادق الصدوق ، وأخمد بكم ذوى الفتنة والمروق ، كان الله معكم ، وجعلكم معه ، وكان لكم وجعلكم له .

ودفع الله بكم الأعداء ، وداوى بكم الأدواء ، وأوضح بكم سبيل الهدى ، أدام الله ستركم ، وأعز نصركم وقوى قلوبكم ، وطهر عيوبكم ومكن الله بكم الاسلام ، ووصل بكم الأرحام ، وجلى بكم الظلام .

وشد الله أزركم ، ووضع وزركم ، أنار الله بكم الشرع ، وأطفى بكم البدع ، وسكن الله بكم الروعات وأذهب بكم الفزعات ، حقن الله بكم الدما ، وجلى بكم العمى ، لا أراكم الله سوءا ، ولا أشمت بنا ولا بكم عدوا .

حمد الله أمركم ، ومدح أثركم ، ورفع قدركم ، وقوى صبركم ، وشكر شكركم ، وأعاذكم جور الممالك ، ومحل المهالك ، وأحلنا واياكم دار السلام ، مع الحور فى تلك الخيام . وفعل ذلك لنا ولجميع المسلمين أنى كانوا آمين آمين رب العالمين .

مكر بأعدائكم ، وكادهم بكيدهم المتين ، وأتى قواعدهم من حيث لا يشعرون ، وفعل ذلك بأعدائنا وأعداء المسلمين ، وبلغنا واياكم الى جزيل الثواب .

ومن سيرة احمد بن سليمان امام حضرموت :

ختم الله لنا ولكم بالشهادة والسعادة ، والمغفرة والرحمة .

ومن سـيرة لموسى :

الى الامام فجنبنا الله واياكم وايانا من ذلك عسره ، فانا لرحمته راجون ، واليه محتاجون •

ومنها : من أولها أوصيك ونفسى بتقوى الله ، وحفظ ما استحفظك من أمـــانته •

ومن سيرة خلف بن زياد البحرانى :

غير أن جملتها أن الله ما ادعى ، وأنه برىء مما تبرأ ، وأن جميـع ما قال فى جميع الأمور حقا ، كما قال ، فاتقوا الله بحقــه فأدوه اليه ، ولتحضركم فى ذلك نياتكم باتقاء عـذاب الله ، والتعظيم لسـخطه فى التضـــييع لحقـــــه •

ولتحضركم نياتكم بابتغاء الوسيلة اليه ، والنجاة عنده فى أداء حقوقه اليه ، وفى اتقاء نهيه ، فان الله لا يقبل الطاعة الا على ذلك من النية •

ومنها : والقوة لله ، ولا قوة الا بالله •

ومنها : فاعلم أن له الحق والأمر فى الخلق ، وأن له السمع والطاعة فى السمع ، وأن له الحق والعبودية بالحق •

ومنها : والله المستعان على ذلك •

ومنها : تعالى الله وتجبر •

قال المضيف :

عرفت أن تجبر لا يجوز ، والله أعلم •

ومنها : ولكن لمن أقر بالأحكام حرمة تحجر بها من الله •

ومن غيره :

وعن أبى عبيدة وأبى مودود : والله رفيق يحب الرفق ٠

قال غـيره :

قوله رفيق يحب أن ينظر فيه ٠

ومنها : فان الرحماء فى الله وفى الاخوان فيه هـم أهل التجاوز ، وكظم الغيظ ، ودفع السيئة بالتى هى أحسن ، فتعلموا أخلاق الصالحين، واقبلوا أدب الناصــــحين ٠

٭ مســألة :

نسخة فصل من أبى مودود حاجب الى أبى الحسن : استعنت بالله لنـــــا ولك ٠

ومنه : واسأله أن يكيد عنك ، وأن يحفظك ، وأن يشهد الله منازل ضعفك ، وجندك جنودا من أهل السماء ، وأولياء طاعته من أهل الأرض حتى لا يستطيعك أحد من أهل الباطل ، ولو بالجنود ، ولو اجتمعت وحتى لا ينالك كيد كائد باغ مسر ولا معلن ، فصل المالك للامر ، القاهر فيــه الخلق القادر فيه على ما يريد ٠

فصـــــل

وهذا الى أهل عمان فى زمن أبى عبيدة من ذلك ، وما حمد من ذكره فى ملكه بالمنزلة التى انتسب بها الى خلقه ، فيحمد بها ، وعزز بها نفسه ، وتعالى بها ، وعظم بها شأنه ، من العلى والعظمة ، والكبرياء والجلال ،

والعزة فى سلطانه ، والعدل منه فى عزته ، والقدرة على ما شاء من أمره فيمن شاء من خلقه ، والعفو فى قدرته عليهم عمن شاء منهم ، ثم لا يؤوده .

فهو الأول البديع المبتدع الخالق كل شيء ، البارىء المصور الخالق على غير مثال ، وهو الآخر الباقى بعد هلاك كل شيء ، وهو الظاهر بالعزة التى لا ترام ، والملك العظيم الدائم بسلطان المقدرة القاهر .

وهو الباطن اللطيف الخبير فى العلم ، المبين الذى لا يبرز ، فأحق من القسم لذلك ، ولما لا يحضر من مناسبة العالية الكريمة الجليلة ، غير أن جملتها أن له ما ادعاه ، وأنه برىء ما برىء منه ، وانما قال فى الأمور كما قال .

منها : الحول بالله والقوة منه .

ومنها : نسأل الله الملك الحق ، لا اله الا هو رب العرش الكريم ، أن يوفقنا واياكم للتى هى أقوم ، وأن يعصمنا من شبهات الضلالات ، ولبس الفتن ، ورييب الأمور الزائغة عن العدل .

ومن سيرة موسى بن جابر :

أن الله اصطفى التقوى واختصها ، وتولى أهلها عليها .

ومنها : والاسلام شرعة الله ودينه فى الأولين والآخرين بقوله : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) الآية .

ومنها : والله طالبه اليه ، وسائله عنه .

ومنها : وما طلب الله الينا من البيان ، والنظر لغيرنا وأهل ديننا .

ومنها : وقام مقامها يخطب أهلك فيه نفســه . والله طالبه اليــه . وســائله عنــه •

✻ مســألة :

ويجوز أن يقال : ذهب الله بأصل كذا وكذا أم لا ؟

الجــواب :

فى ذلك ان كان شيئا قد أهلكه الله ، فقال ذلك على وجــه الاخبار ، فلا بأس بذلك ، وكذلك ان دعا بذلك على أحــد من أعدائه ، فقــال : ذهب الله بنفسه ، أو بسمعه ، أو ببصره ؟

قال : لا بأس بذلك ، وبالله التوفيق •

✻ مســألة :

يجوز أن يقال ما أحلم الله وأكرمه أم لا ؟

فاكره الكلام بذلك وعليه أن يصف الله أنه حليم كريم •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

قد قيل : لا يجوز ذلك ، لأنه من التعجب • رجع •

✻ مســألة :

يجوز أن يقال رضيت بما رضى الله لى أم لا ؟

اذا أراد بذلك رضيت بما يعطينى الله من جنته وثوابه ، لأن رضا الله هو ذلك ، فعلى هذا المعنى لا بأس بذلك •

* مســألة :

يجوز أن يقال كسح الله بأثر فلان اذا ممن يظلم الناس ويؤذيهم أم لا ؟

لا أرى ظاهــر اللفظ يصلح ، واذا أراد بذلك أهلكه اللــه فلا أراه مأثومــــا •

* مســألة :

يجوز أن يقال : لطف بنا أم لا ؟

بل جائز ذلك ، وبالله التوفيق ، قال الله تبارك وتعالى فى ســورة يوسف : (أن ربى لطيف لما يشــاء انه هو العليم الحكيم) •

* مســألة :

يجوز أن يقال : كل بالله لاحق أم لا ؟

بل جائز ذلك على معنى أنه لاحق بحكم الله فيما له أو عليــه من مسيء أو محسن •

* مســألة :

وفيمن يقول : رأيت الله يقول كذا وكذا يكون آثما أم لا ؟

لا اثم اذا أضمر بقوله : انى علمت أن الله قال : كذا وكذا ، وليس فى المعقول أنه يقــول : رأيت الله ادراكا منه ببصره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

لأن الرؤية قد تكون عــلى ضربين : رؤيــة بادراك البصر ، ورؤية بالعلم ، ألا ترى الى قول الله تبارك وتعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) أى ألم تعلم •

بـــاب

فى التفسير والتوحيد ونحوه

وقال فى قول الله تعـالى : (الا من أتى الله بقلب سليم) قال : ليس فى قلبه الا الله وأمره خالصا لا غير ذلك ، والا فالهلاك على معنى قـــوله .

وذكرت فى قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنـــوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقد وجـــدنا فى التأويل فى ذلك اختلافا :

قال من قال : انها نزلت فى أهل الكتاب خاصة أن ضلالهم لا يضر الذين آمنوا ، الذين اهتدوا الى الاســـلام .

وقال من قال : وذلك المأخوذ به عن المسلمين لا يضرهم من ضل عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اذا اهتدوا هم للأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وذلك يوجـــد عن أبى المؤثر رحمه الله .

ويوجد عن أبى عبد الله محمد بن محبـــوب رحمه الله الى أهـــل حضرموت قال : ان أبا بكر الصديق رحمه الله خطب الناس فقال : يا أيها الناس لا تتأولـــوا هذه الآية على غير تأويلهـــا : (يا أيها الذين آمنـــوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) لقد سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لتآمرون بالمعروف ولتنهـــون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعذاب » وكل هذا جائز من التفسير ، وكله صـــواب ، والله أعلم بتأويل كتـــابه .

وذكرت فى قول الله :(ونادى أصحاب الأعراف) قلت : ما تأويـــل خبر أصحاب الأعراف ؟

فالذى وجدنا فى جمل أخبار أهل التأويل ، وكذلك عن ابن عباس : أن الأعراف هو السور الذى بين الجنة والنار ، ويسمى الأعراف ، وأما أهل الأعراف فالله أعلم بهم .

وقد جاء فى الحديث عن ابن عباس وغيره : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا على الأعراف بعد دخول أهل الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار ، يعرفون كلا بسيماهم ، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، ويعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم .

واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا : (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب الجنة قالوا : سلام عليكم ، قال الله تعالى : (لم يدخلوها وهم يطمعون) أى لم يطمعوا بدخول الجنة لاحتباسهم عن دخول الجنة عند دخول المقربين .

(ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) قيل : انهم نادوا أصحاب النار يعرفونهم بسيماهم ، اسوداد الوجوه (قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) وهو كذلك لا يغنى عن أهل النار مال ، ولا جمع (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) يعنون بذلك أهل الجنة .

كان أصحاب النار فى الدنيا يستهزئون بالمسلمين ، ويحلفون لا ينالهم الله برحمة ، وينحلونهم الضلال فى دينهم وفعالهم قال الله تعالى : (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون . ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) يعنى بذلك أهل الجنة ، ثم يدخلون بعد ذلك الجنة بعد احتباسهم ، والله أعلم بتأويل كتابه .

وقد عرفنا من قول بعض الفقهاء أن الناس يوم القيامة ثلاثة : المقربون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال والله يفعل ما يشاء ، ولا يعدو ذلك من أحكام الله أنه يفعل ما يشاء ويرفع عباده درجات فى الدنيا والآخرة .

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه بعث جيشا من أصحابه ، فيه رئيس المسلمين : منهم حمزة بن عبد المطلب وغيره ، فرفعت له الأرض حتى وقعت الحرب بينهم ، وكان كلما أخذ الراية رجل من أصحابه وقتل قال : قتل فلان رحمه الله الى أن أخذ الراية عبد الله بن رواحة ، فلما حصل اليه الأمر دخله شبه الجبن عن القتال ، ثم قاتل بعد ذلك حتى قتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قتل عبد الله بن رواحة ، ثم وقف ساعة ثم قال : رحمه الله » .

فعاتبه فى ذلك بعض من الأنصار : فقال له : « جبن عن القتال ، فحبس عن الجنة بمقدار ما دخل فى نفسه من الجبن عن القتال ، ثم أدخل الجنة ، والله يفعل ما يشاء » .

وهذا دليل على ذلك ، ولا نعلم أن هذا الحديث يشك فيه أحد ولا يرده .

وأما ما يوجد عن أبى المؤثر رحمه الله فقال : الله أعلم بأصحاب الأعراف ، من مات مصرا دخل النار ، ومن مات تائبا دخل الجنة ، فهذا قول أبى المؤثر ، وهو قول صحيح ، والله يفعل ما يشاء ، وهو أعلم بعباده ، وأعلم بتأويل كتابه .

وقلت : هل يجوز أن يقال : لله ، أو يدعى يا حنان ، أو يا برهان ، أو يا سلطان ، أو يا عاقل ؟

فأما يا حنان فقد عرفنا فى ذلك اختلافا :

فكره ذلك من كره ، وقال من قال : لا بأس بذلك ، لأن ذلك يخرج على وجه الرحمة بقول الله تعالى : (وحنانا من لدنا وزكاة) أى رحمة من لدنا ، كذلك الحنان هو الرحمن على هذا .

وأما برهان : فالبرهان هو الحجة ، والله ذو الحجة ، لا يقال الحجة ، وبرهان الله ولا يقال : هو الحجة ، ولا البرهان .

وأما السلطان : فهو القدرة ، والله ذو القدرة وهو القادر ، ولا أحب أن يقال : الله سلطان ، ولا برهان ، ويقال ياذا السلطان ، وياذ البرهان ، وقال تبارك وتعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا وذروا الذين يلحدون فى أسـمائه) .

وأما يا عاقل : فلا يحسن معنا أن يسمى الله بهذا ، لأن هـذا من أسماء المخلوقين .

وقلت : فى قول الله تعالى : (فليـدع ناديه . سندعوا الزبانية) فقد وجدنا فى التأويل : أنه أبو جهل بن هشام والزبانية هاهنا زبانية نار جهنم فيما سمعنا ، والله أعـلم .

وذكرت فى قول الله تعـالى : (وأما الغـلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) .

قلت : أيلزم من قراء قصته أن يبرأ منه ؟

فعلى ما وصفت ، فعلى ظاهر الآية فى القراءة فلم نعلم أنا وجدنا ذلك عن أحـد من المسلمين ، ولا حفظناه عن أحـد أنه يلـزم البراءة منـه بظاهر الآية .

وقد عرفنا من قول الشيخ أبى الحسن رحمه الله فى أصحاب الجنة الذى قصتهم فى سـورة (ن والقلم) ، فكان من مذهبه فيهم أنهـم تابوا ، وأنهم من أهل الجنة ، الولاية فى آخـر خبرهم فى آخر القصـة فى كتاب الله ، وقال : انه يسع من لم يعرف خبر توبتهم أن يتـولاهم الا على الشريطة ، ويسعه جهل ذلك اذا دان فيهم بما يلزمه مما قد بلغت اليـه معرفته من قصتهم .

فان كان الذى قد صح معه من أمرهم موجبا عليهم ولايتهم قطعا ، تولاهم على ذلك ، وان كان الذى بلغه من قصتهم فى أول القصة بلغ بهم الى العداوة قطعا عاداهم على ذلك .

وكذلك عرفنا عنه فى قصة هاروت وماروت أنه يسعه جهلهما على الشريطة فيما يلزمه فيهما من ذلك .

وكذلك أحسب قال : من جاء فيه فى كتاب الله أمر الله ليس بمصرح فى ظاهر التنزيل ، فانما يصح أمره فى التأويل فما لم يصح معه التأويل ، ولا يشك فى ذلك ، فواسع له الدينونة فى ذلك بالشريطة على سبيل ما وصفت لك .

وكذلك عرفنا من قول أبى عبد الله محمد بن روح رحمه الله ، فى أبى جهل بن هشام ، أنه نزلت فيه هذه الآية : (ان شجرة الزقوم . طعام الأثيم) فقال على معنى قوله انه أبو جهل بن هشام ، ثم قال : على من صح معه أنه أنزلت فيه هذه الآية ، فعليه أن يبرأ منه قطعا ، ويشهد أنه من أهل النار .

ومن لم يعرف ذلك فعليه أن يبرأ منه بظاهر أمره ، ومن لم يصح معه ظاهر أمره ، ولا ما نزل فيه ، فليس له ولا عليه أن يبرأ منه باسمه وعينه ، وأشباه هذا فى كتاب الله مما عرفنا فى تأويله ، وليس بلازم من لم يعرف تأويل ذلك .

كما أنه قد قيل : ان هذه الآية نزلت فى عائشة أم المؤمنين عليها السلام : (الطيبات للطيبين) الى آخر الآية الى قوله تعالى : (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) .

ووجدنا عن أبى عبد الله رحمه الله أنه قال : وأنا ممن يقول ، أو ممن يشهد أن هذه الآية نزلت فى عائشة ، وليس على من لم يعلم ذلك أن يعلم فيه كعلمى ، ويسعه جهل ذلك ما لم يصح معه ذلك ، فهذا فى اللزوم بالحكم الظاهر •

أما قولك انه لا يكون قتله للغلام الا بالحق ، فصحيح ذلك بلا شك أنه لا يكون القتل من أولياء الله وأنبيائه الا بالحق ، وعلى الحق ، ولكن قد يحتمل أن يكون المقتول محقا ، والقاتل محقا ، وقد يكون ذلك فى فى أحكام الظاهر من أحكام المسلمين •

فان قال قائل : فان ذلك قد يكون فى أحكام المسلمين ، لأن أحكام المسلمين انما هى بما ظهر اليهم ، وهذا قد نزل به القرآن ، وفعله ولىّ من أولياء الله ، ممن قد صحت سعادته فى كتاب الله ، فلا يفعل السعيد الا الحق •

قلنا صدقت أنه لا يكون من السعداء والأنبياء بأمر الله إلا الحق — نسخة — بالحق ، ولسنا نشك فى القتل نفسه أنه الحق ، ولا نقول انه لا يلزم ذلك •

ولكنا لم نعلم ما لم يكن الوصول الى معرفته الا بالتأويل أن قد قرأ التنزيل ، وجب عليه معرفة التأويل ، الا أن يكون التأويل مما لا يسع جهله من التوحيد ، والوعد والوعيد ، مما كان مما لا يسع جهله ، اذا خطر بالبال ، أو سمع ذكره ، وقد يكون من السعداء والأنبياء ، مما هو حق من فعلهم ، ومحق من فعلوا ذلك •

ومن ذلك ما جاء به الأثر الذى لا نعلم أن أحدا من أهل القبلة يرده فى قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنثه •

قال غـيره :

لعله أراد أتته امرأة ورجمها على الزنى ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمها بعد أن شهد لها بالجنة ، أو رجمها وشهد لها بالجنة ، فقد كان ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومحق من فعـل به ذلك النبى صلى الله عليه وسلم •

فان قال قائل : فان هذه انما شهد لها رسول الله صلى الله عليـه وسلم بالجنة ، اذ تابت وأقام عليها حكم الله ما استحقته ولم يسـعه غـير ذلك ؟

قلنا له : صدقت بما به لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم بتارك حدا قد لزمه اقامته ، ما كان النبى صلى الله عليه وسلم بشاهد لأحـد بالجنة لاستغفاره بلسانه ، ولا باقراره بالايمـان بلسانه ، ولا بأمـره الصالح من شأنه ، ولا بموضعه ومكانه ، والله تبارك وتعالى يقـول : (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفـر الله لهـم) •

وقوله : (سواء عليهم استغفرت أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وما كان النبى صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم بعد أن علم أن الله لا يغفر لهم •

فان قال قائل : فان قبل الله من النبى صلى الله عليه وسلم ليس بدال على الخروج مما نطق به الكتاب من قبـل من قتله من أنبياء اللـه وأولياء الله ، لأن هذه انما قتلت على حد ، وقد تابت من ذلك ، وهـذا الذى قد ذكره الله فى كتابه من القتل لم يكن الا بالحق ؟

قلنا له : نعم قد قلنا ان أنبياء الله لا يكون منهـم الا بالحـق ، الا ما يـكون من زلات الأنبياء عليهـم السـلام ، والصحيح أنهـم

تائبون دن ذلك . الا أنه قد يمكن أن يكون القاتل محقـا ، والمقتـول محقا ، ويمكن أن يكون المقتول مبطلا ، والقاتل مبطلا ، وقد صح ذلك فى كتاب الله فى الأنبياء عليهم السلام •

فأما ما جاء فى ذلك من حق القاتل والمقتول مما أخبر الله عن ابراهيم عليه السلام فى ابنه ، وما ابتلاه الله به فيه ، وما أراد من ذبحـه تقـربا الى الله بذلك ، وهو طفل لا ذنب عليه من غـير أن يجب عليه حـد من حدود الله ، ولا حق من حقوق الله الا ما ابتلى به ابراهيم ، وذلك قول الله عز وجل : (ان هذا لهو البلاء المبين) •

لما أراد ابراهيم باجراء الشفرة عليـه من بعـد أن أسلما جميعا لأمر الله وتله للجبين الا لذبحه ، ولو ذبحه صلى الله عليه وسلم لـكان ابراهيم محقا فى ذلك ولو لم يستسم ابراهيم لأمر الله ، ويذبح ابنه كما أمره الله لكان مبطلا ، ولكن حاشاهما من ذلك وقد عـلم الله صـدقهما وارادتهما ، وما يبلغان اليه من سابقتهما •

وكانت طاعة الله لازمة لابراهيم عليه السلام ، وذبح ابنه ابتـلاء منه له بذلك ، كما جعل الله طاعته على الملا من بنى اسرائيـل فى زمن موسى عليه السـلام أن يقتلوا أنفسهم ، اذا ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل فقال : (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم) فلما قتلوا أنفسهم كان ذلك توبوته الله عليهم ، وكانت تلك طاعة عليهم يبتلى الله خلقه بما يشاء •

ولو أن رجلا من المسلمين رأى أحدا من المسلمين يقتل نفسه ، وهو صحيح العقل كان بذلك عنده من الكافرين ، ولم يكن ذلك محتملا عندنا

أن يكون ذلك توبة له ؛ لأن ذلك ليس من ديننا . وذلك منسوخ فى كتاب الله وشريعة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولو أنه رأى رجلا مسلما يقتل رجلا مسلما لا يعرف على ما يقتله ، كان القاتل والمقتول معه فى الولاية ، لأن ذلك محتمل فى شريعة دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يبتلى عباده فى القتل لأنفسهم ولغيرهم من صغير أو كبير بما يشاء ، فيكون ذلك الابتلاء من الله رحمة القاتل والمقتول ، أو رحمة للقاتل وعقوبة للمقتول ، والله يفعل ما يشاء فى عباده .

والاحتجاج فى هذا من كتاب الله دال على الصواب على سلامة من لم يصح معه تأويل ذلك ؛ هذا كثير من كتاب الله ؛ والله أعلم بجميع تأويل كتابه .

وأما ما هو خطيئة من الفاعل ورحمة للمفعول ، كما فعل بنو يعقوب عليهم السلام بأخيهم يوسف عليه السلام ، وهم أنبياء الله وخيرته ، وليس هذا بقدوة من بنى يعقوب ، ولا كان ذلك منهم صوابا ؛ فهؤلاء أنبياء ويوسف صبى ، وابراهيم بنى ، وابنه صبى .

وكان فعل هؤلاء فى أخيهم لعله يشبه بما فعل ابراهيم فى ابنه ، وان كان فعل ابراهيم أوحش أن لو كان باطلا مثل فعل بنى يعقوب ، لأنه ما أراد باجراء الشفرة فى حلقه الا ذبحه ، وليس بعد اجراء الشفرة الا الذبح .

وهؤلاء عليهم السلام ، وان كانوا قد فعلوا عظيما من الأمر فى القائهم اياه فى الجب ، فانهم لم يقصدوا الى ذبحه ، بل قد كان من قول بعضهم ليلتقطه بعض السيارة ، فرأوا أن التقاط السيارة ابقاء عليهم وعليه ، ولم يقصدوا منهم بالعمد الى قتله ، فكان هذا من فعل الأنبياء خطأ وزلة .

وكان الذبح من فعل ابراهيم طاعة لله ، وتقربا اليه ، وهكذا حكم الله فى عباده ، لأن جميع عباده قد حكم عليهم بالزوال ، وأجرى عليهم الانتقال من حال الى حال ، لأنهم له وعبيده ، القاتل منهم والمقتول ، والمحق منهم والمبطل ، يتوفاهم فى بطون أمهاتهم ، وفى أيدى الأحوال شاء من حالاتهم ، والوصف فى هذا يتسع ويطول والله الموفق للصواب .

وأما ما يصح من ذلك فى كتاب الله من خطأ القاتل والمقتول ، فما فعله موسى من قتل عدوه من غير أن يأذن الله له بذلك ، ويأمره به ، وان كان المقتول عدوا لله ولموسى كان قتله له من غير أن يأذن الله له بذلك بمنزلة الحاكم اذا وجب على السارق قطع يده ، فرجمه الحاكم تقربا الى الله ، وقال : هذا معى أشد من الزنى ، لأن هذا الزانى انما ذنبه فيما بينه وبين الله على مطاوعة من الزانية له .

وهذا قد انتهك حصنا من حصون المسلمين ، فهذا أولى بالرجم فرجمه على ذلك ، وقال : هذا حد من حدود الله .

وكذلك ان كان على موسى أن يسخط لله ، ويعادى عدوه ، فانه غير مأذون له فى قتله ، اذ هو عدو لله وله .

ولا يسع جميع خلق الله فيما تعبدهم فى خلقه وفى جميع أمره ونهيه الا بالحق ، ولا يضيق على أحد من خلق الله فيما تعبده الله به الا بالخروج من الحق ، وانما هذا كله جواب فيمن لم يعرف الآية ، ولا يصح معه أمرها ، والله أعلم بتأويل كتابه .

وأما تأويل الآية فقد عرفنا فى ذلك مما وجدنا فى التأويل فى هذا أن المقتول كان كافرا ، وفى التأويل أنه فى قراءة أبى بن كعب رحمه الله : وأما الغلام فكان فاجرا ، هكذا وجدناه فى التأويل ، يروى أنه من قراءة أبى بن كعب .

وأما الغلام فكان فاجرا ؛ يقطع الطريق ، وكان أبواه مؤمنين ؛ أى وكان أبواه فى التأويل ذوى منزلة وشرف ، وكان ولدهما ذلك يفسد الطريق ، ولعله ينتهك المحارم ، ثم يلجأ اليهما لوضع شرفهما ؛ فيمنعانه ، ويحلفان بالله انه ما كان منه ذلك ، قال الله تعالى : (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) أى يعلمنا أن يرهقهما ذلك الحلف طغيانا وكفرا ، أى فعلم ذلك .

وفيما وجدنا أن فى قراءة أبى : فعلم ربك أن يرهقهما ذلك الحلف طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة ، وأقرب رحما .

ففى التأويل أنه رزقهما الله من بعد قتله جارية ، والله أعلم كانت صديقة أو ما قد كانت ، الا أنه أحسب أنها كانت صالحة ، فتزوجت فولدت نبيا من الأنبياء فتاب على يديه أمة من الناس على حسب ما عرفنا فى تأويل هذه الآية ، والله أعلم بتأويل ذلك وجميع الحق والصواب .

وقلت : ان سأل سائل عن الله تبارك وتعالى أين هو وعلى ما هو ؟

فالذى وجدنا فى هاتين المسألتين من قول المسلمين ان قال لك : أين الهك فقل : هو خالق للأين كان الله ، ولم يكن الأين حتى خلق الأين ، ثم كان المكان ، وكان الأين فبأينيته الأين صار أينا .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

الذى عرفنا فبأينيته للأين . رجع .

فهذا ما وجدنا فى هذه المسألة ، وهو قولنا وديننا ، ولا يجوز على الله الأينية ، لأن الأين انما يقع على محدود ، ولا يجوز على

الله التحديد ، لأنه من قال : أين فقد أشار الى تحـديد الله فى مكان دون مكان ، والله لاتحـويه الأماكن ، ولا تخلوا منـه الأماكن ، ولا يوصف بمكان دون مكان ، ولا يقع عليه اشارة ولا يدركه عيـان ، فتعالى اللـه عن صفة خلقه وبان .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

الباري تعالى ليس ببائن ، ولا متصـل ، ولا منفصل ، ولا مجاور ولا ممازج . رجـع .

وأما قوله على ما هو تبارك وتعالى ، فقد وجـدنا فى ذلك أنه أن قال لك : هو على الشيء ، أو الشيء عليه فقل : لو كان على الشيء لـكان الشيء أقوى منـه ، لأن الشيء يحمله ، والحامل أقوى من المحمـول عليـه .

فان قال لك : فالشيء عليه ، فقل لـو كان الشيء عليه لجـاز أن يقال : انه أسفل ، لأن المحمـول يكون فوق الحامل ، والحامل أسفل من المحمول ، فهذا الذى وجدناه ، وهو قولنا وجوابنا ، ولا يجـوز هذا على الله ، وانما عاد الله على جميع الأشياء بقدرته ، واستعلى عليهـا بعظمته ، وبطنها بخبرته ، واستولى على جملتها باحاطة علمه ، لا يشبه الله بشيء من الأشياء فى جميع صفته (ليس كمثله شيء وهـو السميع البصـير) .

وقول الله تبارك وتعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) إنما هو خبر أخبر به بذلك عن صـفته تبـارك وتعـالى أنه (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فلا يجوز النسخ فى خبر الله ، ولا فى صفة الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فاذا جاز النسخ فى آية (لا تدركه الأبصار) من صفته جاز النسخ فى آية (عزيز حكيم) وآية (غفور رحيم) .

واذا جاز فى هذا جاز فى قوله : انه (أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحـــد) تعالى الله علوا كبيرا •

والكلفة فى هذا وفى مذهبه حقيقة ، والمؤنة هينة •

وقال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

وجدت الحجة على من قال منهم : انه انما لا تدركه الأبصار فى الدنيا وأن البارى عنى بقوله ذلك حينئذ الحجة عليهم . ان كان البارى عنى بقوله ذلك فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، فهو لا يطعم ، انما هـــو فى الدنيا ، وأنه على كل شيء قدير فى الدنيا ، ولم يكن له كفوا أحد فى الدنيا ، وأمثال هذا من أخبار البارى التى أخبر بها عن نفسه •

فلما أن كان لم يكن ذلك ، وكان قوله عاما فى الدنيا والآخـــرة ، دل ذلك أنه لا يرى فى الدنيا والآخرة اذ مدائح الله لا تزول فى الدنيـــا ولا فى الآخرة ، ونحو هذا وأمثاله مما يحتج به عليهم • رجع •

وأما معنى قوله : (وجاء ربك والملك صفا صفا) فالذى معنـــا أنه وجـــاء أمر ربك والملك صفا صفا • وهـــكذا خبر الله عن يوم القيامة أن الملائكة تكون يوم العرض صفوفا ، ويأتى أمر الله بما قد حـــكم وقضى وقسم من أهوال يوم القيامة فقال : (ويحمـــل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية • يومئذ يعرضون) أى ثمانية صفوف •

وقال تعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش) وفى التأويل فى صفة يوم القيامة وأخبارها يطول به الكتاب •

والمعنى فى قوله تعالى : (وجاء ربك) انما هو : وجاء أمر ربك ، كما قال تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم اللـــه فى ظلل من الغمـــام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور) •

المعنى فى ذلك : هل ينظـرون الا أن يأتيهم أمر اللـه فى ظلل من الغمام ، لأن أمر الله انما تنزل به الملائكة فى الدنيا وفى الآخرة ، كما قد قدره الله وأراده من غير عجـز من الله عن ذلك ، ولكن تقديره وتدبيره تبارك وتعالى •

فان قال قائل : فانما ظاهر الآية انما هو قال : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) •

وقال : (وجاء ربك والملك صفا صفا) ولم يقل هاهنـا أمر الله ، فانما ذلك قولكم أنتم •

قلنا : كذلك قول الله فيمن أنزل به العذاب والعقاب فى الدنيا ، فقال تعالى : (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وقال : (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) فيجوز على الله أن يكون هو الآتى فى الدنيا ، كما يجوز أن يكون هو الآتى فى الآخرة ، أو لا يجوز ذلك فى الدنيا ، ويجـوز فى الآخرة ، بل لا يجوز عليه ذلك فى الدنيا ولا فى الآخرة ، والحجة فى هذا واضحة من كتاب الله بما يطول به الكتاب ، واللـه أعلم بتأويل كتابه ، وهو أعلم بالصـواب •

وذكرت فى قول الله عز وجل : (وجاءكم النذير) قلت ما النذير ؟

فقد عرفنا فى ذلك أنه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قيـل فى بعض التأويل : انه الشيب ، والقـول الأول أصح معنا •

وقد يوجد أن الشيب يسمى النذير ، أى نذير المـوت ، فلما أن كان الشيب انما هو نذير الموت ، قلنـا : فقد تقـدم الحجة للـه على عباده اذا بلغ الحلم من قبـل أن يأتيه الشيب ، وقد يمكن أن يـكون الشيب فيما هو مخصوص منه فى ذلك ، لأنه قد وجدنا فى التأويل فى هذه الآية : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) :

فقال من قال : عشر سنين ٠

وقال من قال : اثنتا عشرة سنة ٠

وقال من قال : عشرون سنة ٠

والمعنى هاهنا قيام الحجة على المرء بقيام عقله ، وبلوغ سنه ، فاذا بلغ سنا ، وكمل عقلا ، فذلك العمر الذى تقوم لله عليه فيه الحجة ، ولو عصى الله بعد ذلك طرفة عين ، ولم يعمر غيرها ، ثم مات على ذلك كان مقطوع العذر هالكا بمعصيته بعد بلوغ سنه ، وكمال عقله ، شساب أو لم يشب ٠

فصح معنا أن هذا القول هو أصح القولين من التأويل ، وان كان ذلك القول الآخر يخرج على تأويل الحق لمن تأول ذلك على معناه ، وفى معناه ، والله أعلم بتأويل كتابه ، وبجميع الصواب ٠

وذكرت فى امرأة أبى لهب من قرأ سورة (تبت) (وامرأته حمالة الحطب ٠ فى جيدها حبل من مسد) ؟

قلت : أيلزمه أن يبرأ منها ؟

فليس معنا أن ظاهر الآية فى التنزيل مما يوجب عليها البراءة ، وانما ذلك فى التأويل ٠

فكل ما كان انما يصح حكمه من طريق التأويل ، ليس من طريق التنزيل ، فليس على من لم يعلم التأويل فى ذلك لزوم علم التأويل ، الا أن يبلغ اليه علمه اذا دان بالشريطة فى التأويل بجميع ما يلزمه من تأويل التنزيل ٠

وانما قيل فى ذلك فى معنى التأويل قوله : (حمالة الحطب) أى

حمالة النميمة : ففى التأويل أنها كافرة فى صحة التأويل ، وأما فى ظاهر التنزيل فليس ذلك على من غاب عنه ، والله أعلم بتأويل كتابه .

وكذلك قلت فى السامرى ، وكذلك أيضا فى السامرى هو معنا فى ظاهر الآية كافر ليس فى التأويل ، فمن عمى عليه ذلك من أجل اذ ليس فى ظاهر الآية لزوم الوعيد بلزوم العقوبة فى الدنيا ، والوعيد فى الآخرة ، فدان فى ذلك بما يلزمه فى ذلك ، وبرىء منه فى الشريطة جاز ذلك له ، ولم يضق عليه .

وأما القطع بالبراءة منه ، فذلك لازم من وقف على تفسير التنزيل لزوم البراءة .

وانما تكون براءة المتبرىء منه على ما أراده الله فيه من صفته تلك ، اذا لم يصح معه فيه أكثر من ذلك ؟

وأما التسعة الرهط ، فأولئك معنا ألزم أمرا فى البراءة ، وأوضح كفرا ، ولا يسع جهلهم معنا ، لأن فى ظاهر الآية لزوم العقوبة لهم ، والكفر لازم ، ولا يسع جهلهم من وقف على تعبير أمرهم ، والبراءة منهم براءة حقيقة بالشهادة على ما صح فى كتاب الله فيهم ، والله أعلم بالصواب .

وذكرت فى قول الله عز وجل : (قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم) ؟

فالذى وجدنا فى التأويل فى تفسير ذلك أنه ما يفعل بكم ربى هو معناها : ما يعبأ بكم لولا دعاؤكم ، أى لولا عبادتكم فهكذا وجدنا ، والله أعلم بتأويل كتابه .

وقلت : فيمن يقول بالرؤية وزعم أن هذه الآية (لا تدركه الأبصار) منسوخة ، نسختها : (وجاء ربك والملك صفا صفا) ؟

وقلت : ما الحجة عليه فى ذلك ؟

فاعلم — رحمك الله — أن هذا المتأول لهذا التأويل منحش فى القول . حائر عن سواء السبيل باجماع من أهل التأويل على خطئه ؛ لأن أهل العلم بالتأويل مجمعون لا نعلم بينهم اختلافا ؛ فان المنسوخ لا يجـرى من القرآن الا على حرفين لا غير ذلك فى الأمر والنهى ؛ ولا يجـوز النسخ على الوعد والوعيد ، ولا الأخبار ولا على الأمثال .

وعلى هذا جاء الصحيح من القول : ان القرآن نزل على ستة أحرف على الوعـد والوعيـد ، والأخبـار ، والأمثـال ، والأمـر ، والنهى لا غـير ذلك .

والوعد والوعيد ، والأخبار والأمثال ممتنعة عن المنسوخ ، وانمـا يجرى الناسخ والمنسوخ على الأمر النهى لا غير ذلك ؛ على هذا أجمعت الأمة لا يجـوز لهم غير ذلك ، لأنه اذا جاز النسخ فى الوعد والوعيـد على الموعـد والمواعد ، فلا يجوز ذلك الا من عجز من صاحب الوعيد .

لأن من وعد ثم لم يصـل الى وعيده ، أو رجع عن وعيده ، فلا يجوز ذلك منه ، الا عن عجز ما أوعـد ، وكذلك الوعـد لا يكون من واعـد يقصر فى وعده ، الا من خلف من عـدم أو بخل ، والله برىء عن البخل والعدم ، بل هو الصـادق فى وعـده ووعيده ، الغنى الذى لا يفتقر ، الكريم الذى لا يبخل .

وكذلك لا يكون الخبر من الصادق الا بما هو صدق لا كذب فيـه ؛ وعلم لا جهل فيـه .

كذلك لا يضرب الله الأمثال عبثا ولا لعبا ، تعالى الله علوا كبيرا .

قال غير المؤلف الكتاب والمضيف اليه :

هم انما يقولون ان تركه للوعيد بعد أن أوعد تكرما لما يشـاهدونه من حياء تركهم ، واحتجوا بقول الشاعر :

وانـى وان أوعـدته ووعـدته

لمخـلف ايعـادى ومنجـز موعـدى

فقيل لبعضهم : أفليس يسمى هذا مخلفا ؟

فقال : بلى أفيسمى البارى تعالى مخلفا ، فانقطع •

وأما الدليل : تثبيت الوعيد أنه لو كان فى الأخبار ، لآل ذلك الى تكذيب البارى تعالى ، وذلك أنه اذا قال : يكون كذا ، ثم لم يـكن ذلك على ما أخبر به كما أخبر كان كذبا ، ولا يكون صدقا من البارىء تعالى الا بوقوع الوعد والوعيد بمن توعده البارىء أو وعده •

وانما كان النسخ فى الأمر والنهى لتدبير البارىء فى خلقه بما هو خير لهم ، اذ هو أعلم بهم من أنفسهم ، فقد يعلم البارىء تعالى الخير للعباد فى الشدة ، فيأمرهم بها ، كالقتال يوم بدر ونحـوه لما أراد لهم من النصرة بعدوهم ، ثم يخفف ذلك عليهم ، وينسخه ونحو ذلك تدبـير البارىء تعالى لعباده •

وأما الأخبار فليس فيها تدبير للعباد ، اما الصـدق فيما أخبروا ، واما الكذب فيما أخبر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

لأنه تعالى يقول : (ومن أصدق من الله قليـلا) والحجة فى ذلك تطـول •

كذلك لا يضرب الله الأمثال عبثا ولا لعبا ، تعالى الله علوا كبيرا • رجـع •

وذكرت فى رجل خطر بباله اليهـود ، وعرف أنهم مكذبون بكتابنا ونبينا ، فشك فى البراءة منهم ، قلت : أهو هالك أم لا ؟

فعلى ما وصفت ، فهذه صفة لا يسع جهلها ، وقد وجـدنا فى الأثر عن محمد بن محبوب رحمه الله . أن الشاك فى شرك اليهود شـاك فى الحق ، ضال عن سواء السبيل ، وهو كذلك ؛ لأنه متى وسعه الشـك فيمن كذب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد وسعه الشك فى الجملة .

لأن الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والتصديق به من الجملة التى لا يسع جهلها ولا الشـك فيها ، وعلى هذا معرفة ضلالة من كذب النبى صلى الله عليه وسلم .

وكذلك من كذب بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يسعه الشك فى ذلك ، فمتى شك هلك ، لأنا مما عرفنا من صحيح الآثار من قول المسلمين : أنـه كلما لم يسـع جهله ولا الشك فيه ، ولا يسـع جهـل الشاك فيه جهل ضلالة من شك فيه ، لأنه كما لم يسعه هو الشك فيه .

كذلك لا يسعه الشك فى ضلالة الشاك فيه فى المنزلة التى لا يسـع فيه ، ولا يسع جهل ضلالة الشاك فيه ، والله أعلم بالصواب .

ولا يسع الشك فى ضلالة الشاك فيمـا لا يسع جهله من تفسـير الجملة ، أو فى الرد لشىء من الجملة ولا الانـكار لها ، أو الشـك فى الشاك فيمن ردها ، أو شىء منها ، وغـير منفس فى السـؤال عنـه ، وعليه أن يعلم ضلالة هذا الذى عرفنا ، وبه نأخـذ ، ولعله قد قال من قال غير هذا ، والله أعلم بالصواب .

وقلت : وكذلك من خطر بباله الجنة والنار ، والبعث وجهل ذلك ، ولم يعرفه هذا فشك أن لله جنة أم لا ، ولم تقم عليه بذلك حجـة من كتاب الله ولا سمعه من أحد .

قلت أيسعه الشك حتى يسأل عن ذلك ، أم هو هالك ؟

فالذي عرفنا أنه لا يسعه جهل ذلك اذا خطر بباله ، أو سمع بذكره، وعرف معناه لم يسعه جهل ذلك •

وكذلك ان شك فيه وليه ، ولم يعرف صدق منزلته ، فلا يسعه الشك معنا فى ضلالة من شك فى ثواب الله وعقابه ، وهو الجنة والنار على من تلزمه معرفتهما من قيام عقله على تفسير معرفتهما اذا خطر بباله ذلك ، أو سمع بذكره وهذا مما تقوم به الحجة على من جهلها •

وقلت : انك رأيت فى بعض السير ، ولا يجعل التضــييع للفرائض من الاقرار بها ، كترك العمل بها من الانكار لهــا ؟ قلت : مــا أهل هاتين الصــــفتين ؟

فالله أعلم بتفسير هذا من قول المسلمين ، غير أنه جاء فى الأثر أن التارك للفرائض التى افترضها الله على وجه الاقرار بفرضــها بالتجاهل منه على تركها ، وهو يدين بفرضها أنه كافر كفر نعمة ، منافق فاذا تاب من ذلك لزمه حكم ما ارتكب مما ارتكب ، أو ضيع من غرم ، أو كفــارة أو ما أشبه ذلك ، وأن من ترك الفرائض على الدينونة منه بتركها •

فان كان دينونة منه بالاقرار بفرضها مع الانكار لتأويل الحق فيها ، متأولا فى ذلك ، غير تأويل الحق ، فهو أيضا كافر نعمة ، منافق ، فاذا تاب من ذلك فلا غرم عليه ولا كفارة فيما تلزمه فيه الكفارة من ذلك ، اذا كان ترك ذلك على وجه الدينونة منه مع الاقرار بالتنزيل والانكار للتأويل •

ومن ترك ذلك على وجه الانكار للتنزيل ، أو المنصوب من السنة ، فهو بذلك مشرك حلال دمه •

فان تاب من ذلك أهدر عنه ما ضيع من ذلك فى حال شركه ، فهــذا معنا تفسير هاتين الصفتين •

قلت : ووجدت : لا يجعل ركوب المعاصى بميلولة فى الهوى وشهوات الأنفس والتحريم لها والمعرفة لما ركب منها : مثل ركوبها واستحلالها ، والكفر لما أنزل من تحريمها ، ولما أوجب من الحدود فيها ؟

فعلى ما وصفت ، فأما الصفة الأولى فقد مضى الجواب فيها . وأما هاتان الصفتان فان المنكر لما أنزل فى تحريمها منكرا للتنزيل ، فهو مشرك، وقد مضى القول فى حكم المشرك .

وان كان مقرا بالتنزيل ، منكرا للتأويل فهو منافق ، وقد مضى الحكم فيه .

وأما الصفة الثانية : فهم أيضا منافقون ، يجرى عليهم حكم أهل التحريم فيما يلزمهم من ذلك من أحكام أهل التحريم ، من اقامة الحدود، وأخذ الحقوق .

قلت : ورأيت فى بعض الآثار : أول المعرفة من الله ومنى الاضطرار، ولا بد أن يخلق لهم من المعرفة التى بها يكتسبون ما يلزمهم من معرفة الله ودينه .

قلت فما المعرفة الأولى خلق والثانية اكتساب ؟

قال غيره :

لعله أراد قال : فالمعرفة الأولى خلق والثانية اكتساب .

قلت : وما هذه المعرفة التى هى اضطرار ، وكذلك المعرفة الأولى التى قال : خلق ، والثانية هى اكتساب ؟

فعلى ما وصفت فلم أقف على جملة معنى ما أردت ، غير أن المعرفة معنا معرفتان :

معرفة خلق كما قلت . وهو خلق اللـــه للعقل الذى عقـــل به ونور العقل الذى اهتدى به العاقل فذلك خلق .

ومعرفة مخلوقة زائل حكمها عن اكتساب المخلوق ، لأنها من تدبير الله خالصة ، وليس للعـاقل بها شيء من تدبيرها ، ولا من أحـكامها ، ولا مسئول عنها ، لأنه متى زال نور العقل الذى عقل به ، زال عنه حــكم العقل ، فهــذا هو العقل .

والمعرفة الأولى وهو خلق ، فكان حينئذ القلب ، وان كان آلة العقل التى بها عقل مع نور القلب الذى به اهتدى الى العقل مضطرا الى نور العقل ، لأنه معدم للعقل عند زوال النور الذى به عقل ، وزايل آلة العقل الذى به عقل ، وهو القلب .

فلم يكن للقلب حكم مع زوال العقل ، ونور العقل ، فاذا عقل كان ذلك العقل مضطرا له ، الى معرفة ما أوجب الله عليه معرفته التى ألزمه اياها بما أوضح له من نور العقل من تدبيره ، ومتى زال عقله ، زال عنه حكم هذا الاضطرار الذى اضطر اليه ، مع كمال عقله ، فهذه هى المعرفة الأولى ، وتفســـــيرها .

وأما المعرفة الثانية : فمن جميع ما اكتسب العاقل بعقله فيما عقل به ، مما اضطر اليه بلزوم أو باختيار ، فكان ذلك عقل مكتسب ، فــكل مكتسب فهو من فعل المكتسب له ، وخلق الله له فلم يستغن العقل الأصل مع كماله عن عقل الاكتساب .

لأنه لم يعقل حين كمال العقل الا باكتساب يعقل الغريزة عن مستغن عن عقل المادة ، وعقل المادة غير مستغن عن عقل الغـــريزة ، لأنه لا نفع لأحـــدهما بنفسه دون الآخـــــر .

قال غير المؤلف للكتاب وغير المضيف اليه :

وقد قيل : إن معرفة الله تعالى لا تقع اضطرارا بل اكتسابا لأن المعرفة غير العقل ، انما تستجلب بالعقل ، وقد نصب الله الدلائل لاكتساب معرفته بالعقل ؛ وفي كتاب الله تعالى كثير من الآى ؛ كقوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الآية .

وقوله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) الآية .

وقوله تعالى : (أو لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) ، (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض) وغير ذلك في كتاب الله .

ففي معرفة الله اكتسابا هى أو اضطرارا اختلاف المسلمين . رجع .

وقلت : ما تقول في رجل ولي في سفر مع امرأة ليست له بمحرم ، من بلد الى بلد مسير يوم أو أكثر ، أهو على ولايته ، أو تزول ولايته ؟

فعلى ما وصفت : فاذا غاب أمره في ذلك واحتمل أن يكون الجاه الى ذلك الاضطرار ، وأنها لحقته بغير اذنه ، ولا رأيه فهو على ولايته في ذلك ؟

والمؤمن محمول على حسن الظن ، ما وجد له مخرجا ، فاذا لم يكن له في ذلك محتمل مما يمكن فيه مخارج الحق فقد جاء الأثر بكراهية ذلك ، أن يخلو الرجل بغير ذات محرم منه في سفر ولا حضر .

وجاء الأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهى « أن تسافر المرأة ثلاثا إلا مع ولي من أوليائها » .

وجاء الأثر عن المسلمين أنه ينكر عليه ذلك ، فان لم يتب من ذلك ، فأيسر ما يكون من أمره ، أن يوقف عن ولايته ، لأنه ليس له أن يسافر مع امرأة غير ذات محرم منه الا مع جماعة .

وكذلك لا يساكن امرأة غير ذات محرم منه الا من ضرورة ، فان الضرورة حال ليس فى اختيار .

وقد جاء الأثر فى الضرورة بالسعة فيما هو أكثر من المساكنة والمسافرة ، وذلك مثل اضطرار المرأة الى الرجل ، والرجل الى المرأة عن الغرق والحرق والحوائج من السلطان الجائر ، وغير ذلك ، والمؤمن فى حال سعة مع المسلمين ما كان محتملا له .

وقد قيل : ان للمرأة أن تسافر مع الجماعة ، ولو لم يكن معها ولى ، ولو كان الجماعة غير ثقات ، والجماعة ممنا من الاثنين فصاعدا .

وقال من قال : ثلاثة فصاعدا ، فهى وان كان الأثر قد جاء بالكراهية لها أن تسافر إلا مع ولى والنهى عن ذلك .

وعن رجل لقى والده فى الحرب ، هل يجوز قتله ؟

فقال : قالوا : يتواخى عن قتله حتى يلى قتله غيره من الناس ، وان قتله على ذلك باستحقاق لم يكن مأزورا على معنى قوله .

وعن رجل دعا على رجل أن يذهب الله ماله ؟

قال : ان كان من أهل الولاية ، أو ممن لا تجب عليه البراءة ، فلا يجوز ذلك ، وانكان ممن يستحق البراءة بنفاق أو غيره ، فهو حقيق بذلك ، ولا أبقى الله له مالا يتقوى به على عمل معصية الله على معنى قوله .

وأما الذى عنده شىء من مال يقدر على الحجيج ان حج واحتاج الى التزويج ، فان تزوج لم يقدر على الحج ؟

فمعى أنه قيل : ان كان يخاف على نفسه العنت من الحاجة الى النساء ، كان له أن يتزوج ، وكان ذلك عذرا له ، وان قدر بعد ذلك على

الحج حج ، وإلا فرجى له أن لا يلزمه شيء . وان كان لا يخاف العنت على نفسه ، وانما يتزوج اختيارا فعليه الحج ؛ وقد لزمه ذلك .

فان تزوج ولم يحج كان عليه الحج دينا واجبا وان حج فقد مضى عن نفسه .

والذى لا يجد الماء للوضوء الا ماء بينه وبينه حتى يحتاج الى المدافرة والمنازعة ؟

فمعى أنه اذا كان يحول بينه وبينه ظالم له ، كان له أن يحتج عليه، فان اتقى فى ذلك تقية ، توسع بالتقية وخشى على نفسه ، أو على ماله ، أو على دينه ، فأرجو أن يسعه ذلك .

وان كان الذى بينه وبينه أرباب الماء ، المعنى يحتاج اليه ، أو هنالك شبهة فأولى به عندى التيمم بالصعيد وترك الدخول فيما فيه الشبهة ، والمجاهدة والتعرض للابدان بغير أمر واضح .

والذى أطلق دابة رجل من الذكران على دابته يطلمها ؟

فمعى أنه فى اطلاقه للدابة من رباطها ، ضامن لهما ، وان سلمت ورجعت الى ربها والى حوزه ، ولم يكن فى ذلك مضرة على الدابة ، وفى الدابة فلا يبين لى فى ذلك ضمان الا بمضرة ، لأن أجرة الفحل لا تجوز ، ولا يبين لى عليه أجرة .

وأما الذى ينبت النخلة فيجيء آخر فيأخذ النبات ، فتقرفد النخلة أو لا تقرفد ؟

فمعى أنه قيل : لا يلزمه ضمان إلا قيمة النبات بسعر البلد فى نظر العدول .

وقال من قال : ما أضر عليه بسبب ذلك فعليه ضمانه ، وأكثر القول عنـــدى هو الأول .

وأما الذى أطنى نخلة وفى النخلة حجبتان ؟

فمعى أنه قيـل : اذا لم يشـترط المطنى أو المطنى له فى الحجبتين شيئا ، وانما وقع الطناء على حمال النخـلة فان للحجبتين تسـمية غير النخـــلة .

وأما من انتجر من الرهائن من يقعد عنه فى هـذا الارتهان أشـهرا معروفة بأجر معروف ، فأطلق قبل ذلك الأجل ؟

فمعى أنه اذا لم يكن للمتجر فى ذلك نفع يحصل له ، فأرجـو أن الأجرة فى ذلك لا تثبت ، وان عناه بسبب ذلك عن رأيه ، ودخلا فيـه فى ذلك ، فللمتجر بقدرما تعنى فى ذلك برأى العدول ، ولا يبين لى ثبوت ذلك، ولا الأجـــرة فيـــه .

وأما الثلاثة الذين وجه اليهم ثلاثة صرر دراهم ، لكل واحد منهم صرة ، وأخذ اللصوص صرتين ، وبقى واحدة لا تعرف لمن هى ؟

فمعى أنه يخرج فى معانى بعض القول أنه اذا لم يعرف ذلك كانت بينهم على مالهم فى الأصل ان كان مستويا فى الوزن ، كانت بينهم ، وان كان مالهم مختلفا ، فعلى قدر كل واحد منهم ، ومالهـم يقسم بينهـم بالأجـــزاء .

وقيل : لا يحكم لهم ولا عليهم فيها بشىء حتى يتفقوا هم عـلى شىء ، أو يصح بالبينة لمن هى منهم .

وأما الذى وجه اليه حرجانى فرض ، فوصل اليه حرجانى بلعق ، وقال له الذى حملها : انهمـا له ؟

فمعى أنه بالخيار ، ان شاء أخذهما بالحكم والاقـرار ، وان شـاء أخذه بماله على وجه ما يجوز من ذلك . واما يأخذهما على الحكم باقرار من هما فى يده ، الا أن يعلم أنهما لغير الذى فى يده ، فقد يحتمل فى ذلك رب مخرج لها فى ذلك على ما وصفت لله ، والله أعلم بالصواب .

وأما الذى وجد عليه وليه فهجره أياما لا يكلمه ؟

فقد جاء الأثر : أنه اذا هجر أخـاه ثلاثة أيام فلا ولاية له بذلك ، وذلك اذا قصده بالهجران ، والقطيعة واعتقد قطيعته .

وأما ترك كلامه له على وجه العتب ، وهـو مؤد لحقـوقه معتقـد مواصلته وولايته ، فذلك شيء لا نحبه له ، ولا تزول بذلك ولايته ، وهو على ولايته ، ولو لم يكلمه أكثر من ثلاثة أيام اذا كـان وجه المعاتبة ، فذلك شيء لا يعدم من الاخوان ، والخاصـة فى هـذا الزمـان ، والله المستعان .

وليس للمسلم أن يهجر أخاه المسلم ، ولا رحمه ولا جاره ، ولو كان رحمه وجاره عاصيا لله ، فعليه مواصلته بما ألزمه الله من مواصلته ، والقطيعة كفر ، وقد قال الله تبارك وتعالى : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (خـذ العفو وأمـر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فتأول ذلك المسلمون بالرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صـل من قطعك ، وأعـط من منعك ، وأنصف من ظلمك ،واعف عمن شتمك » وهذا كله من الحق والمحق .

وقد قال من قال من المسلمين : من عصى الله فينا أطعنا الله فيه ، فلا يكون إلا هكذا ، الله الموفق الى الصواب .

وأما قول الله تبارك وتعالى : (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبـل

يوم الحساب) فالقط هو الحظ ، فسألوا حظهم من العقاب قبل يوم الحساب ، استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقرآن ، والله يستهزىء بهم ، وهو كقول : (ويستعجلونك بالعذاب) •

وعن قول الله تبارك وتعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ما معنى ذلك ؟

قال : يوجد فى بعض التفسير أن أولئك قوم دخلوا فى الاسلام لطلب الغنائم ، فاذا كانت الدائرة على أعداء الله اطمأنوا وفرحوا ، واذا كانت الدائرة على المسلمين سخطوا وقالوا : يا ليتنا لم نكن عندهم ، أو نحو هذا من القول ، وهو حسن من التفسير •

وعن قول الله تبارك وتعالى : (وجنة عرضها السموات والأرض) الى آخر الآية •

قلت : أتكون هذه الجنة التي وصفها الله مثل عرض السموات والأرض ، أو تكون مكان السموات والأرض ؟

قال ، فان الجنة التي وصفها الله ، كما وصفها وهى عرضها كعرض السموات والأرض ، ويمكن فى قدرة الله أن تكون مكان السموات والأرض ، ويمكن أن تكون فى غير السموات والأرض ، وتكون السموات والأرض بحالهن ، ولا يعجز الله فى قدرته شيء من الأمور •

ويمكن أن تكون هذه الجنة فى السموات والأرض ، وتكون مثل السموات والأرض وتكون السموات والأرض بحالهن — نسخة — مكانهن ، تعالى الله العزيز فى قدرته علوا كبيرا •

وعن الجنة : أهى اليوم مخلوقة ، أم يخلقها يوم القيامة ؟

فقد قيل فى ذلك باختلاف وأصح ما عرفناه من القـول أن الجنـة والنار هما ثواب الله لأوليائه ، وهى الجنة ، وعقاب الله لأعدائه وهى النار اللتان يثيب بهما ويعاقب بهما فى دار الآخرة ان كانتا مخلوقتين فجائز فى قـدرة الله أن تكونا مخلوقتين •

ولعل أكثر القول والدليل : أنهما مخلوقتان ، فان كانتـا مخلوقتين فسيخلقان لا محالة متى ما شاء الله يوم القيامة أو قبل ، وهمها معنا مما يسع جهل علمه ، لعله علمهما اذا دان الدائن بأنهما ثواب الله وعقابه فى الدار الآخـــرة •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

وجدت أن الدليل على خلق الجنة قوله تعالى : (قلنا اهبطوا منهـا جميعا) فالهبوط لا يكون الا من شيء قد خلق •

ووجدت الدليل على أن النار قد خلقت قوله تعالى فى آل فرعون : (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) فلا يعرضن إلا على شيء قد خلق ، لأن يوم القيامة لا يعرضون ، بل خالدون فيها ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء والمسـاكين واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء » •

والاطلاع على الشيء الا قد خلق ، وغير ذلك موجـود فى الآثار ، ممـا يدل عـلى خلقهمـا •

* مسـألة :

من الأثر : وعن قول الله تعالى : (إلا المودة فى القربى) وما المعنى فى ذلـــك ؟

فقد قيل : فى القربى أن يتقربوا الى الله على العمل بطاعته ، وقول آخر : أن يقول لناسه أن يحفظوا قرابتى منكم ، وليس للقوم فى ذلك حجة ، والله أعلم بالصـــواب .

بـــاب

فى العقـــــل

قال أبو محمد ، أرجو أنه ابن بركة : اختلف الفقهاء فى العقل فقال بعضهم : إن كل مكلف عاقل ، لأن القلم رفع عن الصـــبى والمجنـــون ، ووقـــع التكليف على العقـــــلاء •

وقال بعضهم : العاقل هو المطيع لله ، واحتجوا بقـــوله عز وجل : (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) ، وبقوله تعالى: (لهم قلوب لا يفقهـــون بها ولهم أعـــين لا يبصرون بهـــا ولهـــم آذان لا يســـــمعون بها) •

وقال بعضهم : العقل هو العلم ، واحتجوا بقوله تعالى : (ومـــا يعقلها الا العالمون) • واختلف فى محل العقل :

فقال قوم : الدماغ •

وقال قوم : العقل فى الرأس عندهم •

والعرب تقول : ماله عقل ولا قلب بمعنى واحد •

ومن النـــاس من يذهب الى أن العقـــل فى القلب ، وان القلب فى الصدر فى الجانب الأيسر •

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم روايتان : احداهما أنه فى القلب والأخـــرى أنه فى الصـــدر •

وعن أبى محمد عبد الله بن محمد بن محبوب : ان العقل فى الرأس،

وكل من نفى أن يكون العقل جوهرا ، أثبت محله فى القلب ، لأن القلب محل العــــلوم كلهــــا .

وعن أبى على : ان محل العقل الدماغ ، وتدبيره فى القلب ، وقال بعض : وعلى هذا دلت اللغة لأن الدماغ فى أعلى الجسد ، وفى الرأس .

وقال الخليل : القلب مضغة الفؤاد معلقة بالنياط .

وفى الحديث : « لكل شىء قلب وقلب القرآن يس » والقلب والفؤاد اسمان بمعنى واحد ، وهى بضعة من الانسان والفؤاد ظاهرها ، والقلب باطنها ، ألا ترى أنه نسب الى الفؤاد ، وقال عز وجل : (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

وسمى الفؤاد فؤادا لتفاؤده ، والتفاود والتفود .

فصــل

العقل أفضل ما أنعم الله تعالى به عــلى العبــد ، لأن به يعــرف الحسن من القبيح ، وبه وجب الحمد والذم ، وبه يلزم التكليف باجماع .

ومن لم يكن له عقل سقط عنه التكليف باجماع ، والعقل هو العلم ، والعلم هو العقل ، لأن من علم عقل ، ومن عقل علم ، ولا يكون العاقل عاقلا الا بعلم مـــع عقــــله .

والدليل على عقل العاقل : اذا علم ماله مما عليه صح أنه قد عقل مع صحة التمييز بين الحسن والقبيح .

والدليل على ذهاب العاقل : هو أخذ ما عليــه ، وترك ما له مــع فســـــاد التمييز .

والعقل عقلان وكلاهما عرض : فعقل اضطرار ، وعقل اكتساب .

فأما عقل الاضطرار فالمركب فيه •

وأما عقل الاكتساب فما اكتسبه من عقله •

العقل مأخوذ اسمه من عقال البعير يقول : عقلت الشيء اذا شددته وضبطته ، فسمي بذلك تشبيها بالعقال للناقة ؛ لأن العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا قبحت ، كما يمنع العقال الناقة من الشرود •

وقيل : لكل شيء آفة ، وآفة العقل الهوى •

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « العقل حيث كان أليف مألوف» وقال صلى الله عليه وسلم : « العقل عقلان فأما عقل صاحب الدنيا فعقيم أي لا ينفع به ، واما عقل صاحب الآخرة فمثمر » •

ويقال : من ضعف عقله تلفت نفسه ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أعطي ثلاث خصال فقد كمل عقله حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على الله بلاء الله » •

وعنه صلى الله عليه وسلم : « ان لله خواصا في الجنة يسكنهم رفيع الجنان — نسخة — رفيع الدرجات لأنهم كانوا في الدنيا أعقل الناس كانت همتهم المسابقة والمسارعة ، وهانت عليهم فضول الدنيا وزينتها » •

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا فقر أسد من الجهل ولا مال أعود من العقل ولا عبادة كالتفكر » •

قال أبو الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا عويمر ازدد » عقلا تزدد من ربك قربا وعليه عزا » •

قلت : بأبي أنت أمي ، ومن لي بالعقل ؟

قال : « اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا ثم تقبل صالحات الأعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه عزاً عزاً » .

وقال : « لو صور الجهل لأضاء معه الليل » .

قال غيره :

يحتمل أن يكون الجهل قبل ، فيكون المعنى أن الليل مع سواده يضيء عند الجهل لشدة سواد الجهل ، والله أعلم .

قال الناسخ :

ووجدت فى جزء الضياء جزء طلب العلم : لو صوّر العقل لأظلمت معه الشمس ، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل .

وقال محمد بن مداد فى ذلك :

لو صور العقل على صورة
لأظلمت من نوره الشمس
أو صور الجهل على هيئة
لضاء من صورته الدمس

الدمس : ظلمة الليل . رجع الى الكتاب .

ويقال : اذا تم العقل نقص الكلام .

وفى الحكمة : كل شيء متى كثر رخص ، إلا العقل انه اذا كثر غلا .

وقيل : أعقل الناس أعذرهم للناس .

وقيل : عقول كل قوم على قدر زمانهم .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أنتقصت جارحة من الانسان الا كانت ذكاء في عقله » .

وقيل : من زيد في عقله نقص من رزقه .

والعقل أبين الفضائل وينبوع الأدب .

والعقل لا يكون عنده كثير نفع بغير علم وأدب ، وانما ينتفع ويثمر بالعلم والأدب اللذين يلحقانه .

وقيل : العقل عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت ، وواحد في الهرب عن النـــــاس .

قال المضيف :

وجدت في بعض الكتب : الهرب عن السفهاء . رجع .

وقيل : ان عابدا كان في صومعة قد انقطع عن الناس فقيـــل له : لِمَ فعلت هـــــذا ؟

فقال : هربت من اللصوص سراق العقـــول لا يسرقون عـــقلي ، وعدو المرء نفسه ، وصديقه عقله .

فصــــــل

النهية واللب ، والعقلُ كذلكَ الحجر ، يقـــولُ انه لذو لب ونهية ، وإنهم لذو نهى ، وذو منهاة ، والنهى العقل ، وكذلك الحجر .

ويقال : رجل ذو مرة ، أي ذو شدة وعقلٌ ، قالَ الله تباركَ وتعالى : ﴿ ذو مرة فاستوى ﴾ معناه ذو عقل وشدة .

قال الناسخ ومثله قول الشاعر :

قـــد كنت قبـــل لقائـــكم ذا مـــرة
عنـــد لـــكل مخاصـــــم ميزانــــه

أى ذا شـــدة ، رجـــع .

ويقال : عقل المرأة فى جمالها ، وجمال الرجل فى عقله .

❋ مســألة :

قال أبو محمد : العقل له ترتيب ، انما هو كالميزان لا يتحرك بشىء حتى تضع فيه الشىء ، فاذا وضعت فيه الشىء احترك بما فيه ، وكذلك العقل لا يتحرك بشىء حتى تستعمله ، فاذا استعملته احترك بالخير والشـــــر .

فصـــل

قالت الحكماء : العقل للقلب بمنزلة الروح للجســد ، وكل قلب لا عقل له ، فهو ساقط ميت بمنزلة قلب البهائم .

وسمى القلب قلبا لأنه أفضل الأعضاء فى الجسد ، والقلب الخالص من كل شىء وأفضله ، فالعقل أفضل ، يدفــع التدبير الى القلب ، لأنه أفضل الأعضاء وأشرفها .

وقال الفراء : المعقول هو العقل ، والقلب الفؤاد .

❋ مســألة :

اختلف الناس فى العقل وصفته على مذاهب شتى :

فقال بعضهم : هو جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات .

واختلف من قال بهذا القول فى محله :

فقال بعضهم : محله الدماغ ، لأن الدماغ محل الحس .

وقال آخرون : العقل هو مدرك الأشياء على ما هى عليه من حقائق المعنى .

وقال بعض المتكلمين : العقل هو جملة علوم ضرورية .

وقال آخرون : العقل العلم بالمدركات الضرورية ، وذلك نوعان :

أحدهما ما وقع على درك الحواس .

والثانى : ما كان مبتدئا فى النفوس .

وقال قوم : العقل نور يصيره الله تعالى فى القلب ، يفرق به العبد بين الحق والباطل ، ويميز به ما يلج به على قلبه .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العقل نور فى القلب ، يفرق العبد به بين الحق والباطل » .

وقال آخرون : العقل خلق خلقه الله ، وأسكنه قلب ابن آدم ليدعوه الى الحق ، وينهاه عن الشر ، ويميز بدعواه ما لله تعالى فيه رضا ، ويبعث العبد على استعماله وينهاه عن الشر وعن معاصى الله عز وجل فينهاه عن استعماله .

وأن الله تعالى لما خلق العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال تعالى : ما خلقت خلقا هو أحب الىّ منك ، بك آخذ ، وبك أعطى ولك الثواب ، وعليك العقاب ، يعنى أنى أثبت من قبل منك ، وأعاقب من يخالفك ، ولا يقبل منك .

وقال آخرون : العقل مواهب الله عز وجل ، يعطى كل عبد من عبيده ما اذا استعمله نجا ، ووصل به الى معرفته ورضوانه •

وان العبد اذا أراد استعماله أن يقف على قلبه عند همه ، ليفرق به الحق من الباطل ، ليستحق العبد اسم العاقل ، إذا أقبل من عقله ولم يخالفه فيما يدعوه اليه ، فاذا عمل العبد بما دعاه اليه عقله سمى عاقلا ، واذا عدل عن القبول منه سمي جاهلا ، وان كان فى قلبه عقل •

والعقل المكتسب هو نتيجة العقل الغريزى ، وهو بغاية المعرفة ، وصحة السياسة ، واصابة الفكر ، وليس لهذا حد ، لأنه ينمى إن استعمل وينقص ان أهمل •

وقال بعض الحكماء : العقل غريزته فى الانسان ، والعلم بالتعليم ، ومن أجل ذلك قالوا : عالم ومتعلم ولم يقولوا متعقل ومعقل ، لأن العقل هبة من الله تعالى ، والعلم بالاكتساب •

فصل

وكل موضع حريز يقال له معقل •

والذريع هو الموت الفاشي الذى لا يتدافنون معه •

فصل

من الزيادة المضافة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل شيء آلة وعدة ، وان آلة المؤمن وعدته العقل ، ولكل شيء مطية ، ومطية البر العقل ، ولكل شيء دعامة ، ودعامة الدين العقل ، ولكل شيء راع ، وراعى العابدين العقل، ولكل شيء بضاعة ، وبضاعة المجتهدين العقل ولكل شيء قيم ، وقيم بيوت الصادقين العقل ، ولكل خراب عمارة ، وعمارة الآخرة العقل » •

فصـــل

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صفة العاقل أن يحلم عمن جهل عليه ، ويتجاوز عن مظلمة ويتواضع لمن دونه ، ويسابق من فوقه فى طلب البر ، اذا أراد أن يتكلم تدبر ، فان كان خيرا تكلم فغنم ، وان كان شرا سكت فسلم ، واذا عرضت له فتنة استعصم وأمسك لسانه وتدبر ، واذا أراد فضيلة انتهزها لا يفارقه الحياء . ولا يبدو منه الحـــرص » .

فتلك عشر خصال يعرف بهن العاقل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله قسم العقل ثلاثة أجزاء ، فمن كن فيه كمل عقله : حسن المعرفة بالله ، وحسن الطاعة لله ، وحسن الصبر على أمر الله » .

* مسـألة :

أول ما افترض الله على عباده المعرفة به .

وأول ما أنعم الله به الحياة ، لأنها تدرك الملاذ والمنافع .

وسئل على بن أبى طالب : ما أول نعمة أنعم الله بها عليك ؟

قال : هو أن جعلنى الله ذكرا ، ولم يجعلنى أنثى .

وأفضل ما أنعم الله به العقل ، لأن به يعرف الحسن والقبيح ، وبه يجب الحمد والذم ، ويلزم التكليف ، وأحسن ما خلق فى العبد العلم ، وأقبح ما خلق الله فيه الجهل .

وتمام النعمة على الأمة الاسلام ، الذى أنعم الله به عليهم ، ورضيه لهم دينا ، وحق الله على عباده أن يعرفوه ، ويوحدوه ، ويعبدوه،

ويشكروه ، ولا يكفروه ، والذى يريد الله من خلقه أن يعرفوه حق معرفته •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا » •

وأول ما تعبد به تعالى طاعته واتباع أمره •

وأول الحجة على العبد العقل ، وعرف العبد ربه تعالى بآياته ، وما يشاهد بين السماء والأرض ، والليل والنهار والشمس والقمر وما فيهما من آثار صنيعة التدبير وما فى نفسه خاصة من أثر التدبير ، وعلمه أن لهذه الأشياء منه ومن غيره خالقا واحدا مدبرا ، ليس كمثله شيء •

* مسألة :

وأول ما فرض الله تعالى على عباده معرفته ، لأنه الفاعل والمالك ، له أن يأمر وينهى ، فاذا كان كذلك ، وأراد أن يتعبد بشيء فلا بد من أن يتعبد بمعرفته أولا ، لأنه لا يجوز أن يتعبد بشيء قبل معرفته ، فوجب أن يتعبد بمعرفته ، ثم بما أراد بعد ذلك ، لأن فى الشاهد فيما بيننا أن من ملك وفعل له أن يأمر وينهى بالشاهد على الغائب •

لأن فعله حسن وحكمه وأمره ونهيه لنا حكمة ، والحكمة من فعلها يسمى حكيما فى قولنا •

وفرائض الله تعالى التى تعبد الله بها عباده ، وسنها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو ما أمر الله تعالى عباده أن يرجعوا الى أهل العلم ، والحاملين له فيه بقوله عز وجل : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) رجع الى كتاب بيان الشرع •

فصـــل

وقيل لكل شيء دعامة ، ودعامة عمل المرء عقله ، فبقدر عقـله تكون عبادته لربه ، أما سمعتم ما أخبر الله عن قول أهل النار . قال الله عـز وجل : (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) .

* مسـألة :

العقل فى الانسان غريزى أم مكتسب ؟

فاعلم أن العقل الذى لزم به التكليف هو خلق الله فى عبده من غير اكتساب ، والمكتسب منه العلم والآداب ، ألا ترى أن الانسان اذا كان ذا علم وأدب وصف باكتساب العقل ، وكان أرفع درجة مما يكتسب مثل مـــا اكتسب .

وقد قيل ان أعوان الأشياء على تقوية العقل التعليم ، وأذل الأشياء على العقل العاقل محسن التدبير ، كما أن الأجسام تغذى بالأكل والشرب، كذلك العقول تغذى بالأدب والعلم .

فصـــل

قال بعض الأدباء : من أمات شهوته أحيا مروءته .

وقال بعض العلماء : ركّب الله عز وجل الملائكة من عقل بلا شهوة، وركب البهائم من شهوة بلا عقـل ، وركّب بنى آدم من كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله ، فهو شر من البهائم .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

كذا يوجد ، وقيل الملائكة أفضل ، واحتـج من احتج أن الملائكة أفضل من الأولياء لقوله تعالى : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) فهم أفضل • رجـع •

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشديد من غلب نفسه » •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

يوجد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من غلب نفسه » • رجع •

وقال وهب : الهوى والعقل يصطرعان ، فأيهما غلب مال بصاحبه •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

يوجد أن العقل والهـوى يصـطرعان فى القلب فأيهما غلب مـال بصاحبه • رجـع •

※ مسـألة :

العقل أول حجة الله تعالى على العبد •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « رأس العقل بعد الايمان بالله التـودد الى الناس » •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « التـودد الى النـاس نصف العقـل » •

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرنى ربى بمدارة الناس كما أمرنى بأداء الفـرائض » •

وعنه صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أكلم النـاس على قـدر عقولهـــــم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أتى جبريل آدم عليهما السلام فقال : أتيتك بثلاث خصال فاختر منهن واحدة .

فقال آدم عليه السلام : وما هن ؟

فقال جبريل عليه السلام : العقل ، والحياء ، الايمان .

فقال آدم عليه السلام : قد اخترت العقل .

فقال جبريل عليه السلام للحياء والايمـان : انصرفا فقـد اختار عليكما العقل ، فقالا : أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان » .

فصــــل

قال وهب : قرأت واحدا وسبعين كتابا ، فوجـدت فى جميعها : أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدوء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقل محمد النبى صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل بين رمال الدنيا ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا .

وقال : لازالة الجبال صخرة صخرة ، وحجرا حجـرا أشـد على الشيطان من مكايدة العاقل .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « العاقل هو المسلم الذى يتفكر فى خلق السموات والأرض ، فيعمل بطاعة الله ، ويجتنب معاصى الله » .

وقيل : ان رجلا قال لنصرانى ما أعقل هـذا النصرانى ، فزجـره النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « ان العاقل من أمر بطاعة الله » ،

وقوله صلى الله عليه وسلم : « مه » معناه ما كف المتكلم عما تكلم به بمنـــزلة : صه .

وقال ابن مسعود : ينتهى أن يسمى الكافر عاقلا ، ويقال : العقل دون الفهم وهما يتداخلان .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « سيد القوم أعقلهم » .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء معدن ، ومعادن التقوى قلوب العاقلين العاملين — وفى نسخة — العارفين » .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن الرجل ليكون حاجا أو مجاهدا حتى ذكر أنواع البر ، وما يعطى يوم القيامة الا على قدر عقله .

بـــاب

فى الجهل والتجـــــاهل

من الزيادة المضافة :

الجهل نقيض العلم ، تقول جهل فلان ، وجهل فــلان على فلان ، وجهل بهذا الأمر ، فالجهالة أن يفعل فعلا بغير علم .

فصـــل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صفة الجاهل : يظــلم من خالطه ، ويتعدى على من هو دونه ، ويتطاول على من فوقه » .

كلامه بغير تدبير ، ان تكلم أثم ، وان سكت سها . وان عرضت له فتنة سارع اليها فأردته ، وان رأى فضيلة أعرض فأبطأ عنها ، ولا يخاف ذنوبه القديمة ، ولا يرتدع فيما بقى من عمره من الذنوب ، يتوانى عن البر ، ويبطئ عنه غير مكترث لما فاته من ذلك أو صنيعة .

فتلك عشر خصال من صفة الجاهل الذى حرم العقل .

فصـــل

وقال معاذ بن جبل : لو أن الجاهل أمسى وأصبح ، وله من الحسنات وأعمال البر بعدد الرمل وشيكا أن لا يسلم له منها مثقال ذرة .

ولو أن العاقل أمسى وأصبح له من الذنوب بعــدد الرمل ، لكان وشيكا بالنجاة والسلامة والتخلص منها ، فقيل لمعاذ : وكيف ذلك ؟

فقال : ان العاقل اذا زل وأخطأ أدرك نفسه بالتـوبة والعقل الذى قسم الله له ، والجاهل انما هو بمنزلة من يبنى ويهدم ، فيأتيه من جهله ما يفسد صالح عمله .

وان صلى أعرض ، وان صام أعـرض ، فيحبط أجـره ، وان أتاه سائل عرّض به ، وتبرم به نفسه فيشتمه ويؤذيه ، ثم يتصدق عليه فيحبط أجـــــره .

وان حج أو اعتمر آذى أصحابه ونحل ويحمل عليهم كله ، فيكون ما يأثم أعظم مما ينال من الثواب والأجر .

وان سأله أبواه حاجة آذاهما ، ويرفع الصوت عليهما ، ويبرم بهما، ثم يقضى لهما حاجتهما ، وهو مدبر فبالجزاء أن لا يؤذيهما ، ولا يهينهما، فيسخط الله لسخطهما .

فاذا تدبرت أمر الجاهل علمت أن ما يفسد أكثر مما يصلح .

* مسـألة :

قال الشيخ أيده الله : الجهل بالشىء على وجهين : أحدهما جهـل بوجود الشىء وبمعرفته ، وجهل بمعرفة حكمه مع العـلم به ، والقصـد الى فعله ، فهذا الضرب من الجهل لا يعذر صاحبه بفعله ، لأنه قاصـد اليه ، متعمد لفعله ، جاهل لفعله .

وكان جائزا له أن يتحذر من فعله بالسؤال عنه واستنباط حكمه ممن يعلمه ، والجهل الأول الذى ذكرناه فى أول كلامنا ، صاحبه معذور فيه ، لعدم الدليل عليه .

※ مسـألة :

الحق نقيض الباطل . تقول : حق الشيء يحق حقا معنـاه : وجب يجب وجوبا ، وتقول يحق عليك أن تفعل كذا وكذا ، وحقيق عليك ذلك . وحقيق أن تفعله ، وحقيق فعيل في معنى مفعول : كقولك : أنت محقوق ان تفعل ذلك ، ويقال : أنتِ محقوقة أن تفعلى ذلك .

وفي كتاب الله : (حقيق على أن لا أقول الا الحق) معناه محقوق عليّ كما تقول : واجب عليّ .

والباطل نقيض الحق ، والبطل مصدر الباطل ، وقد بطل يبطل الشيء بطلا اذا ذهب باطلا ، وأبطلته أي جعلته باطلا : وأبطل فلان اذا جـاء بباطل ، رجع الى كتاب بيان الشرع .

بـــاب

في الايمـــــان

※ مســـألة :

قال أبو سعيد : معي أنه قيل ان ايمـــان المؤمن يزيد ولا ينقص ، فان نقص منه مثقال ذرة ذهب محـــله ، وأما الـــكفر فيزيد وينقص • رجـــــع •

وقد قيل عن النبي صلى الله عليه وسلم يرفعه عن جبريل عليـــه السلام أنه قال : « لن يجد المؤمن طعم الايمان ، ولا يكون مؤمنا حقـــا حتى يصل من قطعه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويطعم من حرمه ، ويحسن الى من أساء اليه » •

فمن فعل هذا مع استقامة على دين الله كان من المتقين ، وقد وعـــد الله المتقين الجنة ، جعلنا الله من المتقين ورحمنا الله من النار أنه أرحم الراحمـــــــــين •

※ مســـألة :

وتفسير التقوى القيام بأمر الله ، والانتهاء عما يكره الله •

※ مســـألة :

قال زياد بن الوضاح : رفع الحديث الى مسلم بن أبي كريمة رحمه الله قال : العزم على الايمان ايمان ، والعزم على الكفر ليس بكفر حتى يعمــــــل •

* مســألة :

قال أبو سعيد : الايمان يزيد ولا ينقص ، لأنه اذا انتقص منه شيء فقد بطل كله ، ولـكنه يضعف هـكذا يقـال ، ولا يقال ينقص ، والكفر — وفي نسخة — والعزم على الكفر ليس بكفر حتى يفعله .

* مســألة :

قال أبو سعيد : الايمـان يزيد ولا ينقص ، الكفر يزيد ينقص ، ولكنه يقال : ان الايمـان يضعف ويتفاضل ، ولا يلحقه اسم النقصان في قول أصحابنا .

وقال — نسخة — وقيل : كل طاعة لله فهي من الايمان ، ولا يقال كل طاعة لله هي ايمان ، وليس كل طاعة ايمان ، لأن فيها الوسائل ، وترك الوسائل لا تكفره ، والايمان اذا ترك كان تركه كفرا .

ويقال : كل ايمان هو طاعة لله ، ولا يقال : كل طاعة لله فهي ايمان لأن من الطاعة ما يكون وسيلة .

* مســألة :

وقال أبو سعيد : أرجو أنه يوجد أن الأنبياء لكل واحد منهم أجره، وأجر من عمل بطاعته ودعوته من أمته من غير أن ينقص من أجـورهم شـــيء .

وكذلك الامام له أجره وأجر من عمل بعدله من الأعوان والعمال اذا كان عادلا ، وليس عليه وزر ما أتوه ان شاء الله .

قال غـير المؤلف :

إلا أن يعلم بإساءتهم فيداهنهم عليها ، أو يستعملهم على غير توبة،

او ينحتهم التهم فى سيرتهم ، فيستعملوهم بعد ذلك ، فهو عنـدى آثم ، لأن عثمان بن عفان كان اماما ، فلما لحقته التهمة معهم عزلوه .

وقد عرفت أن الامام اذا كان متهما — نسخة صار — حل عزله ، لأن الوصى لليتيم اذا اتهم بفعل مالا يجوز فيما أوصى اليه ، وتظاهرت عليـه أسـبـاب التهم :

فقال من قال : انه يعزل من الوصـاية .

وقال من قال : ان الحاكم يدخل معه غيره لئلا ينفرد بفعل ، وأمـا اذا صحت خيانته عزل ، ولا أعلم فى ذلك اختلافا .

وأما الامام فلا يحسن أن يقام معه غيره ، كالوصى لليتيم ، ولكنه اذا لحقته التهمة فى دينه أو سيرته ، وتظاهرت عليه أسباب ذلك عزل ، ولا أعلم فى ذلك اختـلافا .

ومن أسباب تهمته أن تصح منه المعاصى ، ثم يسـتتاب من ذلك ، فيتوب ثم يعاود أيضا ذلك ، ثم يستتاب فيتوب ، وما أشبه هذا ، فاذا لحقته التهمة جاز عزله ، والله أعلم .

لأنه اذا كان الوصى اذا اتهم لم يجز أن يؤتمن على ما أوصى اليه، واستحال أمره عما كان عليه ، فالامام أولى وأوجب أن لا يقر على منزلته، لأنه مؤتمن على دماء المسلمين ، وأحكام أموالهم وفروجهم ودينهم ، لأنهم يحاربون معه ، ويقيمون معه الحدود وسائر الأحـكام بأمره ، والوصى انما هو مؤتمن على مال اليتيم .

وقد يكون المال قليلا وكثيرا ، فلا ينبغى أن يكون الامام الا أمينا مرضيا ، فاذا لحقته التهم فهو أحق بالعزل من الوصى ، والله أعلم .

فينظر فى هذا ، ولا يؤخذ منه الا ما وافق الحق ان شاء الله .

❊ مســألة :

ومن كتاب تهذيب البيان فى تفسير القرآن : تأليف أبى عبــد الله محمد بن أحمد اللخمى النحوى :

مما اختصره من تفسير محمد بن جرير الطبرى : وقد روى عن عمر ابن عبد العزيز ، أنه كتب الى عماله :

أن للايمان شرائع ، وفــرائض ، وحــدودا ، وســننا ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وان أمت فما أنا على صــحبتكم بحريص ونحــــــو هــــذا .

واتفق الموسومون بالسنة على أن الايمان قول باللســان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة والعلم ، وينقص بالمعصية .

وروى عن ســـهيل أنه يزيد بالطاعة والعــلم ، وينقص بالمعصــية والجهل ، وهذا أتم ، والله أعلم .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يعظ أخاه فى الحياء كأنه ينهاه فقال : « دعه فان الحياء من الايمان ، وانما الحيــاء خلق » فأثبته صلى الله عليه وسلم فى الايمان .

وقد روى : « ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكنه ما وقــر فى القلب يصدقه العمل ، والذى نفسى بيده لا يدخلن — نسخة لا يدخل — أحدكم الجنة إلا بعمل صالح يتقنه » قالوا : وما اتقانه يا رسول الله ؟ قال : « يحكمه » .

والمرجئة زعمت أن الايمان هو القول ورأوا أنه ان عمل أى عمل مع الاعتراف بالشهادة لم ينقص ايمانه ، ويمنعون من أن يكون الايمان

يزيد وينقص . فكأنهم يمنعون من التفاضل فى الايمان ، وكل هذا خروج عن الحق والســــنة .

وكثيرا ممن يدعى السنة ، ويظهر القول بأن الايمان يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، يتأول فى ذلك أن زيادته بالطاعة هو كون من شــهد بالشهادة ، وعمل بالطاعة وهو معنى زيادة ايمانه اذا كان له مع الشهادة عمل بالطاعة ، فشهادة وعمل أزيد من شهادة بلا عمل .

والمحققون بالسنة يرون أن الايمــان الذى فى القلب يزيد بزيادة الطاعة ، وينقص بنقصها ، وهذا هو الصحيح ، ويشــهد له ما روى فى الحديث : « أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال كذا من الايمان » وأراه قد روى : « أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقــال دينار من الايمــــان » .

ثم نقص ذلك الى مثقال بر أو شعير ، والى مثقال ذرة ، والى أدنى من هذا ، فكل هذا شاهد على أن الايمان الذى فى القلب يزيد بزيادة العمل الصالح ، وزيادة العلم وينقص بنقص ذلك .

فالايمان باطن فى القلب ، ولكن ظهور العمــل الصــالح يدل على زيادته ، وينقص العمل الصالح يدل على نقصه فى القلب ، وقد رويت فى ذلك له آثار كثيرة .

وقد روى عن على بن أبى طالب أنه قال : الايمان يبدوا فى القلب لمضة لمضة ، فكلما ازداد الايمان ازدادت حتى يبيض" القلب .

والنفاق يبدو فى القلب لمضة لمضة حتى يسود القلب ، قال : وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض ، ولو شــققتم عن قلب المنافق لوجدتموه أســـود .

يريدون ، والله أعلم ، أى لو استكشفتم باطن القلبين وكشف لكم ذلك منهما لرأيتم عيانا .

وأما قول الله عز وجل : (قالت الأعراب آمنا قل لم يؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فربما يحتمل وجهين ، والله أعلم ، أى لم تؤمنوا بالايمان الـذى يتحقق به كمـال الايمان وتمامه ، وليس معنـاه عـلى هـذا الوجه نفى الايمان عنهم ، بحيث لا يكون لهـم شىء من الايمـان قل أو كثر .

ويحتمل أنه لم ينف عنهم الايمان وقد دخلوا به فى جملة المؤمنين ، فربما كان هذا الوجه أقوى الوجهين أحدهما : أنه قد أثبت لهم الاسلام بقوله : (ولكن قولوا أسلمنا) ولا يكون الاسلام بحقيقة الا ومعه حظ من الايمان وإلا لكان نفاقا .

وأيضا فقول الله تعالى : (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) وان كانوا ليس لهم من الايمان حظ قل أو كثر ، فليس يقبل لهم عمل ، لأن المنافق الذى تحقق نفاقه ، لا يقبل له نفقة ولا عمل ، وقد شهد بذلك الكتاب .

وبهذين الوجهين لا ينتفى عنهم الايمان بالكلية وهو الأظهر ، اللهم إلا أن يكون هؤلاء الأعراب قد علم الله منهم أن قولهم : آمنا ، نفـاق لا حقيقة له ، وهذا انما يكون لخاص من الأعـراب الذين هـم منافقون لا ايمـان لهم فوجه ، والله أعلم بما أراد .

وقد ذكر الله بعض الأعراب بالايمان ، واحتساب نفقاتهم قربات عند الله ، وصلوات الرسول ، وأثبت لهم القربة بذلك .

وقد روى : لا يزنى الذى يزنى ساعة يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق الذى يسرق ساعة يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر الذى يشربها ساعة يشربها وهـو مؤمن ، ولا ينتهب نهبـه ذات شرف يرفع الناس اليـه

ابصارهم وهو ساعة ينتهبها مؤمن . فما بالكم ونحو هذا .

وروى أن الايمان نزه ، فاذا زنى العبد أو نحو هذا ارتفع عنه ، فصار فوقه كالمظلة ، فاذا لام نفسه وراجع راجعه الايمان ، وروى من هـــذا آثار :

فمن بعضها : أن العبد اذا فعل هـــذا خلع منه الايمان كما يخلــع قميصــــــه .

وروى حديث عن المسيح عليه السلام : أنه بينما هو جالس مــع أصحابه ، جاء طائر كأحسن ما يكون ، أو روى أنه طائر من ذهب فوقــع ناحية منهم ، ثم تجرد مسكه ، فاذا هو أقبــح شيء حين تجــرد منه : أقيرع أحيمش ، ثم ذهب الى جيفة هناك فتمرغ فيهــا فازداد نتنا الى قبحه ، ثم بعد ذلك ذهب الى نهر ضحضاح فاغتسل فيه حتى خرج منه فاغتسل فيه حتى خرج منه كأنه بيضة مقشــورة ، ثم رجــع الى مسكه فتدرعه فعاد الى أحسن ما كان ونحو هذا .

فسألوا المسيح عن ذلك ، فأخبرهم أنه مثل المؤمن اذا كان عليــه لباس الايمان كان عليه أحسن صفة ، فاذا عزم على معصــية خلع عنه لباسه ، فبدا من قبحه ما شاء الله ، ثم اذا واقع المعصية زادته نجاســة ونتنا إن ندم واعتقد التوبة وبادر اليها غسلت التوبة عنه نجاسة الذنب ونتنه ، ثم اذا صحت توبته رجع الى مســكه فتــدرعه فعاد الى أحسن مـــــا كــــــان .

قال فى الحديث : وتلك الأمثــال نضربها ، أى أن الذى يضرب من الأمثال لهذا يظهر فى زمان النبوة عيانا .

وروى أن بعض أهل البيت — وأراه الباقر — سئل عن نحو هــذا الحديث ، فدوّر دائرة فيها اتساع فقال : هذا الاســـلام ، ثم دور فى

جوفها دائرة فقال : وهذا الايمان مقصور فى الاسلام : فاذا أذنب العبد نقل من دائرة الايمان الى دائرة الاسلام ؛ قال : ولا يخرجه من هـذه إلا الشـــــرك •

وهذا المثل ، والله أعلم ، تضمن أنه وان خرج عن دائرة الايمـان فلكونه ثابتا فى دائرة الاسلام : فلم يذهب عنــه الايمان بالـكلية حتى لا يبقى له منه شيء ، ولو كان منافقا ، والنفاق من شر مراتب الكفر •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

هذا كله خبط لا يلتفت اليه ، فالايمان والاسلام واحـد ، والمؤمن والمسلم واحـد فقط • رجـع •

وقد كان وقع فى صدر الاسلام خلف تكلف سؤال كان تركه خيرا من تكلفه ، كان يقول أحدهم لصاحبه : أمؤمن أنت ، فاختلف الجـواب منهم عن ذلك :

فمنهم من قال : أنا مؤمن ان شاء الله ، فاستثنى خوفا من التزكية ، وخوفا من الخاتمة المعصية عنه •

ومنهم من حاد عن لفظ السؤال الى لفظ هو عنده أسهل فقال : آمنت بالله وكتابه ورسله أو نحو هـــذا •

ومنهم من قال : أنا مؤمن وخاف أن يدخله ان استثنى اتهام شك •

ومنهـم من لـم يجب عن هـذا وقال : يقولون أمؤمن أنت ومـا أنا بشــــاك •

ومنهم من أجاب وقال : أرجو ولم يقطع لأجـل الخاتمـة ، وربما تأول من أمسك عن الجواب قول الله تعـالى : (واذا ما أنزلت ســورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا) فلم يخبر عن المؤمنين بجـواب ،

فأخبر الله تعالى يقول عنهم : (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهــم يستبشرون) وأرى هذا السؤال نجم بالعراق .

وروى أن رجلا من أهل الشام قدم العراق ، وكان الرجــل قــد صحب معاذ بن جبل ، وأخذ عنـــه ، فحضر قوم من أصحابه ابن مسعود فقالوا له : أتشهد أنك مؤمن ؟

قال : نعــم .

قالوا : أفتشهد أنك فى الجنة ؟

قال : أخاف الذنوب .

فقالوا : نحن نشهد أن المؤمنين فى الجنة ، ثم ذكروه لابن مسعود وهو كان غائبا فقدم فقالوا له : هذا الشامى الذى أخبرناك عنه .

فقال له ابن مسعود : أتشهد أنك مؤمن ؟

قال : نعــم .

قال : تشهد أنك فى الجنة

فقال : أخاف الذنوب .

قال له : أفلا أرجأت الأولى كما أرجأت الثانية .

وأراه قال : لو شهدت أنى مؤمن لشهدت أنى فى الجنة .

فقال الشامى : صلوات الله عليك يا معاذ ، هذا ما كان معاذ يخوفنا من أمثالك .

فقال له عبد الله : وما قال لكم معاذ ؟

فقال : اتقوا زلة العالم ، وأراه خشن القول لابن مسعود .

فقال : وهذه زلتك يا ابن مسعود ، أما علمت أن النــاس كانوا فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم مؤمن ومنافق وكافر ، ومن لم يكن من المؤمنين كان من الصنفين الآخرين .

فروى أن ابن مسعود اعترف له بأنها كانت زلة منــه ، وكان ذلك الاعتراف من ابن مسعود رضى الله عنه لفضل خشيته ، ولو احتج عــن قوله لوجد مقالا ، ولكن كان من الخشية لله على أعظم رتبة ، مع أنه كان يرى لماذ ولفضـــله •

وقد روى عنه رضى الله عنه أنه قال : ان معاذا كان أمة قانتا للــه حنيفا ولم يكن من المشركين ، فظن السامع أنــه قاله غلطا فقال : ان ابراهيم كان أمة ، كأنه يذكره بلفظ الآية ، فأعاد ابن مسعود أن معاذا كان أمة قانتــا كما قال أولا •

ثم قال : أتدرى ما الأمة ؟

قال : الذى يعلم الناس بها الخير ، يعنى وقد كان معاذ كــذلك ، والقــانت المطيع للــه ، وأراه قال : وقــد كنا نشبه معــاذا بابراهيم صلى الله عليه وسلم ، والذى نعتبر من هذا عن تجسريد القول ، والله أعلم ، أن المؤمن قــد يقال على ظاهر ما يبدو من المؤمن الاعتراف بالدين والايمــان بــه •

وعلى ذلك وقعت الأحكام فى الشرع كقــول الله تبــارك وتعالى فى الكفارة : (فتحرير رقبة مؤمنة) فلم يكلف الناس أن يستطلعوا البواطن ، ويشقوا عن القلوب ، ولو كلفوا ذلك لم يجــدوا من يقطع بايمــانه على الغيب من سره ، وانما هــو على ما يظهــر من الاعــتراف بالايمــان والشــــهادة به •

وكذلك قوله تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) ثم قال : والله أعلم بايمانكم ، فأخبر عن علمه عز وجــل بمــا غيبت القلوب من ذلك ، ثم وسع على ظاهر الحكم فقال تعالى : (بعضكم من بعض) فهذا يوضح حقيقة ذلك ايضــاحا بينا •

وقد أوضح الحسن البصرى فى ذلك قــولا فصل فيــه الأمر على وجهين : كان قائلا قال له : أمؤمن أنت ؟

فقال : ان كنت تريد هل أنا مؤمن من الذين قالوا : (آمنا باللــه وما أنزل الينا وما أنــزل الى ابراهيم واسماعيل) الآية (ونحــن لــه مسلمون) فنحن منهم ، وان كنت تريد هل أنا من الذين قال الله تعالى فيهم : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الى قوله : (أولئك هم المؤمنون حقا) الى آخــره ، فوالله ما نعرف ذلك لأنفســنا بعــد .

فأخبر أن المؤمن قد يقال على حكم الظاهر ، وبذلك تجرى الأحكام به ، وقد يقال لصغار الكمال . ولا ينبغى لأهل التقى أن يشهدوا بــذلك لأنفسهم ويزكوها .

وقد روى من قال : انى مؤمن حقــا ، فهو كافر حقا ، أو قــال : ــ لعله ــ انى منافق ، فهو منافق حقــا .

ومن قال : انى فى الجنة فهو فى النار ، فنهى عن ذكر كل هــذا ، لأنه من تزكية النفوس ، وقد قال الله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم هــو أعــلم بمن اتقى) .

على أنه قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لحارثة وهو غــلام حدث السن : « كيف أصبحت يا حارثة ؟ » قال : مؤمنا حقــا ، قال : « ان لكل حــق حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ » قال : عزفت نفسى عن الدنيا ، فاستوى عندى حجرها وذهبها ، وكأنى أنظر الى عرش ربى بارز ، وكأنى أنظر الى أهل الجنة فى الجنة يتزاورون ، وكأنى أســمع عواء أهــل النــار .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرفت فالزم ، أو قال أبصرت فالزم » ، مؤمن نور الله الايمــان فى قلبه .

وقد بلغ بحارثة هذا بحقيقة الايمـان واليقين أنه كان مع رسـول الله الله صلى الله عليه وسلم فى بعض المغازى ، فسمعه يقول : ان الله يضحك الى عبـده .

قال غيره :

اذا كان عبده شاهرا سيفه يقاتل فى سبيل الله حتى يستشهد أو نحو هذا فقال : وكان يعجن عجينا فما بينى وبين أن أكون هكذا الا العجين ، فشلت يده من العجين ، فقاتل حتى قتل ، فجـاءت أمه الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسـول الله ان يكن حارثة فى الجنـة فلا أبكى ولا أبالى ، وان يكن غير ذلك فسترى ما أصنع .

فقال : « أصبت يا أم حارثة — نسخة — أهبلت ، أجنة واحـدة هى ، انها لجنان كثيرة ، وانـه لفى الفردوس الأعلى » فرجعـت وهى تضحك وتقول : بخ بخ لك يا حارثة .

ومن هذا الكتاب ، من تفسير أول هذه الآية : (قالت الأعراب آمنا) عن مجاهد : أعراب بنى أسد بن خزيمـة (قل لم تؤمنـوا ولكن قولوا أسـلمنا) عن الزهرى : أن الاسـلام الكلمة والايمان والعمل .

وعن سعد : أعطى النبى صلى الله عليه وسلم رجالا ولم يعط رجالا منهم شيئا ، فقال سعد : يا رسـول الله ! أعطيت فلانا وفلانا ، ولـم تعط فلانا وهو مؤمن ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أو مسـلم » حتى أعادهـا ثلاثا سـعد والنبى صلى الله عليه وسـلم يقـول له : « أو مسلم » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « انى أعطى رجـالا وأدع من هو أحب الى منهم مخافة أن يكبوا فى النار على وجوههم » .

وعن ابن زيد : لم يصدقوا ايمانهم بأعمالهم ، فرد الله ذلك عليهم ، وأخبرهـم أن (المؤمنين الذين آمنـوا بالله ورسـوله ثم لم يرتابوا) الآية ، صدقوا ايمانهم بأعمالهم .

وعن ابن عباس : أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة ، وأنه لا يتسموا بأسمائهم التى سماهم الله ، فكان هذا فى أول الهجرة قبل أن ينزل فى المواريث .

وعن قتادة : لم تعم هذه الآية ، وانما هى فى حى امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم وقالوا : لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان .

وعن مجاهد : أسلمنا : استسلمنا .

وعن ابن زيد : استسلمنا دخلنا فى السلم ، وتركنا المحاربة والقتال لقولهم : « لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » .

(ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) أى ولما يدخل العلم بشرائع الايمان ، وحقائق معانيه فى قلوبكم .

(وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) أى لا ينقصكم الظاهرين من معنى لفظ الايمان التصديق وبظاهر معنى التصديق ، التصديق بالقلب ، لكن أهل السنة على أن الايمان يحتوى على شرائع .

* مسألة :

قال أبو سعيد : معى أنه يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يحب للناس كما يحب لنفسه »

ويخــرج ذلك عنــدى أنه يحب للناس التوبة من الذنوب ونحــو ذلك ، ويحب لهم العافية من الأمراض ، لأن المؤمن قلبه رحيم •

※ مســألة :

يوجد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدين النصيحة » قيل لمن يا رســول الله ؟ قال : « لله ولرســوله ولكتابه وللأئمة ولجماعة المســلمين » •

بـــاب

فى الاســـتطاعة

ومن قصيدة أبى المؤثر :

وقــوم بنــوا فى الدين أقبح بدعـــة
تــكاد تهـــد الســـامق المنزحـــلق

فقـــالوا لنـــا قبـــل الفعـــال استطاعة
عن اللـــه نســـتغنى بها حـــين نفـــرق

قالت المعتزلة ومن قال بقولهم ممن لا يثبت القـــدر : الاستطاعة قبل الفعل ، ولو كانت الاستطاعة قبـــل الفعل لم يكن منهم اهتمام بمعصية ، ويعزم عليها ، ثم يـــدع ما عزم على فعـــله ، فلو كان مستطيعا لـــكان فاعـــلا .

فان زعموا بزعم على الفعـــل باستطاعة ، وترك باستطاعة ، فأى الاستطاعتين كانت أولى به ، وأقدم عليه ، فلابد لهم من أحـــد قولين أن يقولوا به ، اما أن يقولوا كلتا الاستطاعتين مع الفعل .

فان قالوا بهذا فقد نقضوا قولهـــم ، وأدخلوا الضعف على أحـــد الاستطاعتين ، لأنه لما عزم على الفعـــل كان عزمه على القول غائبا عنه ، لم تكن نية ، فلما عزم على الترك علمنا أنه شيء أحدث له فغاب عنـــه عزمه على الفعـــل .

وان زعموا أن الأولى من الاستطاعتين هى أولى ، فقد أبطلوا قولهم اذا حدثت فيه الاستطاعة ، وقد كان جاهلا لها لا يريدها حتى حدثت فيه وأبطلت ما كان أولى به ، وأدخلت عليه الضعف والحجج عليهم كثيرة .

* مســألة :

الاستطاعة معنا على ضربين ، فمنها نعمة ، ومنها بلية .

فأما النعمة : فهى التى يعمل بها الطاعة .

وأما البلية : فهى التى يعمل بها المعصية .

* مســألة :

قال أصحابنا : يقولون ان الاستطاعة محدثة مع الفعل ، وليس هى قبله ولا بعده ، ولا هى استطاعة واحدة ، ولكن هى استطاعات كثيرة ؛ لكل فعل فعله استطاعة ، محدثة للطاعة استطاعة ، وللمعصية استطاعة . واستطاعة الطاعة غير استطاعة المعصية .

بـــــاب

فى الهـــدى والضــــلال

وسألت أيضا عن الضلال ممن هو ؟ من الله ، أو من الشـــيطان ، أو من العبـــد ؟

فاعلم أن الضـــلال هو فعل العبد الذى ضل به ، وفى كتـــاب الله دليـــل ــ نسخة ــ دلائل على ذلك :

قال الله تعالى : (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) •

وقال تعالى : (فبظلم الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) •

* مســـألة :

من الأثر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عـــن ربه عز وجـــل : « يا ابن آدم بمشيئتى شئت بنفســـك ما كنت تشاء ، وبإرادتى أردت لنفســـك ما كنت تريـــد فبمشيئتى أديـــت فرائضى ، وبخـــذلانى وقعت فى معصيتى ، فأنـــا أولى بحســـناتك ، وأنت أولى بسيئاتك منى ، لأنى لا أسأل عما أفعل والعباد يسألون » •

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

قوله : « وبخذلانى وقعت فى معصيتى » لم يكن الخذلان ســـببا للوقوع فى المعصية ، ولو كان كذلك ما عذبه الله ، لأنـــه لا يعـــذب على فعله تعالى ، ولكن بسوء اختيار العبد اختار المعصية ، فعند اعتمـــاده

لفعلها خذل ، ولو كان غير ما قد قلت ما قال تعـالى : (فلما زاغـوا أزاغ الله قلوبهم) • رجع •

※ مسـألة :

ومن جامع أبي محمد : قال الله تعالى : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنـة والناس أجمعين) ففي هذه الآية دليـل من الله تعالى لمن يعقل عنه خطابه على أنه لـم يفوض الأمر الى عباده ليستبذل كل أمر منهم بمراده كما زعم الملحـدون في آياته المنكرون لأحكام كتابه •

قالوا : فقد شاء الله من الخلق أن يؤمنـوا ، ولم يشـأ منهم أن يكفروا ، وأحب الكافرون لأنفسهم أن يكفروا فكانت محبتهم غالبة لمحبته ومشيئتهم ظاهرة على مشيئته ، وهـم ان شاءوا أن لا يكفروا نفـذت مشيئتهم والله تعالى عنهم ، فقد شاء من الخلق أن لا يكفروا فلم تنفذ مشيئته ، وأراد أن يؤمنـوا فلم يبلغ ارادته ، فكيف يكون ذلك وهـو يقول عز وجل : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسـلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) •

أفليس في هذا القول دليل لأولى التمييز والأبصار على أنه لا يستطيع ممن سبق له الخـذلان أن يدخله في ملة أهـل الايمـان ، ولا يقـدر أحـد ممن يتعبد بالاسـلام على الخروج عن الايمـان الا بمشيئة الله ، فلا سـابق لأمره ، ولاراد لحكمه ، خالق الخلق ، ومدبر الأمر ، تعالى الله عما يقـول المبطلون علوا كبيرا •

※ مسـألة :

وقلت في قول الله تعالى : (يضـل من يشاء ويهـدى من يشـاء وما ربك بظـلام للعبيد) •

قلت : فان قال لك مناظرك : أيضلني ويدخلني النار وقد قال : (وما ربك بظلام للعبيد) قلت : ما الحجة عليه في هذا ؟

فالحجة في هذا قول الله بنفسه ، ولا حجة له في ذلك أنه يضله ويدخله النار ، فهو في ذلك عادل ليس بجائر ولا ظلام للعبيد ، وانما ظلم العبد نفسه .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

اضلال البارى هاهنا لهذا العاصي هو خذلانه للعاصي عند أخذه في المعصية ، وخذله وتركه على ما هو عليه من فعل المعصية . رجع .

وقلت في قول أصحابنا : ان الله يعذب على المقدور ، وعلى فعله ، لا يعذب على القدر ، فما القدر وما هو المقدور ؟

فمعنى أن القدر فعل الله بهم ، والمقدور أفعالهم التي قدرها الله لهم ، وعليهم بعدله ، فلا يعذبهم على فعله بهم ، وانما يعذبهم على أفعالهم .

قال غير المؤلف للكتاب والمضيف اليه :

انظر حيث لم يجعل فعل البارى معذبا عليه ، والخذلان فعله فلم يعذبهم البارى ويقع بهم عذابه ، اذ أنه فعل بهم ذلك الخذلان ، مبتدئا لهم به ، وانما كانت معصيتهم سببها الخذلان .

وانما عذبهم كما قال صاحب المسألة على فعلهم ، لا على فعله ، لأنه تعالى يقول : (وذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) . رجع .

قلت : وفي قول أصحابنا أن الله لا يعصى باستكراه ولا بغلبة .

قلت : فان قال لك مناظرك فيعصى وهو راض ؟

فمعنى أنه ليس من صفته أن يعصى على الاستكراه ، ولا يعصى

وهو راض ، والاستكراه لا يكون الا من غلبة فيكره على ما يغلب عليه ، فالله غالب غير مغلوب .

والاستكراه غير الكراهية : والرضا معنى الخروج من الكراهية لا الاستكراه له ، فهو كاره للمعصية غير راض بها ، ولا يستكره عليهما ، ولا يثبت عليه الرضا اذا لم يثبت عليه الاستكراه .

* مسألة :

من الزيادة المضافة :

وقد يقال : أضل الله ، وأضل الشيطان ، وأضل الناس بعضهم بعضا ، فلكل ضلالة معنى يعرف بغير معنى الآخر .

فمعنى أضل الشيطان ، أنى دعا وزين ورغب فى معصية الله ، وكذلك ضلالة السامرى ، وضلالة الناس بعضهم بعضا ، وهى معصية منهم ، لأن الله تعالى نهاهم عنها : فقد سمى معهم — نسخة — منهم ضلالة على معنى معروف موصوف موجود بوقوع شىء لا بعدم شىء .

ومعنى أضل الله ، ليس على هذه الجهة ، لأنه لا يجوز أن يقول : أضل الله تعنى دعا وزين ، أو رغب فى شىء من المعاصى : كما قلت فى اضلال الشيطان ، وانما معنى أضل الله أنه لم يهد ولم يعصم ، ولم يوفق ، وانما هو فقد الهدى ، وعدم العصمة ، لا بوجدان شىء ووقوعه .

ألا ترى أنه يقال : خذل فلان فلانا ، وانما يعنى بخذلانه اياه أنه لم ينصره ، لم يعنه لا أنه فعل فى خذلانه اياه شيئا أكثر من تركه النصرة والمعونة له ، فجاز أن يقال : خذل فلان فلانا على هذا المعنى .

ويقال : فلان فقير ، فالفقر اسم واقع لعدم المال وفقده ، وليس

الفقر شيئا موجودا أحدث ، فكان الفقر أكثر من أنه لما أفقره اللـه المال ، ولم يعطه اياه وقع الفقر لعدم المال •

ويقال : فلان غنى لوجدان المال عطية الله ، فقل : غنى لأمر موجود معروف واقع من أجسل أحداثه ، سمى غنيا ، وليس الفقر كذلك ، انما قيل فقير لفقران شيء وعدمه ، وهو المال لا لوقوع شيء •

ويقال : أجاع فلان فلانا ، أى أفقده الطعام ولم يطعمه ، وأعراه أى لم يكسه ، ليس أنه أحدث فى عريه وجوعه شيئا موجودا بـه كان العريى والجوع أكثر من أنه لم يطعمه ولم يعطه الثوب •

* مسألة :

واعلم أن الهدى والعصمة موجود موصوف واقع ، أعطاه الله من أحب ، وأحدثه له وبه نال أهل الخير •

قال غيره :

واعلم أن الهدى والعصمة موجدان موصفان واقعان ، أعطاهما اللـه من أحب ، وأحدثهما له ، وبهما نال أهل الخير الخير ، والله أعلم • رجع •

وقد سأل الصالحون من عباده أن يعطيهم وهو الهدى والعصمة ، ولا يجوز أن يكون سألوا الله أمر الأشياء موجودا يحدثه لهم بـه ، أدركوا ثواب الله وكرامته ، وقد أخبر الله أنه أعطاه ، ومن لا يجوز أن نقول : أعطيت ومننت بشيء لا ينتفع به ، ولا يكون لمن أخذه شيء من الخير ، ولا يجوز للصالحين أن يسألوا ربهم شيئا ليس له معنى يعرف يدركون به شيئا من الخير •

* مســألة :

وليس للضلالة — لعله — معنى يعرف ، والخذلان معنى موجــود موصوف ، وبوقوعه كانت المعصية كما كان جـدان العصــمة والتوفيق والطاعة أكثر من فقدان العصمة والتوفيق ، وهما اسمان يجب أحدهمــا معنى ، وليس يجب الآخر بمعنى يعرف ، وهما يتضادان فى الاســم ، ولا يتضادان فى المعنى ، لأن الله أخبر بدرك الخير وطاعته ، يعنى أحـد الاســمين .

ويثبت المعنى وهو المن الذى ينال به الخير ، ولم يثبت معنى الاسم الآخر أنه بوقوعه عصى الله ، ولا أنه أهلك أحدا ، ولا كان بــه الأمر الذى به يعذب الله ، وهــو الخذلان والضلالة ، فهذا فرق ما بينهمــا فى المعنى والاسم ، فمن هلك فانما هلك من قبــل هواه ، وما ســولت لــه نفسه .

ومن نجا من الهلكة ، ونال الخير فى الدنيا ، فمن قبـــل الله وعصمته اياه ، وتوفيقه ، ومنه وفضله عليه . رجع .

بـــاب

فيما يشرك به الانسان ويكفر به

وسألت أبا معاوية فيمن شك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعد علمه به ، وأنه ليس رســـول من الله ؟

قال : هو مشرك يقتل ان لم يتب .

وقلت : من شك فى القرآن من بعد علمه به فقال : لا أدرى هـــذا القرآن الذى أنزله الله أم لا ؟

قال : مشرك يقتل ان لم يتب ، وكذلك اذا شك فى آية من القـــرآن بعد علمه بها ، فهو مشرك يقتل ان لم يتب ، وأما اذا شـــك فى آية من القرآن ، لم يكن علمها أنها من القرآن ، وهو مؤمن بالقرآن ، الا أنه شاك فى هذه الآية لا يدرى أى من القرآن ، فقال فى هذه الآية : لا أدرى أهى من القرآن أم من غير القرآن ، فانه لا يكون بذلك مشركا حتى تقـــوم عليه الحجة ، فاذا قامت عليه الحجة فشك فيها بعد قيام الحجة عليه ، فانه يكون بذلك مشركا يقتل ان لم يتب .

* مســـألة :

وسألته عمن شك فى الكعبة بعد علمه بها ؟

فقال مشرك يقتل ان لم يتب ، وأما من لـــم يعلمها ، فواســـع له جهلها ما لم يحضر وقت الصلاة ، فاذا حضر وقت الصلاة فصلى لغـــير القبلة ، فلا يسعه جهل ذلك ، ولا يكون بذلك مشركا ، ولكنه كافر ، فاذا لقيته الحجة فأخبرته فشك فهو مشرك يقتل ان لم يتب .

والرجل يسمعه جبل القرآن ، فاذا لقيته الحجة فأخبرته أنه من عند الله ، فشك فيه ، كان بذلك مشركا يقتل ان لم يتب .

※ مســألة :

وسألته عمن شك فى الجمعــة بعد علمه بها ، أو كــان جاهلا بهــا فقامت عليه الحجة بالجمعة فشك فيها ؟

فقال : لا يكون مشركا ولكنه كافر .

قلت : فان قال ليس جمعة بعد علمه بها ، أو قيام الحجــة عليه ، هل يكون بذلك مشركــــا ؟

قال : لا ، وقــد روى عن أبى زياد أنه قال : فى هــذه يقتل ونحن نقول انه كافر ، ولا يقتل ، ولا يبلغ به الى الشرك اذا كان مقــرا بأن الظهــــر أربــع ركعــــات .

※ مســألة :

وسألته عمن شك فى السماء والأرض ، والجبال والناس والدواب ، والشمس والقمر والنجوم بعد العلم بها ، أو كان جاهلا فقامت عليــه الحجة بذلك ، فقال : لا أدرى أهى السماء التى ذكـرها الله فى كتابه ، وهذه الأرض التى سماها الله والجبال والدواب والناس أم لا ؟

قال : لا يكون بذلك مشركا ولا كافرا اذا كان مقــرا بأن الله خلق هذا الذى شك فيه ، ولا يدرى هذه سماء أو غير سماء ، وهذه الأرض أو غــــير أرض .

※ مســألة :

وسألته عمن أقر بالله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ،

والاقرار بما جاء من الله ، الا أنه قال : ان الله يعجزه شيء ، أو يغفل أو يسهو أو ينام ، أو ليس بقادر ولا قاهر ؟

قال : يكون بذلك مشركا يقتل ان لم يتب .

وكذلك ان شك في هذا بعد علم الله به ، أو كان بذلك جاهلا ، فقامت عليه الحجة بذلك فشك ؟ فقال : لا أدري يعجزه شيء أو لا يعجزه ، أو ينام أو ليس ينام ، ولا أدري قاهر لكل شيء أم لا ؟

فانه يكون بذلك مشركا يقتل ان لم يتب .

❋ مسألة :

ومن شك في نبوة الأنبياء بعد علمه ، وبعد قيام الحجة عليه ؟

كان بذلك مشركا يقتل ان لم يتب .

ومن شك في التوراة والانجيل والزبور ، فقال : لا أدري أهو من عند الله أو من عند غيره وبعد قيام الحجة عليه ؟

كان بذلك مشركا يقتل ان لم يتب .

ومن غير الكتاب والزيادة المضافة اليه :

مما انتخبته من جامع الشيخ أبي الحسن وغير من آثار المسلمين : وسأل عن الشرك ما هو ؟

قيل له : هو الاشراك في الشيء ، المشاركة فيه ، فهو اسم الشرك والاشراك .

فان قال : بم لحق العبد اسم الشرك بالله ؟

قيل له : هو كلما أشرك به ما لم ينزل به سلطانا ، فهو مشرك ، وقد قال : (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) ويحـرم الشرك به ، وهو أن يجعل معه شريكا فى ملكه ، أو يجعل معه الها غيره ، أو يعبد غـيره .

ومن عبد الأصنام والأوثان والنيران ، والشمس والقمـر والملائكة والرسل ، وكل من عبد غير الله فقد أشرك بالحـرام ما لم ينزل بـه سـلطانا .

ومن أشرك بالله (فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) يعنى بعيـد .

فالمشرك بعيد من الله ، خارج من رحمة الله ، ومن لم يؤمن باللـه وملائكته وكتبه ورسـله ، وأنبيائه وما جـاءوا به عن الله كان مشركا .

ومن لم يؤمن بالله ويقر بجملة الاسـلام التى دعا اليها رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركا .

ومن صدق بالله وشك فى محمد ، ولم يؤمن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤمن بالقرآن الذى جاء به من عند الله كان مشركا .

وليس بمسلم فى الدعوة التى من أقربها كان مسـلما ، ومن أنكرها أو شيئا منها ، كان مشركا حتى يقر بالله ورسـوله ، وما جـاء به أنـه الحق ، وفى ذلك ايمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، وكتب رب العالمين .

وقد قال الله تعـالى : (ومن لم يؤمن بالله ورسـوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) .

وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

فمن لم يسلم لحكم رسول الله فليس بمؤمن ، ومن لم يكن مؤمنا ، كان مشركا وكافرا ، ومن آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعضهم كان مشركا لأنه رد ما جاء فى القرآن من الايمـان بحقوقهم ، ونقض ما أمر بـه من الجملة .

ومن أنكر شيئا من كتاب الله أشرك لأنه ما أقر به أنه جاء به من الله ، ومن لم يصـدق بجملة القرآن أشرك ، ومن لم يؤمن بالآخـرة كان مشركا .

وقد قال الله تعالى : (ان الذين لا يؤمنون بالآخـرة أعتدنا لهـم عـذابا أليمـا) .

وقال عز وجل : (ومن لم يؤمن بالله ورسـوله واليـوم الآخـر فقد ضل ضلالا بعيداً) .

ومن لم يؤمن بالمعاد ، وأنكر البعث أشرك لأن ذلك فى كتاب الله ، وقد نقض ما أقر به ، ومن رد شيئا من كتاب الله ، ولو حـرفا ، أشرك حتى يؤمن بكل ما جاء عن الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وهى الدعـوة ، وعلى انكار ذلك قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخلوا فى الاسـلام ، وقتل من امتنع من اليهـود ، واستحل نسـاءهم وأموالهم ، وقاتل عبدة الأوثان حتى أقروا .

فمن أنكر وحدانية الله أشرك ، ومن أنكر البعث وكـذب بالجنـة والنار أشرك ، لأن ذلك فى القرآن ، ومن جحـد بالصلاة وأنكر أنهـا ليست فى كتاب الله ، وخطـأ من أوجبها كان مشركا يقتل ان لم يتب .

فأما من لم يصل وهو مقر بهـا لم يشرك ، من جحـد الصـلاة والزكاة ومنع ذلك أشرك بذلك ، وقوتل حتى يقر بذلك ، وعلى ذلك ، كان قيام أبى بكر فيمن ارتد ومنع الزكاة .

قال غيره :

وعلى ذلك كان قتال أبى بكر رضيه الله من ارتد ومنع الزكاة ، ومن جحد الحج والصيام والفرائض التى فى كتاب الله ، ومن لم يؤمن بذلك أشرك .

ومن قال : ان نبيا بعد محمد ، وأنه ليس بخاتم النبيين ، أو قال : انه كاذب ، أو ساحر ، ولم يصدق به أشرك ومن ذلك لحق اليهود اسم الشرك ، لأنهم يسمون النبى كذابا ، أو ساحرا ، ولم يؤمنوا به ، ولا بما جاء به ، وأشركوا على ذلك ، قاتلهم ، واستحل دماءهم وأموالهم بما أحل الله من ذلك .

وقد سماهم الله مشركين بقوله : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهـا واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) .

فقد سماهم الله فى كتابه مشركين ، وفى هذا لهم كفاية ، وسماهم الذين كفروا ، وقد قال : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل) وقال : (النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) .

ولم يلعن الله مؤمنا ، وقد لعن الكافرين وقال : (وهل نجازى الا الكفور) .

وكل من استحق بمعصيانه مجازاة من الله وعقوبة فقد كفر ، كما سماه الله ، وقال : (وكان الشيطان لربه كفورا) ولا فرق فى ذلك كما قال الله تعالى : (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) ، (انا هديناه السبيل . اما شاكرا واما كفورا) فمن لم يكن شاكرا كان كفورا ، ولا منزلة ثالثة غير هذين . انقضى .

وهذا من سيرة أبي عبد الله محمد بن زائدة الى أخيه أبي ابراهيم محمد بن سعيد رحمه الله :

فان رد العبد آية من كتاب الله أشرك ، وان شرك فى الجنة أشرك ، وان شك فى النار أشرك ، وان شك فى البعث من القبور أشرك ، وان شك فى القيامة أشرك .

قال الشيخ : فى هذا الشك بعد معرفته ، أو قيام الحجة عليه بمعبر ، وقال : يسعه جهل هذا ما لم يذكر .

وان اتخذ ربا يعبده من دون الله أشرك ، وان أنكر ربوبية الله أشرك ، وان أنكر كتب الله أو بعضها ، أو شيئا منها أشرك ، ومن أنكر الملائكة أشرك ، وان لم يقر بالعبودية أشرك .

ومن آمن بالله ولم يؤمن بأنبيائه أشرك ، ومن آمن بأنبيائه ولم يؤمن به أشرك ، ومن آمن بلسانه ولم يؤمن به — لعله بقلبه — أشرك ، ومن ادعى أن لله ولدا أشرك ، ومن تكهن أشرك .

قال أبو الحسن : ان كان متكهنا مقسرا بجملة الاسلام ، ولم يظهر من لفظه ما يلزمه حكم الشرك فليس بمشرك ، ولكن كافر نعمة .

ومنها : ومن دعا الى عبادة غير الله واستجيب له أشرك .

قال أبو الحسن : وكذلك الساحر ان كان لم يظهر من سحره ما يستحق به الشرك ، وقولنا فى الكاهن والساحر فى الحكم الظاهر .

ومنها : ومن وصف الله بجارحة من الجوارح .

قال بعضهم : أشرك ، وقال بعضهم : كفر .

وقال أبو الحسن : ان قال جارحة كهذه الجوارح التى فينا فقد

أشرك ، وان قال جارحة ولم يقل كهذه فهو كافر نعمـة • رجع الى كتاب الشيخ أبى الحسن على بن محمد بن على البسيانى •

وسأل عن الشك : قيل : من شك فى الله أنه ليس بخالق ولا رازق كفر ، ومن شك فى أسماء الله بعد قيام الحجة عليه كفر ، ومن شـك فى تفسير التوحيد بعد علمه وقيام الحجة كفر •

ومن شك فى النبى صلى الله عليه وسلم أنه ليس بنبى ولا رسـول كفر بذلك ، ومن شك فى القرآن بعد أن سمعه يتلى ويقرأ ، فقد قامت عليه الحجة ، فان شك فيه كفر •

وأما من آمن بالله ورسله ، وآمن بالقرآن ، ثم سـمع بآية لم يكن علم أنها من القرآن ، فشك فيها بعد قيام الحجة كفـر ، ومن شك فى سورة من القرآن ، أو فى ثلاث آيات لم يعـذر بذلك وقـد كفر •

وقد قيل : أن القرآن حجة ، لأن نظمه معجز فى كلام البشر ، فمن شك فى شيء منه كفر •

وقال آخـرون : حتى يشـك فى ثلاث آيات ، لأن أقـل سـورة ثلاث آيـات •

ومن شك فى الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، والبعث والحساب ، والوعد والوعيد ، بعد قيام الحجة من كتاب الله ، وحجة المسلمين كفر •

ومن شك فى فرائض الله التى افترضها عليه بعد قيـام الحجة عليه كفر ، ومن شـك فى محارم الله التى حرمها بعد علمه ، وقيـام الحجة عليه كفر ، ومن شـك فى أنبياء الله وكتبه ورسـله بعد قيام الحجـة عليه كفـر •

وأما من شك فى واحد من أنبياء الله ، أو واحـد من ملائكة اللـه ،

لم يسمع بهما لم يكفر بذلك حتى تقوم عليه الحجة ، فاذا قامت عليه الحجة فشك بعد قيام الحجة عليه كفر .

ومن شك فى ولاية المسلمين والبراءة من الكافرين بعد علمه ، وقيام الحجة عليه كفر .

وأما من شك فى ولاية واحد .. ..

رجع الى كتاب بيان الشرع .

وان شك فقال : لا أدرى هذا الذى فى أيدى اليهود هى التوراة التى أنزلها الله على موسى أم لا ؟ وهذا الانجيل الذى فى أيدى النصارى هو الذى أنزله الله على عيسى أم لا ؟

الا أنى لا أشك فى التوراة انها من عند الله ، وأن الله أنزلها على موسى ، ولا أشك فى الانجيل أنه من عند الله ، وأن الله أنزله على عيسى ، فانه لا يكون بذلك مشركا ولا كافرا .

وسئل عمن قال : ان عيسى نبى الله له أب ، وأنه عيسى ابن مريم ؟

قال : مشرك يقتل ان لم يتب .

وان قال : عيسى من ولد آدم ؟

فلا يكون بذلك مشركا ولا كافرا ، لأنه من ولد آدم .

والجنة والنار يسع جهلهما ما لم يذكرا ، فاذا ذكرتا لم يسع أحد جهلهما الا الايمان بهما ، ومن شك فيهما بعد علمه بهما ، وبعد قيام الحجة عليه كان بذلك مشركا يقتل ان لم يتب .

وكذلك يوم القيامة يسع جهله ما لم يذكر ، فاذا ذكر لم يسع

جهله ، ولا يسعه الا الايمـان به ، فاذا شك فيه بعد العلم به ، أو بعد قيام الحجة ، كان بذلك مشركا يقتل ان لم يتب •

ومن جهل أن الله يبعث من فى القبـور ، فذلك واسع له ما لـم يذكر ، أو تقم عليه الحجة ، فاذا ذكر أو قامت عليه الحجة لم يسـعه الا الايمـان أن الله يبعث من فى القبور •

ولا يسعه جهله اذا ذكره ، أو قامت عليه الحجة ، وان شـك أن الله يبعث من فى القبور بعد العلم أو بعد قيـام الحجة ، لم يسعه ذلك ، وكان بذلك مشركا يقتل ان لم يتب •

والثواب والعقاب يسع جهلهما ما لم يذكرا ، فاذا ذكرا ، أو قامت عليه الحجة بهما لم يسع جهلهما ، وان شك فى الثواب أو فى العقـاب بعد علمه ، أو بعد قيـام الحجة عليه ، كان بذلك مشركا ، يقتـل ان لم يتـب •

* مسـألة :

وقيل : عن أبى عبد الله رحمه الله أنه قال : من تأول القرآن من القرآن على غير تأويله ، فهو كافر ، ولم يدخـل فى الشرك ، ومن تأولـه من غير القرآن ، والـذى من القرآن مثل قوله تعـالى : (الى ربهـا ناظـرة) وقال ينظر اليه فى القيامة فقال : قد أخطأ بلا شرك •

بـــــاب

في التكليف

قال الله عز وجل : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) أى لا يؤاخذها ويطالبها الا بطاقتها •

* مســـألة :

يجب على العبد اذا بلغ ، وصح عقله ، وزالت عنه الآفات في أول أحـــوال التكليف أن يعرف خالقه ، وأنه واحـــد (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) •

ودليله على ذلك ما يرى من عجائب خلقـــه ، ولطائف صنعه ، في نفسه وغيره ، وأرضه وسمائه ، وليله ونهاره ، واختـــلاف أحـــواله ، وما يشـــاهده بين السماء والأرض من الدلالات القائمة ، الآيات الدالة على وحدانية الله جل جلاله •

وأول ما على العبد معرفة ما افترض عليه المفترض ، لأنه لا يؤدى المفترض عليه حتى يعرف الذى افترض عليـــه الفريضة حق معرفته ، لأنه لا يجوز أن يتقرب الى من لا يعرفه ، ولا يخضع ، ويعبد ويعمـــل لمن لا يعلمه •

وأنه لا يجوز أيضا أن يعـــرف الرســـل من لم يعرف المرســـل ، لأنه انما يطيع العبد الرســـول الا اذا عرف المنعم عليه الذى تجـــب طاعته عليه ، وأرسله اليه وأوجب عليـــه اتباعه وتصديقه ، وعلى كل عاقل بالغ أن يوحد الله عز وجـــل ، ولا يوحده الا من عرفه وأقـــربه ومن لا يعرفه فلا يوحـــده بل يجحده •

وأذا وحد الله تعالى بأنه واحد (ليس كمثله شيء) فقد عرفه •

فصـــــل

وعن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب :

قال : ان أول عبادة الله معرفته ، وأصـــل معرفة اللـــه توحيده ، ونظام توحيده : نفي صفات التشبيه عنه بشهادة العقول ، لأن كل مشبه موصوف بالأشياء ، مخلوق ، وشهادة كل مخلوق أن له خالقا لا يشبهه ، ولا يوصف بصفاته ، وشـــهادة كل صفة بالاقتراب وشـــهادة الاقتران بالحدث ، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث .

قال : وأما المعرفة بالله جل جـــلاله فى قيام ولا قمـــود ، ولا اياه وحـــد من اكتنهه ، ولا حقيقة أصـــاب من مثله ، ولا صمده من أشـــار اليه ، ولا اياه عنى من شبهه بخلقه ، ولا تذلل له من فريضـــة ولا اياه أراد من توهمه ، وكل معروف بنفسه مصنوع قائم سواه معلول .

فصـــــل

أول ما افترض الله على عباده معرفته وشكره على نعمته ، ونفى الأشباه عنه ، ثم الاقرار بأنبيائه ورسله وملائكته ، والتصـــديق بجميع ما أتت به ، وأنزله فى كتبه ، وما كلفهم عليه مطلب معرفته ذلك من كتابه العزيز الذى يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه .

ومن سنة نبيه صلى الله عليـــه وسلم ، ومن اجمـــاع الأمة ، ومن حجج العقل الذى حسن الله به الحسن ، وقبح به القبيح وله وجـــب الأمر والنهى ، وحسن الحمد والذم .

ويلزمهم الكف عما قبح فى عقولهم ما لم يأتهم عن الله تعالى خبر باباحته شيء منه ، ويلزم العبد أن يعرف نفسه ، حق معرفتها ، فان من جهل نفسه كان لغيرها أجهل .

قال غيره :

هذا هو العدل من القول لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنهـا سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : متى يعرف الانسان ربه ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « اذا عرف نفسـه » فان من جهـل نفسه كان لغيرها أجهل ، والله أعلم .

فمعرفة الله تعالى أول المفترضات ، وبها تصح العبـادات ، ومن لم يكن بالله عارفا ، كان به جاهلا ومن كان به جاهلا لم يكن له عاملا ، كان لأوامره مهملا ، ومن كان لأوامره مهملا كان لعذابه مستوجبا .

*** مسـألة :**

التكليف على معنيين : فمتى يجوز اضافته الى الله عز وجل ، ومعنى لا يجوز ، فالذى يجوز هو الأمر ، وهو تكليفـه عز وجـل عباده أو أمره ونواهيه ، طاعاته وفرائضه حسب طاقاتهم .

والمعنى الذى يجوز انزال المكلف حاجته بالمكلف ، وهذا غير جائز على الله عز وجل أن يكون تكليفه العباد لحاجة له الى ما يسكلفهم ، اذا كان الله غنيا عن جميع ما خلق ، وكل اليه محتاج مفتقر ، تعالى الله علوا كبيرا .

فصـل

ويقال على من هذا الأمر كلفه أى مشقة ، ومن هذا المعنى يقال : تكلف فلان لأخواته الكلف ، وتكلف لهم ما عجزوا عنه ، ويقال : ما عليك فى هذا الأمر كله كلفة ، أى تحمل ثقلا .

* مسألة :

ووجوب التكليف على المكلف من طريقين : طريق عقل ، وطريق نقل •

فطريق العقل ينقسم قسمين : أحدهما : معرفة الله تعالى أنه واحد ، وعالم ، وقادر ، ونحو ذلك ، فعلى المكلف عند ذكر ذلك وسمعه اعتقاده وعلمه ، غير معذور بجهله ولا الشك فيه لقيام أدلته ، ولزوم حجته •

والقسم الثانى ما فيه الاختلاف بين الناس ، مثل عالم بعلم ، وقادر بقدرة ، وعالم بنفسه ، وقادر بنفسه ، فحجة هذا تلزم بالسؤال، وبعد الاستدلال ، وعلى الشاك فيه أن لا يعتقد قولا من المخالفين بغير دليل ، فان مستمسكا بالجملة ، وهى أن الله تعالى واحد (ليس كمثله شىء) •

وما كان طريقه طريق فغير لازم ولا هالك من جهله ، الا بعد قيام الحجة عليه بالخبر المنقول اليه ، فاذا طرق سمعه من ذلك لزمه فرضه ، ان كان مفسرا فى نفس اللفظ المنقول ، وان كان مجملا فالى أن يسأل العلماء عن تفسير خطابه •

وما لم يقم على المكلف حجة لم تبلغه دعوة ، فهو سالم بجهله ما كان طريقه السمع من رسالة الرسول ، وعلى الفرائض ، لأنه لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهدا ، ولم يظهر له معجزة على ما يدعيه من النبوة ، ويدعو اليه من الايمان به فلم يجبه ، لما كان هالكا ، لأن مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم ليست بحجة على من شاهده دون اظهار معجزة ، ولا ابلاغ رسالة •

ولا قال بذلك أحد من أهل القبلة ، ولو كان كذلك لكان المسلمون حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة ، والناس يصلون اليه ،

ولا يعرفوه الى أن يكثروا ، وارتفعت الشمس ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فستر النبى صلى الله عليه وسلم بثوبه من الشمس .

فعلمت الأنصار والمسلمون أن المظلم هو النبى صلى الله عليه وسلم ، فلو كانت رؤية النبى صلى الله عليه وسلم هى الحجة فقط كان جميع المسلمين من أهل المدينة قد كفروا بجهلهم الحجة ، وهم له معاينون.

ولم يقل أحد أيضا : ان دعوة النبى صلى الله عليه وسلم هى الحجة دون المعجزة ، ولو كانه المشاهدة هى الحجة من غير أن يعضدها دليل من المعجزة ، أو من يقوم مقامها لكان من سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ، فلم يعلم الحق ويتبعه كافرا ، وقد سمع كلام النبى صلى الله عليه وسلم فلم يلزم حجته بغير معجزة .

ولو كان ذلك لازما لكل مشاهدة للنبى صلى الله عليه وسلم ، أو سامع لكلامه لما كان لاظهار المعجزات معنى .

ولو كان أيضا سائغا لكل مدع للنبوة أن يدعها من غير اظهار معجزات — لعله — معجزة عليها ، ولكن لما كان الله عز وجل لا يبعث رسلا الا بمعجزة ظاهرة ، وأعجوبة باهرة ليس فى طوق أحد أن يأتى بمثلها ، ولا أن يشاكلهم فيها ، صح أن المعجزة هى المؤيدة لرسالتهم ، والمؤكدة لمقالتهم ، والمثبتة لحجتهم ، والمبرهنة لدعوتهم ، والمصدقة لأمرهم ، والمعرفة بينهم وبين غيرهم ، وانما هى الحجة الجلية ، والدلالة النبوية التى باين بها رسل الله غيرهم من العباد .

فصل

والتكليف ثلاثة أقسام : قسم أمر المكلفون باعتقاده ، وقسم أمروا بفعله ، وقسم أمروا بالكف عنه .

فما أمروا باعتقاده قسمان : قسم اثبات ، وقسم نفى .

فأما الاثبات : فاثبات توحيده ، وتصديق رسـوله صلى الله عليه وسلم بما جـاء به •

وأما النفى : فنفى الصاحبة والولد والأشباه ، والحاجة والقبائح أجمع عنده ، وهذان القسمان هما أول ما كلفهما العاقل •

وما أمرهم الله بفعله ثلاثة أقسام : قسم على أبدانهم ، كالصلاة والصيام ، وقسم على أموالهم كالزكاة ، والكفارات ، وقسم على أبدانهم وأموالهم ، كالحج والجهـاد •

وما أمرهم بالكف عنه ثلاثة أقسام : قسم لاحياء نفوسهم ، كنهيه عن القتل ، وأكل الخبائث والسـموم ، وما يؤدى الى فسـاد أبدانهم وأديانهـم •

وقسم لايلافهم واصلاح ذات بينهم ، كنهيه تعـالى عن الغضب ، والظلم ، والبغض ، وما أشبه ذلك •

وقسم لحفظ أنسابهم ، وتعظيم محارمهم ، كنهيه تعالى عن الزنى ، ونكاح ذوات المحارم ، والتعبد مأخوذ من عقل متبوع ، وشرع مسموع ، فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع ، والشرع مسموع فيما لا يمنـع منه العقل ، لأن الشـرع لا يرد بما يمنع منه العقل ، والعقل لا يتبع فيمـا يمنع منه الشـرع ، وكذلك توجه التكليف الى من كمل عقله •

والأحكام العقلية لا تكون أصولا للأحـكام الشرعيـة ، ولا شبه الأحكام الشرعية بالأحكام العقلية وقال بشير : لابد من تكليف المعـرفة كل بالغ من جهة العقل ، وان لم يكن من أهل السمع ، لأن ذلك مما يدرك بمشاهدة الأدلة ، ولا تجوز اباحة تركه ، واكتساب الجهل بدلا منه اذا كان ممكنا له ، وغير عاجز عنه ، ولو كان مكلف ذلك الا بعد أن يفرغ ، سمعه الآمر له به ، لكان لا سبيل له الى ذلك الا بعد أن يعـلم صـدق المخبر له وان أتاه من عند الله •

وأن الله عز وجل لا يبعث الا صادقا ، وهو انما يعلم صدق المخبر له بعد أن يعرف الله تعالى بأدلته ، ويعلم أن حكيم لا يبعث رسلا الا بمعجزة لم تجر بها عادة ، وأعجوبة قاهرة الحجة ، ودلالة ظاهرة البيان ليس فى قرى الخلق أن يأتوا بها ، ولا أن يساووهم فيها ، ولا جرت العادة فيهم بمثلها ، صح أن اعلامهم دالة على صدقهم •

ولا يجوز أن تكون دالة على ذلك الا المكلفون لعلمه ممكنون من الاستدلال على صدقهم فيما جاءوا عليهم السلام من ربهم عز وجل •

* مسألة :

من الزيادة المضافة :

عن بشير قال : قالت المعتزلة : ان الله اذا آلم الأطفال والمجانين ، وأدخل عليهم المكروه ، فانه يعوضهم به فى الآخرة •

قال : وكذلك يقولون فى الدواب اذا أدخل عليهم شيئا من المكروه أنه يعوضها ويخلدها فى الجنة مثل غيرهم •

رجع الى كتاب بيان الشرع •

بـــاب

فيما لا يسـع جهـــله

قال أبو عبد الله الذي لا يسع الناس جهله عند حضـــور وقته من الايمان الوضوء للصلاة لا يسعه أن يجهله اذا حضرت الصلاة ، أو يجهل ما يجب عليه من استكماله ، فاذا جهل تمام الوضوء ، ولم يتم وضوءه بكماله ، ودخل فى الصلاة وهو ناقص الوضوء فقد كفر اذا جهل ٠

وقال : لا أعرفه فهو غير معذور بجهالته اياه ، وان أقيمت الصلاة ، وجهل ما يجب عليه فيها من تمامه بحدودها ٠

وقال : لا أعرف ما وجب علىّ فيها ، وكيف أقيمهـــا وجهلها حتى انقضى وقتها ، ولم يصلها على ما ينبغى ، فهو غـــير معـــذور بجهالته ، وقـــد كفـــر ٠

وكذلك الغسل من الجنابة اذا أجنب فجهل معرفة الغسل ولم يأت به ، واعتذر بجهالته حتى انقضى وقت الصـــلاة ولم يغتســـل فهو غـــير معذور بجهالته اياه ، وقد كفر ٠

وأما الزكاة فان كان له مال فجهل أداء الزكاة ، فلم يؤدها حتى مات فقـــد كفـــر ٠

وكذلك ان كان له مال فلم يعلم أن الحج يجب عليه ، فاذا كـــان له مال فلا عذر له ، ولا يسعه جهل ذلك ولا كفره حتى يموت ، فان مات ولم يحج مات كافرا اذا لم يوص بحجة ٠

وكذلك ان جهل صيام شهر رمضان من قبل دخوله ، فلم يعلم أنه واجب عليه ، فمات قبل دخوله لم يكفر

وان دخل شهر رمضان فلم يصمه وجهله فلا عذر له فى جهله ، وهو كافر حتى يتوب ويتعلم ، فان مات ولم يصم منـه يوما واحدا ، فقـد كفر ، فان تاب لكل يوم شهرا وكفارة الصلاة ، وهو يتعلم فلم ••••••

فلا يبدل ، وأرجو أن يكون معذورا ان شاء الله •

وقال أيضا : الكفر الذى لا يسع الناس جهله هو الشرك بالله ، فما دونه — لعله — أراد وأما ما دونه مما حرمه الله فى كتابه ورسـوله فى سنته ، وأجمع المسلمون على تحريمه •

فما لم يفعله هو أو يتولى من فعله ، أو يبرأ ممن برىء من فعـله فهو سلم ، فان فعله هو بجهالة ، أو تولى من فعله بجهـالة ، أو برىء ممن برىء ممن فعله ، فهو كافر ، وكل هذا كفر نعمة لا كفر شرك •

* مسـألة :

وهـذا كلام حاجب بن مسلم : عن الايمـان الذى يسـع الناس جهـله ؟

قلنا : ما دان الناس بتحريمه مما أوجب الله العذاب على فعـله أو تركه ، فما لم يعلموا أو ينسوا الايمان لن عمل ، أو يكفوا عمن برىء منهم من العلماء على براءتهم ممن عمـل ، أو أثبت الايمـان لن عمل ، فهذا الايمان الذى لا يسع من علمه ، جهل ما وراءه حتى تقوم حجته •

* مسـألة :

ومن الأثر : وسألته عمن جهل الجنة والنار ؟

فقال من قال : لا يسع جهلهما •

وقال من قال : يســعه ما لم يعلمه أحــد ، فاذا علمه أحــد لم يسعه جهلهما .

قلت له : فما تقــول أنت ؟

قال : أقول انه يسعه ما لم يعلمه أحد ، فاذا أعلمه أحــد لم يسعه جهلهمــا .

قال أبو سعيد : الله أعلم ، ومعى أنه اذا لم يعــرف معنى ذلك ، والمراد به ، فلا معنى للامم عندى ، لأن الجنــة والنار قد يخرجان فى معانى غير الثواب والعقاب من جنان الدنيا ، ونار الدنيا التى تنفــع الناس ، ويتمتعون بهما ، وأما معنى الثواب والعقاب .. .. تبارك وتعالى على طاعة وعلى .. .. جهل ذلك .

قلت له : لا يسعه الا .. .. .. ؟

أما فيما تقوم معه الحجة .

وعن رجل أعمى لا يبصر يكون فى سفر مع قومه كثير لا يثق بأحد منهم ، وهم أهل الصــلاة ، هل يقبــل منهم اذا أخبروه بأوقات الصلاة ، ورؤية الهــلال فى الصوم والافطار من شهر رمضان ؟

فانه يأخذ بقولهم ، ويقبل منهم ، وان لم يثق بهم ، لأن الله تعالى قد ائتمنهم على ذلك ، وكذلك ان كان فى قرية لا يثق بأحــد من أهلها ، فانه يقبــل منهم .

* مســألة :

قال أبو معاوية ، عن محبوب بن الرحيل : لو أن قومــا وصلوا الى

ذات عرق ، فأتاهم أعرابى جاف فقال لهم : هذه ذات عرق ، ولا يسعكم تجاوزونها الا محرمين ؟

كان حجة عليهم ، ولا يسعهم أن يجاوزوها الا محرمين .

❋ مســألة :

قال أبو معاوية : سأل رجل محمد بن محبوب عن رجــل خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبلته بيت المقدس ، فلقيه رجــل فى سفره ، وقد خــرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن صرفوا الى الكعبة ، فقرأ عليه : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحــرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ؟

فقال محمد بن محبوب : قد لزمته الحجة .

❋ مســألة :

وجدت مكتوبا للشيخ أبى محمد ، وأرجو أنه ابن بركة ، وسألته عن الصلاة : أيسع جهل علمها ، أو لا يسع جهل ذلك كان قبــل حضور وقتها أو بعــده ؟

قال : يسع جهل علمها وعملها قبــل وجوبها ، ولا يســع جهــل علمها مع وجــوبها .

قلت : فسر لى ذلك وفصل لى الفرق بين الفصلين ؟

قال : نعم الفصل فى ذلك واضح بيانه ، وذلك أنه غير مكلف لعلم ما لم يلزمــه ، ولا لعمــل ما لم يجب عليــه تأديته الا لأوقات تأتى ،

وأحوال ثابتة ، فاذا أتى عليه ذلك الوقت ، ووجب عليه ذلك الفرض لزمه الفرض ووجب عليه العمل .

فان جهل العمل مع وجوب الفريضة ، هلك مع زوال أوقات الفريضة ، ولا عذر له بجهله .

وتفسير ذلك : أنه واسع له جهل العلم بالصلاة بأن فرضها أربع ركعات قبل لزومها ، وحضور وقتها ، فاذا حضر وقتها لزم العمل بها ، فان أداها قبل زوال وقتها سلم ، وان جهل أو تجاهل هلك .

قلت : فعلم ذلك كيف يقع له ، وممن يلزمه قبول ذلك اذا أخبره .

قال : علم ذلك يقع له بسؤال المسلمين ، وعليه قبول ذلك منهم فيما أخبروه به ، وأسندوه له ، ورفعوا اليه من السنن المنقولة عن الرسول ، والأئمة المتقدمة .

قلت : ومن أين وجب عليه السؤال ، ومن أين لزمه القبول بما أخبروه به ، ونقلوه اليه ؟

قال : بالكتاب وجب السؤال ولزمه القبول .

قلت : وأين ذلك من الكتاب ؟

قال : قوله عز وجل : (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) فلما أمرنا بالسؤال لأهل الذكر لما جهلنا دلنا بذلك على قبول ما أخبرونا به ، وأسندوه لنا ، ونقلوه الينا .

ولو كان أمره لنا بالسؤال لا يوجب علينا قبول خبر من نسأله ، لكان لا معنى للآية ، ولا فائدة فيها ، وهذا ليس من صفة الحكيم ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قلت : أرأيت لو أخبره ثقة من المسلمين فى وقت لزوم فرض الصلاة أربع ركعات ، هل كان عليه قبول خبر الثقة ؟ وهل يفيده خبر الثقة علما ؟

قال : عليه قبول خبر الثقة ، لأن خبر الثقة يوجب العمل تقليدا له ، ويفيده علما .

قلت : ومن أين لزم قبول خبر الثقة ووجوب العمل به ، وزوال الفرض عنه بخبر الواحد ، والفرض لا يزول الا بعلم ؟

قال : أما قبوله خبر الثقة بدليل من الكتاب ، وهو قوله تعالى : (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فلما أمرنا بالبيان مع خبر الفاسق ، دلنا بذلك بأن السؤال موضوع عنا مع الخبر الصادق .

فلما كان هذا الرجل لا يعلم عدد فرض الصلاة ، وكم هو من الركعات وجب عليه قبول خبر الثقة بهذا الدليل تقليداً له ، وثقة به ، لا أن خبره علم على الحقيقة ، لأن علم الحقيقة لا توصل اليه .

قلت : فلِمَ قال : بأن شهادة الشاهدين علم ؟

قال : يقال : انه علم الظاهر لا علم الحقيقة ، لأن علم الحقيقة هو العلم بالظاهر والباطن ، وهذا ما لا يصل اليه مخلوق .

قلت : فلم يقال للعالم انه عالم على الاطلاق ؟

قال : وهذا أيضا علمه علم الظاهر ، لا علم الحقيقة ، وأجرى الاسم عليه ، بأنه عالم مجازا وسعة فى اللغة ، لا على الحقيقة أنه عالم ، وبالله التوفيق .

* مسـألة :

وما لم تقم على المكلف حجة ، ولم تبلغه دعوة فهو سالم بجهله ما كان طريقه طريق السمع من رسالة مكررة ، وقد تقدم .

وجده مكتوبا بعد هذا يعنى قد تقدم تكريره فى هذه المسألة مضافا اليه .

وكذلك كل نبى لا حجة فى مشاهدته دون اظهار دعوته ، واذا كان الأمر على ذلك كان المكلف معذورا بالدليل الذى بيناه ، والشاهد الذى أقمناه قال الله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

وليس الرسول صلى الله عليه وسلم حجة بمشاهدته دون تبيين رسالته ، قال الله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم ولعلهم يتفكرون) .

عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله أرسلنى الى الناس برسالة وأنى ضقت بها ذرعا وعرفت أن الناس مكذبى فأوعدنى ربى أن أبلغ رسالته أو ليعذبنى » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لا يسمع بى رجل من هذه الأمة فلا يؤمن بى ولا بما جئت به حتى يموت الا كان من أصحاب الجحيم » .

وقيل فى قول الله عز وجل : (وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) يقول : أنذركم به ، وأنذر من بلغه لا اله الا الله ، فقد بلغه ابلاغى به ، وقد قامت عليه الحجة ، وقيل من بلغ يقول ، ومن بلغه الاسلام فقد بلغته الحجة ، وان لم تدعه فقد بلغه الاسلام .

وقيل : من بلغ معناه ، ومن بلغه القرآن ، فأضمرت الهاء ، والعرب تضمر الهاء في الصلاة ، ومسح ، والذى ، وما ، ومن يقول : من اكرمه أبوك ، يريد أكرمته ، وما أخذت مالك الذى أخذت مالك •

والعرب اذا طال عليهم الاسم بالصفة ، حذفوا الهاء ، قال الله عز وجل : (أتريدون أن تهدوا من أضل الله) أى من أضله الله ، ومثله (ومنهم من كلم الله) يريد من كلمه الله •

قال جرير :

أبحت حمى تهامة بعد نجد
وما شيء حميت بمستباح

أراد حميته ، فحذف الهاء •

قال قتادة : وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا أيها الناس بلغوا ولو آية من كتاب الله ، فانه من بلغته آية فقد بلغه أمر الله أخذه أو تركه » •

وقوله تعالى : (لأنذركم) لأحذركم من معصية الله ، والانذار هو الاخبار بالتخويف ، وكل منذر معلم ، وليس كل معلم مخوف حتى يكون مع اعلامه تخويف كقوله عز وجل : (وأنذرهم يوم الحسرة) •

مما يدل على ايضاح ما ذكرته قول الله عز وجل حكاية عن فرعون لموسى : (فأت بآية ان كنت من الصادقين) وقول موسى عليه السلام : (يا فرعون انى رسول رب العالمين • انى قد جئتكم بآية من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل • قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) •

وقول عاد لهود : (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) فهـذا ومثله فى الكتاب مما يؤيد ما ذكرته ، والله تعالى أعلم •

* مســألة :

سألت أبا سعيد محمد بن سعيد رضى الله عنه : عن الأنبياء صلوات الله عليهم كلهم ، هل يسع جهل معرفتهم ما سوى النبى محمد صلى الله عليــه وسلم ؟

قال : نعم هكذا عندى •

قلت له : ولا تقوم الحجة من المعبرين على الجاهل بهم كانوا ثقات وغير ثقات كانوا علماء أو غير علماء ؟

قال : لا يبين لى أن يكون عليه أن يشهد كشهادة الحجة ، ولا يعلم كعلم الحجة ، الا بعلم يؤديه هو الى ذلك من غير لزوم الشهادة ، لأنى اذا ألزمته علم ذلك ، وأجزت له ذلك جاز فيه عليه أن لو شهدوا بغير نبى كان لنا أن نشهد كشهادتهم ، وأن نشك فيــه كان مشركا ، وهـذا لا يستقيم عندى ، والله أعلم •

وكل ما يخرج عندى مخرج الشهادة ، لا مخرج نقل الشريعة كان بمنزلة الشـــــهادة •

قلت له : فالشريعة أهى الجملة التى على الناس الايمان بهـا من القول بالاقرار بها والعمل ، وما كان الحق فيه واحـدا أم يجرى فيــه الاختلاف هو من الشريعة أيضا بين لى صفة ذلك الفرق فيه ؟

قال : ان الشريعة على ما قيل هو ما كان من الدين ، مما يجرى فيه الناسخ والمنسوخ من الأمر والنهى ، وهذا مما يجرى عليه أمر الشريعة فيما عندى ، والدين واحد لا يختلف فى شريعة نبى من الأنبياء وهو الاسلام

كذلك قال الله تبارك وتعالى فيما أوحى الى نبيه : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم) الآية ٠

وقال : (لكل جعلنا شرعة ومنهاجا) فالشرعة يلحقها اسم الأعمال ، وما يجرى فيه الأمر والنهى ، والناسخ والمنسوخ ، والسنة المحكمة فى ذلك لاحقة بحكم الفرائض فى ثبوت الشريعة والاجماع الصحيح ، الموافق السنة لاحق بحكم الشريعة من ذلك ٠

والمنصور من الرأى الموافق للاجماع والسنة ، والكتاب خارج حكمه من الشريعة ، ومشتق من الشريعة ، وأن كان لا يسمى شريعة فان من الشريعة ٠

وكل هذا ان لم يكن فيه ربح فهو وضيعة ٠

قلت له : ما أوجب على الناس أن يعلموه ويؤمنوا به من حجة عقولهم ، وخاطر بالهم ، وسماع آذانهم ، ولا يسعهم الشك فيه بعد أن ينزل بهم أحد هذه المعانى الثلاثة ؟

قال : هو عندى كلما ألزمهم الله علمه من ذلك ٠

قلت له : مما ألزم الله عباده أن يعلموه من دينه الذى تعبدهم الله بعلمه ، هكذا عندى ؟

وقلت له : فما الذى تعبدهم الله من علمه ؟

قال : هو ما خصهم علمه عندى من جميع ذلك ، كل منه فى موضع خصوصه ولزوم محنته ٠

قلت له : فاذا خصهم ذلك أو شىء منه كان عليهم علمه بأحد ما

وصفت لك من حجة العقل ، وخاطر البال ، والسماع ، فان لم يعلمــوه هلـــكوا ؟

قال : هكذا عندى فى جميع ما ألزمهــم الله علمه ، لا لغــير معنى المســـلم •

قلت له : النبى محمد صلى الله عليه وســلم وهو ما ألزمهــم الله علمه بأنه محمد ، وأنه رسول الله ؟

قال : قد قيل ذلك اذا بلغوا الى علم ذلك اذا كانوا من أمته ، ومن المتعبـــدين برســـالته •

قلت له : فان خطر ببالهم أن الله أرسل رسولا اليهم ، وخطر أنه محمد أو غير محمد ، كان عليهم أن يعلموا أنه محمد ، وان شكوا فيــه أنه محمـــد هلكوا ؟

قال : لا يبين لى ادراك الأسماء بحجة العقل الا بسماع أو نظــر على سبيل العبادة — نسخة — العبارة ولكنه صــح معى الرســالة من حجة العقل ، لأنها مدركة ، فاذا صح فى عقولهم ما هو مدرك علمه فشكوا فيه هلكوا مما تعبدوا بعلمه •

قلت : فهل يكون المعبر الواحد الذى يعبر له ، يقول له : أن هــذا الرسول هو محمد بن عبد الله ، هل يكون عليه حجة كان ثقة ، أو غــير ثقة ، ويلزمه أن يعلم أنه محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قال : قد قيل : ان المعبر له ممن كان حجة عليه ، وأنا ناظر فى ذلك ودينى فيه دين محمد صلى الله عليه وسلم •

قلت : فملت الوعد والوعيد ، والموت والبعث ، والحساب ، هــل يكون تقوم الحجة بهذا وحجة العقل ، والخاطر والسماع ؟

قال : انه قد قيل فى ذلك : وعلمه من حجة العقل باختلاف ، وأمـا السماع فلا يبين لى فيه اختلاف اذا سمعه وعرف معنـاه المراد به أن عليه الايمـان به •

قلت له : فبين الخاطر ، وحجة العقل فرق أم معناهما واحد ؟

قال : ان بين معناهما فرقا فى الأسماء ، وأما فى المعانى والصفات فلا يبين لى فى ذلك فرق اذا عرف معناه ، والمراد به •

قلت له : فاذا خطر بباله أنه يموت أو لا يمـوت ، أو يحاسب أولا يحاسب ، كذلك يعاقب — لعـله — أراد يعـاقب ويثاب ، أو لا يعاقب ولا يثاب ، هـل عليـه أن يعلم بخاطر بالـه انه كـذلك ، أم يـكون القول فى ذلك مثل القول فى حجة العقل ؟

قال : معى انه كذلك •

قلت له : فان لم يعلم ذلك من خاطر باله ، وحجة عقله على قـول من يقول ان عليه أن يعلم ذلك ، ومات على ذلك أو حيى ، هل تراه هالكا ؟

قال : انه هالك على قول من يقول ذلك •

قلت له : وعلى قول من يقول انه ليس عليه علم ذلك الا بالسماع ، يقول انه سالم حتى يسمع ذلك ؟

قال : الله أعلم ، ولا يبين لى له سلامة ، لأن هذا يخرج عندى من حكم المعـانى لا من حكم الأسماء ، ليس يبين لى عذر فى جهل معانى ذلـك اذا علمهـا •

قلت له : فأمر الله ونهيه الذى فرض على عباده تقوم الحجة فيه من خاطر البال ، أو من حجة العقل والسماع ممن كان اذا حضر العمل به ، أو الانتهاء عنـه ؟

قال : قد قيل : ان كل ما لا يسع تركه ولا ركوبه من أمـر الله ، فالحجة فيه من جميع المعبرين تلزم ، فى حين لزوم ذلك ، ونزول بليتـه فيــــــه .

ومعى أن حجة العقل اذا قامت عليه مقام السماع من عـلم ذلـك باستحسان الحسن من ذلك ، واستقباح القبيح مثل ما تقوم به حجـة السمع أنه لا فرق عندى فى ذلك .

قلت له : فقبل أن يلزم ذلك ، وتلزم بليته ، لا تكون الحجة قائمـة بلزوم علم ذلك من جميع المعبرين ، ولا حجة العقل ، ولا خاطر البـال الا فى حين نزول بليته ولزومه ؟

قال : أن تقدم اليه علم ذلك من أى وجه تقدم اليه قبل لزومـه ، فعلمه عليه حجة ، وليس له أن يرجع بعد العلم الى الجهل من أى وجه علم ذلك ، على ما عندى أنه قيل .

قلت له : ويكون سالما حتى يعلم علما لا يشك فيه من أى الوجوه علم ذلك ، ولو خطر ذلك بباله ، أو سمع بذكره ؟

قال : انه سالم مالم يضيع لازما يقدر على القيام به ، أو يركب مأثما يقدر على الانتهاء عنه ، أو يشك فى يقين قد صح معه ، أو يجهل علما قد بان له فى جميع ذلك من أى وجـه كان العلم .

* مسـألة :

ومن جواب أبى محمد عبـد الله : وعمن قال : ان الله لـم يخلق محمد النبى صلى الله عليه وسلم ؟

فاذا قال : ان الله لم يخلق محمدا النبى صلى الله عليه وسـلم ، وزعم أنه مقر بالجملة ، فهذا غير مقر بالجملة ، وهذا مشرك ان تاب ،

والا قتل بقوله : ان لم يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهذا ينفى أن محمدا لم يكن ، وأنه لم يكن لله رسول يقال له محمد •

فعلى هذا فأراه قد جحد بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يكن لله رسول يقال له محمد ، ولو أقر أن لله رسولا يقال له محمد ، كان مخلوقا، فهذا أوجب معنا أن يقول : ان محمدا صلى الله عليه وسلم خلق نفسه ، أو مع الله خالق ، فلا يعدوا هذين المعنيين ، وهو مشرك يستتاب ، فان تاب والا قتـــــــل •

وكذلك ان قال : ان الله لم يرسل النبى محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس ، هل يكون بهذا القول مشركا ؟

فنعم مشرك ، لأن الله يقول : (قل يا أيها الناس انى رسول اللـــه اليكم جميعا) الآية كلها ، فمن جحد أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسله الله الى الناس فانه كذاب •

قال أبو سعيد : يخرج أنه كذب على الله ، وهو مشرك يستتاب من ذلك ، فان تاب والا قتل •

وهذا اذا كان من أهل الاسلام ، ارتد بهذا القول ، وأما ان كـــان من أهل الملل الجاحدة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، أو من عبدة الأوثان ، الذين دخلوا بأمان ، فانه يعاقب بما يراه المسلمون من العقوبة والنكال ، حتى يرجع عن هذا القول ، وهذا فى الوجهين جميعا اذا قال : ان محمدا لم يخلقه الله ، أولم يرسله الله ، وانما القتل عـلى من كـــان من أهل الاســـلام ثم ارتد •

وهذا الذى يقول هذا القول مرتد عن الاسلام •

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من بدّل دينه

فاقتلوه » المعنى : من رجع الى الشرك بعد الاســلام ، فانه يقتــل ، والدين هـــو الاســـــلام .

وأما اليهودى اذا تنصر ، أو النصارى اذا تهوّد ، أو المجوسى اذا تنصر ، فليس عليهم القتل ، ولكن قالوا : لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نســـــاؤهم .

قال غــيره :

وقد قيل : ان اليهودى اذا تنصر ، والنصرانى اذا تهوّد فكل ذلك هم أهل الكتاب ، وتؤكل ذبائحهم ، ولكن اذا تهوّد المجوسى ، أو تنصر لم تؤكل ذبيحته ، وكذلك اذا تمجس اليهــودى والنصرانى لــم تؤكل ذبيحتهما ، ولم تنكح نساؤهما .

* مســألة :

قلت : فاذا حضرت الصلاة ، وهو لا يعلم أن عليه صــلاة ، وقال له يهودى : عليك لله صلاة فى وقتك هذا ، تقوم وتركع وتسجد ، ولــم يعبر له ما يقال فيها ، هل عليه أن فعل ؟

عندى أنه أراد أن يفعــل ما قــال الذمى والا هلك ان فات الوقت ولــم يفعــــــل ؟

قال : اذا عبر له ما يعقله ويقدر على معرفته بمعانيــه ، فلا عــذر له على ما قد قيل أن يقوم بما قد بلغ اليه من أداء تلك الصلاة الحاضرة .

قلت له : فاذا عبر له الذمى أنه يركع ويسجد ، ولم يعبر له كــم من ركعة ولا كم من سجدة ، وعقل ذلك من الذمى ، هل له أن يصلى كما حسن ذلك فى عقله ويجزيه ذلك ؟

قال : اذا لم يقدر الا على ذلك فى وقته أنه لا يلزمه غير ما يقدر عليه فى حينه علما أو فعلا على حسب ما قيل .

قلت له : فان كان يقدر على المعبرين الا أنه جهل أن يسأل عن عبارة ذلك ، وصلى كما حسن فى عقله ، هل تراه سالما أم لا يسعه جهل ذلك ؟

قال : لا يسعه جهل ذلك اذا قدر على معبريه له ، فان جهله ذلك لا يسعه عندى .

قلت له : فاذا خطر بباله أن يصلى صلاة الظهر أربعا ، أو ثلاثا ، فحسن فى عقله أنه يصلى ثلاثا هل له أن يصلى ، كما حسن فى عقله ، أم لا يسعه أن لا يصلى الا أربعا ؟

قال : لم تقم عليه حجة العلم من أى وجه بعد ذلك ، ولا يدرك ذلك الا بالاستحسان فى عقله أنه يصلى كما حسن فى عقله ، وليس له ذلك .

قلت : فان عبر له اليهودى أو الصبى أنها ثلاث ركعات ، وحسن فى عقله هو أنه يصلى ركعتين ، هل له أن يصلى كما حسن فى عقله ؟

قال : ليس له ذلك .

قلت له : فان عبر له اليهودى أو الصبى ثلاثا أو ركعتين ، وحسن فى عقله هو أن يصلى أربعا أو ثلاثا ، هل له أن يصلى كما حسن فى عقله ؟

قال : له ذلك .

قلت له : فان صلى كما عبر له الصبى أو اليهودى ، وودع ما حسن فى عقله ، وفات الوقت بعد أن صلاها ، هل تراه سالما ؟

قال : لا يسلم اذا ترك ما هو أحسن عنده ، وهو الحق ، لأن المعبر

له لم يأت بالحجة كاملة ، وشهد له بالاستحسان : فهو عندى علم ، ويجب عليه علمه ، اذا وافق الحق الذى لا يسعه تركه .

وقال : اذا خطر بباله ، وحسن فى عقله الأفضل ، كان عليه أن يعمل كما خطر بباله ، وحسن فى عقله ، واذا عبر له المعبر الأفضل كان اتباع المعبر .

قلت له : والواحد فى هذا حجة من جميع المعبرين اذا أتى بالحق ، أو لم يأت به ، الا أنه قد أتى بالأفضل منه فى جميع ما كان من شريعة الله من فعل ، أو ترك ؟

قال : انه كذلك ، انه حجة فيما عبره من الحق الذى لا يسع تركه ولا ركوبه .

قلت : فجميع ما حرم الله ركوبه اذا لم تقم عليه الحجة من المعبرين بحرمة ذلك ، ولا خطر بباله ، ولا حسن فى عقله أنه حرام ركوبه، وارتكبه على ذلك ، هل يكون سالما ؟

قال : اذا لم يقدر على علم ذلك ، ولا على المعبرين له ، ولا خطر بباله فى ذلك ما تقوم به حجته عليه ، فلا يبين لى هلاكه اذا كان فى أصل ما يدين به الديفونة بالسؤال عما يلزمه لخالقه ، والسؤال عنه من ترك ركوب محارمه ، أو وجوب لوازمه ، ولم يقع له فى هذا المعنى فرق يوجب عليه اعتقاد السؤال عنه بعينه .

مسألة :

وجدت مكتوبا : الشيخ أبو محمد — أرجو أنه ابن بركة — عن الصبى اذا لقى رجلا لا يعلم الصلاة فى وقتها فقال له ان الصلاة فريضة ؟

قال : لا يكون حجة فى الوقت ، ولا بعد الوقت .

بـــــاب

فى المنقطعين فى الجزائر وغيرهـــــا

وسألته عن الزنج بسفالة ، ومثل غيرهم من أطراف الأرض الذين لم يبلغهم من أهل الاسلام ما عليهم أن يعرفوه ؟

قال : عليهم أن يعرفوا أن للاشياء التى يرونها من الصنعة بعقولهم، أن لها خالقا ومدبرا ، وأنه ليس كمثله شىء ، ولا يشبهه شىء ، وليس لهم فى ذلك عـــــــذر .

قلت : فعليهم أن يعرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وبما جـــاء بـــــــه ؟

قال : اذا كان جائزا فى عقولهم ، وحسن وليس بقبيح أن يــكون لهذا المحدث لهذه الأشياء رسولا معبرا فعليهم أن يسألوا عن ذلك .

قال غــــيره :

عليهم أن يؤمنوا برسول خالقهم الى أهل زمانهـــم ، ويدينوا بدين رسولهم ويسألوا عنه ، وعن دينه حتى يعبدوا الله به ، على علم اذا خطر ذلك ببالهم ، وعـــــرفوا معنـــــاه .

ومن الجـــــواب :

قلت له : فهل فى السؤال عن ذلك حد ووقت يوسع لهم فيه ؟

قال : السؤال متصل بمعرفة الله من قبل هذه الحدوث المعاينـــة ، وهم يسألون ما لم يفرطوا عن السؤال ، فاذا افرطوا فلا عذر لهم .

* مسـألة :

قلت فما تقول فى رجل فى جزيرة ولا علم له بالناس ولا بالشرائع هل كلفه الله شيئا من التعبد ؟

قال : نعم كلفه الله فى حال التكليف أن يعلم أن له خالقا خلقه وصانعا صنعه ، ودبره •

قلت : وكيف يطلع على ذلك ، وما دليله عليه ؟

قال : علم ذلك يقع له من طريق العقل مـا يراه من خلق نفسه ويعلمه من خلق أرضه وسماءه ، وليله ونهاره ، واختلاف أحواله وأحوال ما يشاهده من الليل والنهار ، وما يحدث فيهمـا فذلك يدله على أن له صانعا صنعه ، ومدبر دبره ، وفعله ، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصـــير •

قلت : هل يجب عليه شيء من التكليف سوى ما ذكرت ؟

قال : نعـــم •

قلت : وما هــو ؟

قال : الكف عما قبح فى عقله •

قلت : مثل ما يكون هذا القبيح فى العقل ؟

قال : مثل قتل الحيوان ، وأكل لحومها •

قلت : ولم كان قتل الحيوان وأكل لحومها قبيحا فى العقل ؟

قال : لأن ايلام الحيوان ، وقتل ذوات الأرواح قبيح فى العقل ، ولولا أن جواز ذلك جاءت به الشريعة لما كان حسنا أن يأتى ذو روح الى

ذى روح مثله ، فيؤلمه ويقتله ويأكل لحمه ، ولـكن لاحظ للعقـول فيما استقبحت مع ورود الشرائع بالاباحة .

قلت : فما تقول فى رجل رأى رجلا يقتل ذوات الأرواح ، أو يؤلمها، هل عليه أن ينكر ذلك أم لا ؟

قال : نعم عليه انكار ذلك الفعل على فاعله .

قلت : ولم ؟ ومن أين وجب عليه انكار ذلك ؟

قال : لأن ذلك فى العقل جور ، ألا ترى أنه لو أتى آت يريد ألمـه ، أو يريد قتله أو فعل به الألم والقتل أنه كان يرى ذلك الفعل جـورا فى العقل ، والجور مأخوذ عليه من طريق العقل انكاره .

كذلك اذا رأى مثل الجور فى الحيوان مثله كان عليه أن ينكره من طريق العقل ، ولو أباح ذلك العقل لفاعله من الحيوان ، لكان قد أباح من نفسه ذلك العقل ، لأنه حيوان ، وهذا ما لا يجوز له اباحته من نفسه، وبالله التـــــوفيق .

※ مسـألة :

عن أبى الحوارى : وعن رجل فى عزلة من الأرض ، وهو من أهـل دين عيسى ابن مريم عليه السلام ولم يسمع بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلقيه أعرابى جافى ، أو عبد ، أو امرأة جافية ، فأخبروه أن محمـدا قد بعث ، هل يلزمه قبول قولهم ، ويكون حجة ، ويكون مقطوع العذر ؟

فعلى ما وصفت ، فهذا قد لقيته الحجة ، وبلغته الدعوة ، وقـد انقطع عذره ، ولزمه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والعمل بما جاء به ، ولا عذر له ، فهذا الذى نعرف من قول المسلمين .

* مســألة :

وقال أبو معاوية : فى رجل على دين عيسى ابن مريم ، فدعا رجــلا الى دين عيسى ، ولم يكن المستجيب على دين عيسى ، ولم تبلغهما دعوة النبى صـــلى الله عليه وسلم ؟

قال شعيب بن معروف : الداعى مسلم والمستجيب كافر .

وقال أبو عبيدة : الداعى مسلم والمستجيب مسلم .

والذى يقول : ان المستجيب كافر هو بالكفر أحق .

* مسألة :

عن أبى سعيد : وسألته عن صبى بلغ الحلم فلم يخطر بباله أن لله رسولا ، ولا سمع به متقدما ، ولا بعد بلوغه ، ما يلزمه من علم الرسول ؟

قال : معى أنه قد قيل ان علم الرسول باسمه لا يستدل عليه من حجة السمع ، أو ما يقوم مقامه من كتاب منظور مكتوب فيه الاســم ، وأشباه هذا لا يستدل على علمه باسمه وعينه من حجة العقول .

قيل : فان خطر بباله قبل بلوغ الحجة بالسمع بما ينقطع به عذره ، وتقوم له به الحجة أن لخالقه رسولا الى خلقه دليلا على طاعته ومعصيته ليقطع عذر من عصاه فحسن ذلك فى عقله ، فعليه اعتقاد الســؤال عن رسول خالقه ، هذا للاستدلال على علم ما يجب عليه من علم دين خالقه ، فى شريعة دين رسوله هذا الى خلقه .

قلت له : فان خطر بباله أن لخالقه رسولا ، أو ليس له رســول ، ولم يحسن فى عقله أن له رسولا ، هل ينحط عنه اعتقاد الرسول عن ذلك ، ولا يلزمه معرفة الرسول حتى يحسن فى عقله ؟

قال : معي اذا عقل الحسن من القبيح ، من ذلك بثبوت معانيه عنده واراد به لم يسعه ذلك عندي ، لأن حجة العقل انمـا هي البـلوغ الى الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، واذا استدل على هذا وبلغ اليه علمه ، لم يكن له مخالفة ذلك عندي ، ولو كان هذا يجوز لجاز في الخالق في أمر توحيده تبارك وتعالى ، ولم يكن العقل الحجة ، ولا به حجة ، وليس له أن يجعل الحسن قبيحا ، ولا القبيح حسنا بجهله عنـدي اذا جاء من طريق الحسن ، ومن طريق القبيح •

كما ليس له أن يجهل الحق اذا بلغه بالسمع ، ولا بالنظـر ، لأن تأدية الخاطر الى العقل ، كتأدية السمع والبصر عندي اذا وضـح له دليل أدى اليه الخاطر مما يكون حجة من بيـان الحسن من القبيح ، والخير من الشر •

كملت أبواب الكتاب

وهذا منقطع • الأول وجدته آخـر الكتاب وكتبته كما وجـدت في الكتـاب •

بـــــاب

مما يوجد فى بعض الآثار فى الرد على الزنادقة

وكذلك الأخبار ، وأدركوا كلها حديثة زائلة ، وكذلك ما غاب منهـا فقد قضت الأشــياء كلها على أنفسنا بالحدث والزوال .

ولا بد أن يمكن حكمها على أنفسها ، ويجعل ما غاب منها مثل الذى شهد أن بعضا من بعض .

وكذلك العلم بالأشياء بائن أنه نزل بها من الحدث والزوال ، لأن سبب العلم انما هو شخص بصر فعلم ، وصوت يسمع فعلم ، وريح اشتمت فعلمت ، وطعم دنو فلم ... لمس ، ثم نسى المعلوم وغفـل ، ويذهب العلم به ، فقد أبطل لبس الأشياء على نفسها قيام الحجة بحدثها وزوالها وقضـــائها يدل عليها .

فقول المكذبين بالله ، الزاعمين أن الأشياء كلها حين لم يجدوا بـدا من أن يقروا أن ما أدركنا حديث رأيك وأن ما عاب منـه ، مثـل الذى أدركنا ، ولو قال غيره ذلك ، كان أشـد سـار به عليهـم ، ويدخـلون الموحدين من التسليم لله ولرسوله .

وذلك أنهم يقولون لا نقول الا ما نعرف مثله فيما نماين ونعقل ، فلو زعموا أن ما وصفنا مما أدركنا قديم ليس بحديث ، كانوا قد قالوا غير ما يعرفون ، ويعلمون ، وكان ذلك مدعين متحـيرين فيه من غـيرهم لأنهم كانوا نطفا فى أصلاب الرجال استودعوا أرحام النساء .

* مسألة :

من منزلة الى منزلة ، حتى خرجوا من بطون أمهاتهم ، لا يعلمون ولا ينطقون ، فلم يزالوا كذلك فى بطون أمهاتهم ، فان عجزوا عن ذلك عند تكامل خلقهم ، قل لهم : جوارح المدبرون خلقهم ...

فان زعموا ذلك فليدبروا فى خلقهم هم وأبدانهم عند تكامل ذلك منهم أقوى منهم فى بطون أمهاتهم .

فان عجزوا عن ذلك عند تكامل خلقهم ، وهم قبل ذلك أعجزوهم عن أن يتكونوا أعجز منهم بعد ذلك ، اذا كانوا فلم يطيقوا ، يزدادون ولو كانوا هم الذين يكونون ذلك من أنفسهم ما فضل بعضهم بعضا ، وليلكف القبيح أن يكون حسنا ، وما قصر أحد منهم بنفسه من أفضل المنازل ، هيهات أن يقدروا على ذلك .

وليخبرونا ما الذى غير أجسادهم ، وما الذى أدخل عليهم الأمراض والأسقام وهم لها كارهون ، أفلا يمتنعون من أن يقطع أوصالهم عجزوا .

والله عن ذلك الملوك بسلطانهم ، والعلماء بعلمهم ، وأهل الصناعات بصناعاتهم ، وأهل الحيل بحيلهم ، أن يريدوا فى أنفسهم ، أو يصلوا ما انقطع من أوصالهم ، وأن يدفعوا ما ابتلاهم الله به من الأمراض والأسقام ، ولا يحتسب أحد له .

فقل : ألا يعرف أن له مدبرا فقد زعم أهل التكذيب أن الأشياء تزيد بعضها بعضا ، وكيف احتملت عقولهم ذلك ، وكيف زعموا أن بعضا يزيد بعضا ، مع زعمهم أن بعضا من بعض ، وأنها جميعا لم تزل .

والذى لم يزل كيف يكون مدبرا ما لم يزل المدبر لغيره مما لـم يزل ، جعل بعض الشيء أولا بتدبير بعض نفسه من يقدر ، وليس المدبر للشيء أفضل من المدبر ، لأن المدبر لو لم يدبر كان المدبر لم يزل ، وانما كـــان بالتدبير محـــــدثا •

وليخبرنا عن المدبر نفسه ، أليس هو جزءا من التدبير •

فان زعموا أنه جزء منه ؟

قيل لهم : أخبرونا عمن دبر المدبر الذى هو من المدبر ، ومـا نال شيء واحد بعضه مدبر وبعضه غير مدبر وكيف لا يستقيم بعضـه آلا يتدبر واستقام بعضه بغير تدبر ، وهو شيء واحد بعضـه قبل بعض ، وما أدخل الفناء عليه وهو له كاره •

وان كان هو الذى يدبر بعضه بعضا ، فلمـا يهلك نفســه ، وما اضطره الى أن يفعل ذلك ، وان كان غيره قهره حتى أهلكه أقوى منـه ، فليس من جـــــوهره •

بلى قد بدا لنا ما قلتم على أن كلاهما ما يروى من أين أنـكرتم أن تكون الأشياء ••••• مـدبر لأشــباهها اذا احتاجت الأشـياء الى التدبير ، وعجزت عن أنفسها ، واستقر فى القول أن كل ما أدرك محدث مدبر أكل الغائب لا يكون الا بالذى كان به الشاهد المدرك •

لأن بعض الشيء من بعض فى زعمهم ، وقد يدل ما قد احتججنـا به على المكذبين على أن يقول المشبهون أنفسهم لمله بالحـدث المخلوق فاسد ، لأن التشبيه بالشيء كما أشبهه ، فان لم يكن مثله ، فالذى اشتبه فلا يشبهه ، فان كان مثله بأنه ما يأت شبهه من الحـدث والزوال والتدبير والعجز من أن منزلة الخلق كلهم منزلة ضعيفة •

ونحن نسأل المشبهين فنقل : ألستم تزعمون أن ربكم يشبه الخلق فى وجه من الوجوه ، فذلك هو الحق ، وهو ترك قولهم •

وان دعموا أنه يشبهه فى وجه ؟

قيل لهم : فأخبرونا عن الوجه الذى يشبهه فيه ، أليس لا يفضله فيه ، فان كان زعموا أنه لا يفضله فلا يكون شبه ، لأن الشبيه الشىء فى الوجه الذى أشبهه فيه مثله هــــو •

وان زعموا أنه يفضل ذلك الشىء أشبه ، لأنه لا يشبهه فى أشياء كثـــــيرة ؟

قيل لهم : انا لا نسألكم عما فضله فيه ، انما نسألكم عن الوجـــه الذى فيه مثله ، هل يفضله فى ذلك الوجه بعينه •

فان زعموا أنه لا يفضل الخلق فى وجه من الوجوه ، فتبـــارك الله عما قالوا مما وصفوا به علوا كبيرا •

وكفى بهذا حجة وفسادا لقولهم اذا زعموا أن ربهم لا يفضل خلقه فى وجه من الوجوه ، فما قصر به من أن يفضـــل الخلق فى الوجه الذى زعموا أنه يفضل الخلق فيها •

ولا بد اذا قضت الأشياء على أنفسها بالحدث والزوال أنها تـــكون محدثة لا يشبهها ليس من نسختها ولا من أصلها ، لأن الحدث فى القديم لا يكون من أصل واحد ، لأن أصل القديم وشبه الى البقـــاء والقـــوة والدوام •

وأصل الحديث ونسبه الضعيف والزوال ، فقد تبين أن الحديث لم يحدث نفسه لما رأينا من عجزه ولأنه لا يقدر من لم يكن شيئا أن يتكون، وهذا أيضا فى القول محال ، لأن ما لم يكن شيئا لا يتكون فكيف يجوز

أن يقول : ان لم يكن كون نفسه ، لأن التكوين لا يكون الا بقوة ، وكيف يصف ما ليس بشيء بالقـــوة .

ولو كان كما قال المكذبون ان زعم أهل الدهـــر أن الأشـــياء كلها واحد من واحد ، لأنهم زعموا أنه قد كان فى بدء الأمر حبة ، فانقلبت عن جميع ما فى الدنيا ، وكذلك زعموا أنها واحدة لم تزل .

وقالت الزنادقة : الأشياء كلها اثنـــان ، ومن اثنين ، وذلك أنهـــم زعموا أن النور والظلمة لم يزالا ، وأن كل ما فى الدنيا منهما يدبر نفسه صـــــاحبه .

وزعم بعضهم أن النور هو الذى يلى التدبير دون الظلمة .

وقال المرمانيون : ان الأشياء كلها ثلاثة ، ومن ثلاثة ، وذلك أنهـــم زعموا أن النور لم يزل فى العلو وسموه الله ، والظلمة لم تزل فى أسفل ، وسموها الشيطان ، وخلطا من ذلك بخير وشر فى الوسط .

وقال الكتابيون : الأصحاب أربعة ، الأشياء انما هى : حر ، وبرد ، ويابس ، وندوة ، وان ذلك لـــم يزل .

وقال الذين يسمون الفيلسوفيين كما قال أصـــحاب الأربعة ، الا أنهم ادعوا خامسا أنه العلم وأنه المدبر لهذه الأربعة .

وقال أصحاب الأربعة ، والاثنا عشر عبدة النجـــوم أنها بلا تدبير العالم كله ، فهذا قول جميع أهل التكذيب ، وزعمـــوا أن الأشـــياء كلها فانيـــــة منتقـــــلة .

فيقال لهم جميعا : أخبرونا عن قولكم وادعائكم فيما وصفتم ممـــا مما ذكرنا ، فمـــا حجتكم فيـــه ، ومن أين أطلقـــتم عـــلى أن القـــول ما قلـــتم ، ومن أين العـــلم أن بعضـــكم مـــع اختـــلافكم صـــادق

وبعضكم كاذب ، وما بيناتكم على ذلك ، وما قصد قولكم على من ادعى خـــلاف ما قلتم •

ويقال للذين زعموا ان الأشياء كلها واحد ، من واحد ، وحد ما نرى من الأشياء كلها مع تفاوتها واختلافها وتصرف أحوالها ، وتفرق ألوانها وأجسادها ، وطعمها وريحها ، فمنها ما يسمع ، منها ما لا يســمع ، ومنها ما يبصر ، ومنها ما لا يبصر ، ومنها ما يعقل ، ومنها ما لا يعقل •

كيف احتملت عقولهم أن يجعلوا ذلك واحدا ، فكيف اختلفت هذه الجواهر ، ومال بعضها بضعيف وبعضها بقوى •

وأخبرونا أن ما نرى من الأشياء ، هو ذلك الواحد بعينه •

فان زعموا أشياء منها ، وزعموا أنه هو الذى انقلعت عنه الأشياء ، فما علمهم بذلك ، وما حجتهم على أنه ذلك دون غيره •

وليخبرونا ما غيره من حاله ، وما فرقه بعد اجتماعه ، وما أفنـاه بعد قيامه ، أهو الذى ولى ذلك من نفسه ، فما أراد بذلك أرجى منفعة ، أو دفع مضرة ، فما أصل تلك المنفعة من أين حال اذ زعموا أن الأشياء كلها ، انما هى واحد من واحد ، واذا كانت المنفعة شيئا أحدثه من غير أصل ، فقد نقضـــوا قولهـــم •

وان زعموا •••• المنفعة ، وهى فيه ، ومنه ، وان قالوا : دفـع مضرة فما تلك التى أراد دفعهـا من نفســه ، وهى شىء غيره يخـاف وهـــو جميـــع الأشـــياء •

ويقال : أخبرونا عمن انتقل نفسه ، أفليس هو محـدث ما أصـل النقلة ، وما جوهرها •••• أمر القديم ، وفيه لم يزل منتقلا ، وهذا خلاف ما وصـــفوا •

وان زعموا أن ما ••••• لقد دخلوا فيما عابوا على المقرين بالله ، القائلين : ان الله تعالى خلق الأشياء •••• الوجوه •

ويقال لأصحاب الاثنين : من الذى قيل لأصحاب الواحد ••••• لهم أيضا أخبرونا عن الأخلاط والامتزاج ، أشىء هذا أم غير شىء ؟

فان زعموا أنه •••••• وصفوا النور والظلمة مختلطا ، والاختلاط والامتزاج ليس شىء فيهما ، اذ على حالهما الأول ، لأن الاختلاط فى زعمهم لم يميرها حيث زعموا أنه ليس شىء ؟

فان زعموا أن شىء قيل لهم : أخبرونا : أشىء محدث أم شىء قديم ؟

فان زعموا أنه شىء محدث قيل لهم : فما أصله ، ومن أى الجوهرين ومن الذى أحدثه ، فان قالوا : هما أحدثاه من غير أصل فلم تنقموا على أهل التوحيد •

وقولهم : ان الله خلق الخلق من غير شىء فقد دخلوا فيما عابوا عليهم •

وان قالوا : ان الاختلاط من الجوهرين ، ولم يزالا مختلطين ، ففى هذا فساد لقولهم •

ويقال لهم : ألا تخبرونا أمصطلحين كانا أم متباعدين ؟

فان زعموا أنهما كانا مصطلحين ففى الظلمة من الخير •

وان زعموا أنهما كانا متباعدين ففى ظلمة شىء من الشر •

وليخبرونا عن الأمراض والأوجاع الى من تصل ؟ الى النور أو الى الظلمة ، وممن هى ؟

فان زعموا أنها تصل الى الظلمة ، وأن ذلك من النور ، فان النور اذا ذهب ويكون من الأذى والشر .

وان زعموا أن ذلك يصل الى النور ، وأن الظلمة هى التى تلى فعل ذلك بالنـــــــور ، فقد أدخلت عليه المكروه والضر ، فما منعه أن يمتنع من الأذى ، وأنتم تصفونه بالقـــــوة .

ويقال لهم : أخبرونا عمن دخل فيه النـــور ، وما كـــان فيـــه قبل الاختلاط خير له ، أم صار اليه ؟

فان زعموا أن الاختلاط خير له فما أصل ذلك الخير ، ومن أين جاء فقد اكتسب خيرا لم يكن فيه ، فكما كان النور أصاب من الفضل أفضل فهو قبل النــــــور أنقص .

وان زعموا أن الذين دخل فيه بمنزلة من حاله الأول ؟

قيل لهم : أفطائع فى ذلك أم كاره ؟

فان كان دخل فيما هو بمنزلته وهو طائع ، فهو أحمق قبيح الحمق فيه ، ومن أين جاز لكم أن تشرفوا الضعيف المغلوب المقهور ، وتعتقدونه دون الغالب القاهر ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله .

ويقال لهم خبرونا ليس الظلمة جاهلة ، ولا تعقل ، والنور عـــالم لا يجهل شيئا منه قليله ولا كثيره .

فان زعموا كذلك قيل لهم أخبرونا ليس كل دين فى الدنيا من مزاج خير وشر ، وظلمة ونور .

فاذا قالوا : نعم . قلت : ألسنا نحن كما وصفتم فينا من النـــور ما نعقل به ، ونسمع به ، ونبصر به ، ولولا فينا منه لم نسمع ، ولم نبصر ، ولم نعقـــــــــــل .

فاذا قالوا : بلى قلنا لهم : فأخبرونا عما فينا من النور : هل يعرف نفسه ، ويعلم نفسه ، ويعلم أن الأمور على ما وصفتموه •

فان قالوا : نعم قلنا : فنحن اذن عندكم نعلم أن ما تقولون هو الحق ، وكفى بعلمنا عندنا شاهداً لنا عليكم ، انا نعلم أنكم مبطلون •

قال : جعل ذلك فينا من النور كله واحد غير مجز ، فينا منه مبطل بالذى فيكم ، والذى فى السماء فما يقال بعض النور يعلم ، وبعضــه يجهل ، وهو شىء واحد ، وهو أنقص ما وصفتم ، اذ النور خير لا شر فيه وعـــلم لا جهل فيــــه •

أخبرونا عنهما ، أليس كانا فيه قبل الاختلاط ، كل واحد منهمـا فى مــكان عــلى حـــدة •

فان زعموا أنهما كانا كذلك ؟

قيل لهم : فان المكان غيرهما ، والأشياء لله ، لأن مكان واحد منهما غير صاحبه ، والا فهما مختلطان ان لم يكن كل واحـــد منهما فى غــير مكان صـــاحبه •

ويقال للمرقياسين مثل الذين قيل لمن قبلهم فيما ادعوا ، ويسألون بتلك المسائل • ثم يقال لهم : فأخبرونا عن الشيخين الشائبين ، أهما من الشيخين المختلطين ؟

فان زعموا أنهما من المختلطين ، فان المختلطين هما من الساسين ، والأشياء اثنان ، ومن اثنين وهــو قول المباينة فيسألون عما سئل عنــه المبـــــاينة •

وان زعموا أنهما ليسا من الشيخين المسابين ، والأشياء اذن أربعة

كما قال الكتابيون ، وقولهم هاهنا ساقط ضعيف ان قالوا بقول أصحاب الاثنين ، دخلوا عليهم ما يدخل على أصحاب الاثنين .

وان قالوا كما قال أصحاب الأربعة دخل كما يدخل على أصحاب الأربعة .

ويقال للكتابيين الزاعمين : ان الأشياء أربعة ، ومن أربعة : الأرض ، والماء والنار والريح .

قيل لهم : ما علمكم أن هذه الأربعة التى وصفتم لم تزل ، وأن الأشياء انما اجتمعت من هذه الأربعة ، وهو من أى شيء استدللتم على أنها كذلك ومن أخبركم بذلك .

فان أضافوا ذلك الى مخبر ، فهل رأى ذلك المخبر على أن أدرك منهما مثل ما أدركتم ، ومن أين فضلكم ذلك المخبر بالعلم بهما ، وأنتم وهو سواء سبيله الذى كان به سبيلكم واحد ، وكذلك سبيلنا فلم جهلتم ما علم ؟

فان زعموا أن ذلك انما كان اذ هو أقدم منهم ، قيل : وهذا أنقض ما وصفتم أن الأشياء — لعله — أنها لم تزل ، فأين كنتم أنتم اذ سبقكم هذا المخبر ، ومن أحدثكم بعد اذ لم تكونوا ، ومن أخبر ذلك المخبر لكم ومن أين زعمتم أن هذه الأربعة منها ، كانت الأشياء وهى لم تكن من الأشياء .

وكيف كانت الأشياء منها ، ومن ألفها ، ومن خلطها ، ومن فرق بين صورها ، فجعل أشياء يعقلون وينطقون ويأكلون ويشربون ، ويمرضون ويموتون ويحزنون ويفرحون ، وجعل بعضها بهائم لا تعقل ولا تنطق ، وهى تأكل وتشرب ، وتمرض وتموت .

وجعل لبنى آدم حولا ذللا ، وفضل بنى آدم فى أعمارهم وأرزاقهم، وقوتهم ، فمنعهم الملك العزيز ، القاهر لغيره .

ومنهم الحول الذليل الذى لا يقدر على الامتناع .

ومنهم على غير هذه الصفة .

ومنهم من خلق على خلق الحيوان ، كله ضروب مختلفة من دبر ذلك وأن هذه الأربعة ولى التدبير ، ومن أنها كانت حياة الحى ، ونور سر ، وظلمة المظلم ، وموت الميت .

فبينوا ذلك لنا ، وأتونا على ذلك بالحجة ، ولعمرى أن الحجج عليهم كثيرة ، غير أنا لا نقدر أن نجمع جميع الحجج عليكم ، وفى هذا كفاية لمن عقل وأبصر .

ويقال للفيلسون الذين زعموا أن الأربعة كما قال الكتابيون ، وزعموا أن معها علم لم يزل ، وهو الذى يلى التدبير دون الأربعة .

أخبرونا ما علمكم بالذى ذكرتم أنه على ما وصفتم ، ومن أين علمتم ذلك .

وأخبرونا عن العلم والأربعة التى زعمتم أنها تقدر على ذلك .

فان قالوا كما قال أهل التوحيد أن الأشياء خلقت من غير شىء ، وأنكروا الشىء .... من غير أصل .

وان قالوا لا تقدر على .... فقد قالوا كما قال أهل التوحيد : أن الأشياء خلقت من غير شىء والعلم .... قبيح العجز عنه ، فانما قدر الضعيف على خلق الخلق وتدبيره ، ولولا غيره لم يقو بهذا ، فان كان الشىء انما قوى بغيره ، فانما القوة من قبل الذى استعان به .

فذلك أقوى منه لولا ذلك لم يقدر على شيء فما بال الذى هو أقوى منه يلى التدبير لنفسه دون غيره .

وليخبرونا عن العلم ، هل يسمع أو يبصر ، ويذوق أو يشم أو لا يصنع شيئا من ذلك ، فانما هذه الأشياء تدل العلم ويهتدى بها .

فان زعموا أنه يسمع ويبصر وينطق ويلمس .

قيل فما بال من كان العلم فى قلبه ، وهو أعمى لا يبصر ، وما بال رجل يكون عالما وهو أصم لا يسمع ، فيكون عالما ، وهو أخرس ، وان زعموا أنه لا يبصر ، ولا يسمع ، ولا ينطق ، ولا يلمس ، فكيف يقدر من كانت هذه صفته على أن يخلق الخلق .

وان زعموا أن هذه الأشياء ليست من العلم ولا بد أن تكون من غيره ، فالذى يسمع ويبصر ، وينطق ويذوق ، ويجد الريح ، ويلمس أفضل ، وأقوى فأحق بالعبادة ، فسبحان الله كيف يؤفك الجاهلون .

ثم يقال لعبدة الأوثان النجوم السبعة والاثنى عشر الزاعمين بأن الشمس والقمر ، والخمسة الأنجم السبعة والاثنى عشر ملائكة ، وزعموا أن السبعة تلى التدبير العلم كلـــه .

فيقال لهم : ما علمكم بذلك ، ومن أين استدللتم على ما تدعون ائتونا عليه ببرهـــان .

ثم يقال لهم : أخبرونا عن هذه السبعة التى سموها الفعه — لعله الفعلة — هل فيهـا تفاضل ؟

فان زعموا أنها متفاضلة ، قيل لهم فما قصر بالمنقوص منها أن يبلغ ما فصله من النور والعظم ، فهو اذا قصر عن ذلك للفضل ضعيف

منقوص عاجز ، فلم تعبدون الضعيف المنقوص العاجز ؛ وأنتم تجدون من هو أقوى منسه ، فأخبرونا عن أفضلهما أليس انمــا فضلهما لعظمه وكبر حاله .

فاذا قالوا : بلى . قلنا أفليس اذا كان أكبر مما هــو وأكثر نورا ، وكان أفضل .

فان قالوا : بلى . قلنا : هو اذن مقصر به أيضا ضعيف لــم يبــلغ المنزلة التى ليست خيرا له لو ضعف أفضل منها ؛ وحتى يقال : لو كان ما هو كان أفضل له وأشرف .

فان زعموا أنه ليس ذلك بأفضل له أن يكون أكبر مما هو ؛ وأكثر نورا فلم فضله على من هو دونه وكبره ما هو دونه وكثرة نوره .

فان قــالوا : ليس بفضل هذه الأربعــة بعضا لــما تفضلت به من الــكبر والنــــور .

قيل لهم : فليس هذه آلهة ، كذلك لا يفضل نجوم الســماء ، لأن الفضل ليس فى العظم وكثرة النور ، فأصغرهم نجم فى الســماء بمنزلة الشمس والقمر ، لا فضل لهما عليه ، وان كان ذلك كذلك فكيف أفــردوا هذه بالعبادة دون غيرها بما لا فضل لها عليه ، فالحمد لله الذى منّ علينا بمعرفته ومعرفة دينه وأنبيائه ورزقنا أن نقول فى هذا كله بالعدل والحق، ولا قـــوة الا باللــــه .

وسنذكر من صفة الله بعض ما وصف به نفسه من الحق الذى به زهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا ، ومن قبل ذلك منا ووافقنا عليــه قبلنا ذلك منه ، ومن خالفنا فيه ، فالله آخذ بناصيته حتى يفىء الى أمر اللــه ، ويراجــع طاعة الله .

ان الله تعالى لم يزل دائما من غير أن يكون ولا يزال باقيا ظاهرا قديما ، فردا صمدا ، وقد سمعنا فى قوله الصمد .

على حين قال غيره : ينبغى أن يكون على معنيين : بلغنا أن الصمد هو السيد ، وأن العرب تسمى الصمد السيد والوجه الآخر الذى يصمد اليه الخلائق فى حوائجهم ، فمن وضع ذلك على شبه شىء من الخلق ، فهو لا يعرف الله ، فهو الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد •

فتبارك الله ولم يكن له شريك فى الخلق ، وانما يكون اذا كانت من كل منهما معونة لقوة ، وبمسدة ، ويعلمه غير أنه الخلق كله من غير أن يستشير فيه أحدا ، ولا يأمره فيه ، وانما يستشير من لم يدرك فى الصنع علمه ، وعجزت عنها •

وكيف يحتاج تبارك وتعالى الى ذلك ، وهو العالم الذى لا مثل له، ولا كفو له ، ولو كان له شبه أو عدل لم يكن واحدا ، وانما يكون الواحد واحدا اذا لم يشتبه بتشبه ، فالشىء شبه ، فاذا شبه الى شبه صار اثنين : المنصوب والذى نسب اليه •

فالله هو الواحد الفرد الذى ليس له شبه فى وجه من الوجوه ، فينبغى لمن عرف الله أن لا يخطر قلبه على شىء مما عرف الخالق ، لعله يعرف به غير الخالق الا نفاه عن الله ، وعلم أنه ليس كما خلق ، ومن عرف الخالق فقد عرف المخلوق ، ومن عرف الرب فقد عرف المربوب ، ومن عرف العالم فقد عرف المعلوم ، ومن عرف الأشياء عرفها منصوبة لا من شىء ، فدل أنها خلقت من غير شىء ، انما يصير الى غير شىء يعتبر من أنكر ذلك ، أن النار تطفى فلا يكون شيئا ، لأنها خلقت من غير شىء •

وليس خلقها من غير شىء بأعجب من رجوعها الى غير شىء •

وقد رأينا الأعمى بصيرا ، والبصير أعمى ، وقد يحق على من عرفه الخالق ، أن ما نزل بالمخلوق أو حوى فيه ، فانه لا ينزل بالخالق ، ولا يجرى فيه ، لأنه لو جرى فيه ، ونزل به ما نزل بالمخلوق ، كان مثله

المخلوق ، ومن أشبه الخلق لم يملك الخلق ، ولا يقدر على أن يخلق ، كما أن الخلق الذى يشبه بعضه بعضا لا يقدر أن يخلق شيئا من الذى يشبهه .

وكما وصفنا الله تعالى أنه لا يشبه الخلق ، وكذلك نصفه أنه لا يفعل ما يفعل الخلق ، لأن فعل الخلق انما يكون منه بحركة ، ومؤنة ونصب وعلاج ، والله تبارك وتعالى خلق الأشياء بلا مؤنة ، ولا علاج (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول كن فيكون) .

وكذلك قوله : كن انما يكون فى الوقت الذى علم الله أنه يكون بغير علاج ولا حركة ، وقد كان مما دل على الأشياء مخلوقة مركوبة ، ما حوى عليها من الذل والعبودية ، والزيادة والنقصان ، والحدث والزوال ، والفناء وخلق بعضها بعد بعض ، وفناؤها بعد أن كانت لا تمتنع من ذلك ، ولا تطمع فيه ، وبما جرى عليها من الحدود التى دخلت عليها من العرض والطول ، والأعلى والأسفل ، والقريب والبعيد ، والهيئة والحركة ، والمنتهى والغاية .

كل ذلك دليل على أنها مملوكة ولا قوم لها الا بمليكها ومدبرها ، الله تبارك وتعالى ليس كمثله شىء من ذلك تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

وقد رد علينا القوم جميع المسألة فقال : أخبرونا اذا خالفتمونا ، وزعمتم أن الأشياء التى ادعيتم كلها محدثة زائلة وما أشبهها من أحداثها — لعله من أحدثها .

قلنا له : الله الواحد الذى أدركتم ، لا اشبهها .

قال : فأخبرونا عن الله أهوى على ما يتوهمون من الأشياء التى أدركتم ، وعلى ما عقدتم فيها أم على غير ذلك .

قلنا : بل هو على غير ما يتوهم الخلق ، ويعقل ويعقلون من الخلق

المدرك من الخلق المدلول المحدد ، لأن ما أدركنا وتوهمنا ، وعقلنا انمـا هو موصوف بسمع ولون وبصر ، وطعم يذاق ، وريح يشم ، وحد جسد يلمس •

والله تبارك وتعالى ليس بصوت تسـمعه الآذان ، ولا لون تدركه وتراه الأبصار ، وتحيط به ولا طعم فتذوقه الألسن ، ولا ريح تشـمه الأنف ، ولا جسد تلمسه الأيدى والجوارح ، انقطع العلم بالله من هذه السـبيل ، ولا يقدر عليه بها ، انما يعرف بهذه السـبيل الخلق ، فأمـا الخالق ، فانما يعرف أنه خلق وصنع ، ودبر أمورهم •

وانما قدر على علم الخلق بهذه السبيل ، لأنهم لا يقدرون أن يكونوا الا جسدا يلمس ، أو ألوان تبصر أو أصوات تسمع ، أو ريح تشم ، أو طعم يذاق ، وكل هذه الأشياء التى وصفنا وأدركنا دليل عـلى الله أنه ليس كشىء منهـا •

قالوا : فأخبرونا اذا قلتم : انه ليس كالأشياء ، أفليس هو خلاف الأشـــياء ؟

قلنا : بلى •

قالوا : فأخبرونا عن لا شىء هو أيضا خلاف الأشياء ؟

قلنـا : بلى •

قالوا : فهو اذن كلا شىء ، لعله معناه لا شىء ؟

قلنا : لا ولكنا ننفى عنه أن يكون كالأشياء ، كما نفى عنه أن يكون يشبه الأشياء ، لأن لا شىء هو العدم ، وهو ما ليس ، فنحن ننفى عن الله بذلك ، ونقول انه كلا شىء •

ولعمرى ان كان فيما وصفنا لهم بدليل على ما سألونا عنه ، حيث أخبرونا هم أنه الخالق ، نفى عنه أنه لا خلاف لا شىء ، لا شىء عـدم لا يوصف ، وانما قيل لا شىء ليعرف أنه ليس شيئا ليتبين ويعرف الشىء الكائن ، مما ليس بشىء ، ولا يكون ما ليس بشىء خلافا ولا صانعا •

ولكنا نصف الله تبارك وتعالى بأنه الأول الأحد ، الذى لم يزل ولا يزال العليم الذى بدأ الخلق على غير مثال مثل به ؛ ولم يكن علمه بصنعة الخلق التجارب ، وهو الذى لا يعجزه شىء طلبه ، ولا يمتنع منه شىء أراده ، وانما معنى قولنا أول وآخر أنه ليس له مثل قبل أن يخلق الأشياء ، ولا اذ خلق الأشياء ، ولا مثل له منها ، وهو السميع العليم البصير القوى •

قال القوم : أخبرونا عما وصفتموه به من العلم والسمع والبصر ، والقوة والعزة ، وشبه ذلك مما تقولون به أنه من صفته فيما لم يزل ، أهو نفسه وعلمه وبصره وقوته ، أو ذلك شىء غيره لم يزل معه •

قلنا لهم : افهموا ما نجيبكم ، ولا تحملوا قولنا على غير مواضعه أنا وصفناه بما يستقيم ، ووصف بذلك نفسه لنقله الخلق ، العليم السميع ، البصير القوى ، العزيز ، وليس أنا وصفنا علما وسمعا وبصراء وقوة وعزة وارادة ، نقول هذه الأشياء غيره ، فلا يعقلون من أنفسكم ، لأن علمكم من صفات اليكم •

وكذلك قولكم وأسماعكم وارادتكم لكل شىء من ذلك موضعا ، ومنعا غير ذلك ما سواه ، والله تعالى ليس كذلك ، انما قولنا له قوة ، وما أشبه ذلك ، ولا يجوز أن نقول الله علم ، ولا سمع ، ولا بصر ، ولا قوة ولا ارادة فيما عبنا على المكذبين •

انما قلنا : ان كل ما يعقل ما يدرك من الأشياء من الله ، ونوى دليل على أنا لا نقول انه علما ولا سمعا ولا بصرا ، لأن ذلك كله خلق مخلوق يدخله النقص والذل ، ومن زعم أنه كذلك كان قد جعل لله شبها ، لأنه اذ زعم أنه علم فليس من العلم علم مخلوق ، وعلم ليس بمخلوق •

وكذلك البصر بصر المخلوق ، وبصر ليس بمخلوق ، وكذلك القوة ،

وكلما وصفنا من العلم والسمع والبصر للوهم ، وليس منه شيء الا وقد يجوز عليه أن يقول لو كان أكثر مما هو كان أفضل له ، وليس علم الا وقد يحتمل أن يقول : لو كان أكثر مما هو عليه لكان أكبر له وأتم له •

وكذلك السمع لو كان ضعف له مما هو عليه ، كان أضعف له مما هو عليه كان أتم لــه •

وكذلك البصر لو كان أضعف مما هو عليه كان أبصر له ، وكذلك القوة لو أضعفت عما هي كان أقوى لها وأشد ، وجميع هذه الصفات كذلك ، وكل شيء يحمل الزيادة والنقصان فنحن ننفيه عن الله ربنا وســيدنا ، تبارك وتعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا •

الخالق البارىء المصور ، المحب المبغض ، المعادي له الأسماء الحسنى وهو العــــزيز الحكيم •

قالوا : فأخبرونا عن صفتكم أنه الخالق الفاعل ، المحب المبغض هي أعضاء أيضا على ما وصفتموه من قبل هذا من قولكم : انه سمع وبصر وقوة ؟

قلنا : ليس هذا عندنا ، والأول ســواء على وجه ما وصــفناه من العلم ، والعلم بالأشياء القدرة عليها بلا بصر ، والسمع للأصوات منها ، فانما خصصنا الأصوات من الأشياء ، لأن كلام العرب لا يجوز أن يقول سمع ما ليس بصوت ، وقد يجوز من كلامهم أن ينظر ويعــلم ويرى ، ويقدر عليه ، كان أو غير قــــادر •

فهو ما يجوز أن يقول : لم يزل من صفة الله ، وانما المعنى فيما لم يزل عالما سميعا بصيرا قويا مديدا ، لا يعني أن ذلك مضاف اليه ، أو غيره •

وقلنا لهم : انما وصفنا الله بهذه الصفات أنا ان قلنا انه يصــنع

ما لم يكن يعلم وصفناه جاهلا ، وكذلك الذى يكون مما لا يبصر ، فهو أعمى ، والذى يكون ما لا يريد أن يكون فهو عاجز ، والذى يكون ما لا يسمع أصم ، الله تبارك وتعالى عز وجل عن ذلك أن يكون ضعيفا نراه •

فان قالوا : لم لا يجوز أن يقولوا له علم لم يزل ، وسمع لم يزل وبصر لم يزل وقوة لم تزل ، وارادة لم تزل ، وذلك كله غيره •

قلنا : لا يجوز ذلك لنا لو قلنا ذلك أن الذى لم يزل معه أشياء مختلفة بعضها غير بعض ، أفلا تعلم أن الذى لم يزل معه أشياء مختلفة ليس هو لها سابقا ، ولا غاية له عنها ، ولا قوة له الا بها أن ذلك هو الاله دونها ، وهو محتاج الى غيره منها ، فمن كانت هذه صفته ، فهو منقوص ضعيف محتاج ، والله ليس كذلك •

قالوا : فلم لا يقولون ان علمه بالشيء حين يكون ، وبصره بالشيء حين يكون ، وسمعه له حين يكون ، وقوته عيه من لو يكون ، وارادته له حين يكون •

قلنا : لأنا اذا قلنا ان علمه به حين يكون ، ولا بعد أن يكون العالم به محدثا •

وان زعموا أن العلم به محدث لم يجد بدا أن يقول ان ذلك المحدث فعل من فعله •

وكذلك القوة والسمع والبصر والارادة فهو لولا ذلك العلم الذى خلق ، كان جاهلا ، ولولا تلك القوة كان عاجزا ، وكذلك من كان انما يكتسب العلم والقوة اكتسابا ، فهو اذا اكتسب أقل منه قبل أن يكون نسبه فهذه صفة الضعيف المنقوص ، والله تبارك وتعالى ليس كذلك •

ان هذا القول أيضا ممن قاله فاسد منتقض لأنه اذ زعم أن علمه بالشيء محدث مع الشيء حين يخلق ذلك الشيء ، فلابد أن يزعم أن الله قد كان قبلها .

فليخبرونا عن هذه المقالة بالعلم المحدث الذى به علم ما خلق ، ولم يكن يعلمه من قبل ذلك ما يعلم ذلك العلم أو لا يعلمه .

فان زعم أنه يعلمه . فليخبرونا عن العلم بذلك العلم محدث هو أم لم يزل .

فان زعموا أنه لم يزل يعلم العلم الذى به علم الأشياء ، فقد نقض قوله ، لأن العلم محدث ، وما بال ذلك العلم الذى علم به علم الأشياء لم يعلم به أشياء دون العلم المحدث ، يعجز من ذلك العلم ، وضعف منه والا فما باله لم يعلم به .

فان زعموا أنه قد علم به الأشياء كان ذلك ترك ما قالوا .

وان زعموا أن العلم الذى علم به الأشياء لا يعلمه الله ، فقد جهلوا ان زعموا أن من خلق الله وفعله مالا يعلمه ، والخلق يعلمون ذلك العلم ، وكيف لا يعلمه الله ، فكفى بهذا نقضا على ما قاله .

وكذلك يدخل عليهم فى القوة ، والسمع والبصر والارادة ، كما دخل عليهم فى العلم سواء .

قال : فأخبرونا عن قولكم : لم يزل عالما ، ألستم تقولون انه لم يزل عالما بالأشياء كلها ؟

قلنا : بلى .

قالوا : فأخبرونا انه لم يزل عالما بالأشياء أنها قد كانت ، أو عالما

بأنها ستكون ، فأخبرونا عن تكون وكانت أهما شيئان أحدهما غير الآخر ، أو هما شيء واحد •

قلنا لهم : ان كانت ويكون من الأشياء : غير أن قولنا لها كانت ، وقولنا لها يكون اخبـارا منا وعلم بعقـل المعنى : فاذا قلت : تـكون الأشياء فانما قولى اخبارا منى أنها كائنة ، واخبارى أن الأشياء قد كان دليل على أنها قد كانت ، فاذا كانت فانما كان الذى أخبرت أنه يكون ، غير أن يعنى أحطت بالخبر ، لأن الاخبار عن الشيء قبل أن يكون ليس بالاخبار عنـــه اذا كـــان •

ومن ذلك أن قولنا : ان الله يعلم أن موتك سيكون موتا ، وموتك غير أنا قلنـا سيكون ليعلم من يسمع قولنا : أن موتك يعلم وأنـه لم يكن اذا كان قولنا قد كان الـذى أخبرنا أن اللـه يعلمه ، وكان موتك هو موتك ، وليس قولنا : كان موتك ، ولا هو كان موتك وكذلك قلنـا سيكون موتك ليس هى سيكون موتك •

ألا ترى أنك تقول موتك ، فليس قولك هى موتك ، وكذلك تقول : السماء والأرض قول وليس السماء والأرض كذلك قولنا سيكون وكان ، انما هو كلام منا ، وأما قولنا سيكون ، فانما هى صفة ليس ما لم يكن ؟

فأما قلنا : قد كان فانه صفة منا للشيء اذا كان ، وبعد ما يـكون ولا يجوز أن تقول للشيء انه اذا كان سيكون كذلك ، لا يجوز له قبل أن يكون انه قد كان ، فلا نعلم فى هذا الوجه من الكلام أحسن من هـذا وقد قال فيه الناس فأكثروا •

وقال بعضهم : ان الله تعالى لم يكن يعـلم قبـل أن يخلق الخلق ما يكون ، وزعموا أنه يعلم فعل من فعل الله ، فان الله العالم لم يـزل

قد كان أذن وله علم لا يعلم به شيئا ، وبصر لا يبصر به شيئا وسمع لا يسمع به شيئا وهم الرافضة •

قيل لهم : أخبرونا عن الله تبارك وتعالى ، أليس قد كان وهو يعلم ، ولا يبصر ، ولا يسمع قبل أن يخلق الخلق •

قالوا : بلى ، لأن الخلق لم يكن فلا يجوز أن يقول يعلم ما لم يكن ولا يسمع ولا يبصر •

قلنا لهم : وانكم قد وصفتم الله تعالى بالعجز والجهل ، وما يزعمون أن يصفوا به أنفسكم ، وأهل العلم عندكم •

أخبرونا عنكم ، ألستم تعلمون أن الله أخبر بأشياء لم يكن من القيامة والبعث والحساب ، والموت قبل ذلك فعلمناه ، وعلمتموه قبل أن يعلم هو ذلك •

فان قالوا : نعم •

قلنا لهم : من علم ذلك فان جعلوا ذلك وقتا عليه فيه لم يكن يعلمه قبل ذلك الوقت •

قيل لهم : من أين حددتم هذا الوقت ، ومن أين جاز أن يعلموا أنه علمه فى هذا الوقت ، ولم يعلمه قبل ذلك الشىء المعلوم ، لم يكن فى ذلك الوقت ، وهذا نقض لما قالوا •

ويقال لهم : أخبرونا عن يعلم نفسها ، ويبصر ويسمع ، أليس هذا كله فعل من فعله ؟

قالوا : بلى •

قلنا : فأخبرونا عن يعلم نفسها ، هل يعلمها ، فان زعموا أنه يعلمها قيل لهم : فما علمهـــا ؟

فان زعموا أنه لم يزل يعلمها ، فهذا نقض قولهم .

وان زعموا أنه لا يعلمها ، فقد جهلوا .

وان زعموا أنه يعلم بعلم فعل ما سواها ؟

قيل لهم : هل يعلم ذلك الفعل أيضا حتى ينتهى لهم الى أول فعل كان من فعله يسمى ذلك الفعل ، يعلم ذلك الأول ؟

فان قالوا : يعلمـــــه .

قيل لهم : يعلم نفسها فعل ، وانما سألناكم عن أول فعله ، وزعمتم أنه يعلمه فان كان يعلم فعل قبل الفعل الأول لقولكم ، فما آمن فساد هذا القـــــــول .

وقال آخرون : ان الله تبارك وتعالى يعلم ، لم يزل يعلم الأشياء يكون ، ولا يعلمها كانت .

قلت لهم : فما علمها كانت ؟

قالوا : حين كانت ولم يكن يعلم قبل ذلك .

قلنا : فأخبرونا عن العلم بأنها كانت ، أليس محدثا انما علم أنها كانت حين علم ما كان فاعلا لا يعلمه ، ومن علم ما لم يكن يعلم فقــد أصـــاب علما ، أو اكتسب فضلا ، فهو قبل أن يصيب ذلك أنقص ، فهذه صــفة الضـــــــعفاء .

ويقال لهم : من أين زعمتم أنه يعلم يكون ، ولا بعلم كان ، وكلاهما لم يكن انما أحدثهما هو فما بال هذين المحدثين قبل أن يكون ٠

فان زعموا أنه يقدر على ذلك فما منعه من أن يعلمه ، وفى علمــه فضـــــل قـــــوة ٠

وان زعموا أنه لا يقدر على ذلك قيل لهم : فان لا يقدر على أن يعلم ما كـان قبل أن يكون عاجزا ٠

وقال آخرون : لم يزل الله يعلم الأشياء قد كانت ٠

قيل لهم : أخبرونا عن قولكم : ان الله يعلم الأشياء ، قـد كانت للشمس أليس كامل كان ، فلا ينظرها ما لم يكن ، فأما ما قد كان فلا ينتظر ، وقد كانت الأشياء لم تزل ، وأى شىء وعدنا الله من أمر الآخرة لم يكن مما سيكون ، أليس كل ذلك قد كان ٠

فان زعموا أنه قد كان فكل ما كان مما يعلم الله أنا نعلمه ، فقـد علمناه أيضا ، فقد علمنا ما يصيبنا فيما يستقبل وقد كان ذلك كله يعلم ما يختار ، وما يكون فى غد ، وقد علمنا ذلك كله ، فقـد علمنا بأنفسـنا دليل على أن قولهم باطل وفيما قال الله : (ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير) ٠

فهذا لا يجوز مع أن فيه حججا نكره ذكره شغل به عما سواها فى هذا كفاية ان شاء الله ٠

وقال المكذبون والمشبهون لنا فيما سألونا عنه : فأخبرونا عن الله تبـــارك وتعالى أين هــو ؟

قلنا لهم : ان قولكم أين هو لا يكون الا على أحد وجهين : أمـــا

تقولون هو ساكن ، فان الله تبارك وتعالى لا يسكن فى شىء ممـا خلق كسكون الأشياء فى الأشياء المخلوقة كلها ، واذا كان كذلك كان ساكنا أو مخلوقا محدودا •

وان كنتم تعنون وجها غير ذلك ، فانا نقول : ان الله تعالى فى كل مكان عالم ، وفى كل مكان مدبر ، وفى كل مكان قادر ، وفى كل مكان اله •

وكذلك قال الله تعالى : (وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله) فمن ذهب وهمه أنه يسكن فى الأشياء فهو لا يعرفه ، محيطا تبارك وتعالى عن تلك الصفة ، فليس يحيط به مـكان ، وليست الأشـياء له بوعاء ، ولا هو لهـا بوعـاء •

فان قالوا : ففى معزل منها ، فهو فى هذا المعزل ؟

قلنا : فان المعزل مكان ، وقد أخبرناكم أن الله تعالى لا يسكن الأمكنة ، ولا تحيط صغرت الأشياء عن ذلك •

قالوا : فهل يلاقى الأشياء ، ويمسها ؟

قلنا : جل عن ذلك أن تشبهه الأشياء ، وتلاقيه •

قالوا : فهل بينه وبينها فرجة ؟

قلنا : ليس بينه وبينها فرجة ، لأن الذى بينه وبين الشىء فرجـة محدود ومحاط به ، والذى تحيط به الحدود ، وصغر عن الحدود ، وكل شىء أصغر من الحدود ، فلا يقدر أن يخلق الحدود التى هى أعظم منه •

قالوا : فكيف هـو ؟

قلنا لهم : ان قولكم كيف هو كذا وكذا ، فالذى وصفنا لكم أنـه

كهيئة مخلوق منقوص ، والله ليس كـذلك ، فليس له كيفية ، فهـذا جوابنا فى مسألتكم كيف .

قالوا : فساكن أو متحرك ؟

قلنا : ليس ساكنا ، ولا متحركا ، لأن الساكن والمتحرك من خلقـه الخلق كله فليس من الخـلق شيء يخلو من أن يكون ساكنا أو متحركا ، والله ليس كـذلك .

قالوا : فأخبرونا : لم خلق الخلق ، أرجاء منفعة ، أو دفع مضرة ؟

قلنا : لم يخلق اللـه الخلق لواحـد من الوجهين لا رجـاء منفعة ولا دفع مضرة ، انما يرجو المنفعة المحتاج والله ليس بمحتاج ، وانمـا يريد دفع المضرة الضعيف ، والله تبارك وتعالى ليس بضعيف ، ولا ممن يخاف المضرة وليس أحد الا وله عبد .

وقد كان قبـل أن يخلق شيئا من الخلق ، بـل كل الخلق اليـه محتاج مضطر لا قوام لأحد منهم الا به ، به قامت السموات والأرض وما تحتها على غير أساس هو ذلك الذى أقامها بأمره .

وقالوا : لم خلق الخلق ؟

قلنا : خلقهم ، لأنه أراد ذلك ، ولأنه على ذلك لمله قدير ، وليس يجوز أن نقول لم أراده ، ولو علم ، لأن الذى لا يريد شيئا ، ثم يريد لابد أن تكون الارادة منه ، فعـلا ، ولابد من أن يـكون الفعل بارادة وبغير ارادة .

فان قال قائل : بارادة ، وكل ارادة بارادة ، وما غاية ذلك وآخره ؟

فان زعموا أنه لم يرد ذلك الفعل الذى هو ارادة ، فان الذى يفعل

ما لا يريد عاجز مستكره ، أو عابث والذى لا يعلم جاهل ، وقد أراد بذلك المنفعة لبعض الخلق ، ومضرة لبعض الخلق ٠

وقد قال مع غيره : لعله أراد ، وقد صح يجـوز أن يقول : ان مما خلق له الخلق أن يأمرهم بطاعته ، وينهاهم عن المعصية ٠

قالوا : فبكم سبق الله تعالى الخلق ؟

قلنا : ليس ثم وقت ولا عـدد ، ولا نقـول مقدار كذا وكذا من السنين ، وانما يكون الوقت والعدد بين بعض الخلق وبعض ، لأن الخلق كله أول مصـحود معروض ٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ أو ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠ الله كـذا ؛ فافهمـوا ما أجبناكم به ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ المشبهين المتحيزين أخبرونا عنكم أو زعمتم ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

وصفنا الله تبارك وتعالى بأنه لا ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ وما يصفونه ٠

قالوا : نزعم أنه على صورة آدم ؟

قلنا لهم : لقد قلتم عظيما وبحكم الله ما اتبعا ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ والله مع ذلك أبان فساد قولكم ان شاء الله ٠

قلنا : أليس تزعمون أنه كآدم فى هيئته ؟

قالوا : بلى ، غـير أن آدم مخلوق ، واللـه تعـالى خالق هـذا ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ أفضل منه وأتم وأقوى من آدم ٠

قلنا : فأخبرونا عنه : أليس عيناه غير أذنيه ؟

قالوا : بلى ٠

قلنا : وكذلك كل موضع منه غير ما سواه ، وزعموا أن من لا يضعف

الله — لعله — يصف الله بذلك لا يعرفه ، لأن غير هذه الصفة لا تدركها الأوهام ، وكل ما تدركه الأوهام لا يجوز أن يوصف الله عندهم به .

قلنا : فأخبرونا عن العينين منــه ، هل يســمعان ، وأخبرونا عن الأذنين منه هل يبصران ، وأخبرونا عما ســوى ذلك من جســد أليس لا يبصر به ، ولا يســمع به ، أليس منه ما لا يبصر بسه ، ولا يســمع ولا ينطق به ، ولا يعقــل ، فهل تعدون ما لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينطق ، ولا يعقــل .

فقد عاب الله قوما عبدوا ما لا يسمع ، ولا يبصر ، وأخبرونا عــن العينين هل يبصران نفسهما ، فان أنهما يبصران نفسهما ، فقــد وصفوا الله بما لا يعقلون ، ودخلوا فيما عابوا ، وان زعموا لا يبصران نفسهما فقد عجزت عن ذلك .

وأخبرونا عن ظهــره ، هل يبصره ، ورأســه الذى لا يبصرهمــا الانسان من نفسه ، فان زعموا أنه يبصرهما ولا الأنبياء .. ..

يقولون ويتوهمون ، فان زعموا أنــه .. .. .. يبصر .. .. .. تجلى لهم لا يبصروا من ظهره وراءهم أبصر .. .. .. من نفســه على ذلك منه ، وأقوى كيف يكون الخالق يعجز عما يقــوى عليه ، وخلقــه وعبــاده .

ويقال لهم : أليس قد خلق الله ما هــو أعظم منه ، فاذا قالــوا : بلى ، وذلك قولهم ، لأنهم يزعمون أن السماء أعظم منه وأطول .

قيل : فليس موضع ما هــو أعظم منــه ، فهل يدرون — لعله — أيضا قد خلق ما هو أقوى منه كما خلق الله ما هو أعظم منه وأكبر .

فان زعموا أنه لا يعقل .

قيل لهم لم زعمتم ذلك وقد رأيتموه فى زعمكم خلق ما هو أعظم منه فلم تنكرون أن يخلق ما هو أقوى منه ٠

وان زعموا أنهم لا يدرون لعله قد خلق ما هو أقوى منـــه ، فان كان قد خلق ما هـــو أقوى منه ، فان القـــوى غالب من هو أضعف منه ، فما علمكم لعـــل القوى خلقه قاهرة وغالبه على ملكه ٠

ويقال لهم أيضا : أليس لسمعه وبصره وقوته ، وعلمه عندكم حـــد كما كان لجسده ، هل قالـــوا : بلى ليس من ذلك شيء والا وله حـــد ومنتهـــى ٠

قلنا لهم : أفليس تعلمون أنه ليس شيء مما يعقل من العلم والسمع والفقه الا هو لواصف اليه مثله كان ٠٠ ٠٠ ٠٠ لـــه ضعف بصره ، كان أبصر له ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ له ضعف سمعه كان أســـمع لـــه ، ولـــو كان ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠

الزيادة والنقصـــان ، فهـــو مخلوق ، تعالى الله عمـــا يصـــفونه علوا كبـــيرا ٠

يقال لهم : أخبرونا أليس بعضه غير بعض قالوا ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠ وكذلك كله واحـــد ٠

قلنا : أفليس يستعين بعضه ببعض ، ومحتاج بعضـــه الى بعض ، ولا ذلك لم يقو كل جزء منه على ما يريد ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠٠

العينان لا يقومان على السمع الا بالأذنين ، والآذان غيرهما فهما يعجزان عن السمع الا وكذلك الآذان يعجزان عن البصر ٠

وكذلك موضع الشم منه لا يسمع ولا يبصر ، فهو عن ذلك عاجز ٠

وكذلك الفم يعجز عن السمع والشم ، ويقوى على النطق وما سواه يعجز عن النطق .

وكذلك الجوارح لا تسمع ولا تبصر ، فهى عاجزة ، فليس جزء الا هو على حاله عاجز ، فمن أدخل عليه العجز ، كيف يعبد قسوم من هذه صفته ، أو ليس لو كان كل جزء من ذلك يقوى على صاحبه كان أفضل له وأقوى ، فما الذى قصر به عن الفضل ، وبعد الله عنه تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

ويقال لهم أيضا : أخبرونا عنه ، أليس لا يدرون لعله ينزل من مكانه الذى هو به الى السموات والأرضين .

فان قالوا : لا يفعل ذلك ؟

قيل لهم : من أين علمتم أنه لا يفعل ذلك ، أليس لو شاء .. .. أن قالوا : لا تدرى لعله يفعل لهم . . . . لعله قد هبط الى الأرض .. .. مسألتكم قد أحاطه ، أو ليس لا يدرون مع ذلك لعله يلقى فى الطرق والمساجد ، وهو لا يعرف ولا يدرى هو الاله ، ولعله يريد أن يخفى نفسه من الناس ، فيلقونه فلا يعلمون أن هو الاله .

فاذا قالوا : بلى .

قيل لهم : أفأنتم لا تدرون لعله بعض من تلقون ، فليس أحد ممن يلقون ينبغى لكم أن تدعوا أنه ليس باله ، لأنكم لا تدرون لعله أتاكم فى بعض هيئتكم ، أف لكم ولما تعبدون تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ويقال لصنف من الزنادقة فيه . ومن أصحاب الاثنين : لم يـكن ذكرنا فى صدر كتابنا يسمون الديصانية يزعمون أن النور والظلمـة لم يزلا ، ويزعمون أن النور هو الذى يلى التدبير دون الظلمة ، وأن الظلمة منه ، لأنه لا يعمل شيئا ولا يضيعه .

وأن النور هو الذى يدبرها وينقلها من حـال الى حال ، وأنـه لا شيء غيرهما ، ويضيفون القوة الى النور والجبر والعجز والضعف ، والموت والجهل الى الظلمة .

فيقال لهم : من أين استطعتم علم ما صفتم ، وما الدليل لـكم عليه أتاكم مخبر فيما يشـبه ذلك المخبر ... .
وما العلم الذى أتاكم به ، وهو مؤمن أرسله .. ..
له برسـالة ، أتاكم اليه .

قالوا : بـلى .

فيقال لهم : ما لمن أرسله النـور الى ما فيكم من الظلمة فان زعموا أنه أرسله الى ما فيهم من النور .

قيل لهم : فهل يدخل على النور الجهـل ، أو ينتقل عن جنسـه وأصله ، وقد زعمتم أن جنسـه وأصله القـوة والعـلم ، فمـا رده الى الجهل بعـد العلم والضعف بعد القـوة ، والعلم والنور ، أجهـل نفسه فى ذلك الجهـل ، ونقله الى حـال الجهل ، فمن أجهل ممن علم هذا لنفسـه .

وأما ان كان انما أرسـل ذلك المخبر الى الظلمة ، فيعلمنا فهـل يعقل الظلمـة ، أو يعـلم أبدا ، أو سمع ما يقال لها ، أليست منـه ، أو ينتقل من جنسها وأصلها الى غير ذلك .

فان زعموا أن ذلك كذلك فما أراد الارسال الى من .... قيل له : لم يسمع الكلام ، وهل لها على ذلك أجرا ان هى أصابت وعملت ، فان زعموا أن لها أجرا فما ذلك الأجر وما أصله من السحين ، فهو النور أم الظلمة فان قالوا : ظلمة فما جاحد الظلمة الى الظلمة .

فان كان أتى على ذلك النور من نفس النور ، فليس ذلك الجزاء لها ، فهو يعطيها بعض نفسه فذلك يضره وينقصه .

فان زعموا أن على ترك أمره عقابا قيل ، وما ذلك العقاب أنور أم ظلمة لعله فان قالوا ان ذلك ظلمة فكفى بالظلمة . . . .

. . . النور فان النور . . . .

كما يجوز بعضه ، واذا جاز أن يتحول الى سح الظلمة ، وأن الظلمة قد تتحول أيضا الى سح النور .

فاذا كانوا لا يدرون لعل كل واحد منهما يتحول الى حال صاحبه ، فهم لا يدرون لعل النور اليوم والظلمة الا ولا ولعل الظلمة قد صارت هي النور مع أن هذا من قولهم لا يجوز ، لأن الجوهر عندهم لا يتحول .

ويقال لهم : أخبرونا عن النور والظلمة ، أليس لم يزلا جميعا ، فاذا قالوا : بلى قيل انه لابد من أن يكون ، انما كان النور كون لم يزل ، لأنه نور ، وأما أن يكون انما كان نورا بأنه كون لم يزل ، فان زعموا أنه انما كان النور كون بأنه ، فما بال الظلمة لم تكن نورا ، وهى لم تزل ، كما يزل النور حتى يكونا سواء .

وان كان انما كان لم يزل النور ، لأنه النور فما بال الظلمة تكون كونا لم يزل ، وأن ينال بظلمتها مثل ما نال النور بنوره ، أنبئونا بفضل هذا وبينوه لنا .

وهذا كـــــلام يدخل على جميع المكذبين •

ويقال للديصانية خاصة : أليس كل شيء بدأ من هــذه الأعمــال الخبيثة من الزنى والسرقة وشرب الخمر ، وقذف المحصنات ، وســفك الدماء ، وغصب الناس وظلم بعضهم بعضا ، فانما هو • • • • • • • وليس للظلمة فى ذلك ذنب • • • • • • ولا فعــل • • • • • • • • • • • • • • • دون الظلمة فمن • • • • • • وجهين لنا أن يكون جاهلا ، وأما أن يكون لا يدرى من الحسن والقبيح فهما عنده سواء •

فهو يعمل الحسن والقبيح لا تفاضل بينهما •

ويقال لهم أيضا : أخبرونا عن العلم نفسه ما هو ، وما أصله ، فان زعموا أنه جوهر عند النور والظلمة فقد نقضوا قولهــم ، وزعمــوا أن الأمور ثلاثة •

فان زعموا أن العمل من أحد الجوهرين ، فان الاقتراح اذا لم يزل فيهما شيء واحـــــد •

وان زعموا أن من الظلمة دون النور ، فقد انتقض قولهم أن العمل من النور دون الظلمة ، وان زعموا أنه من النور ، فان الشرور كلها من النور ، وهى لعله خير منه ، فبعضه خير ، وبعضـــه شر ، وبعضـــه غير بعض •

فقد انتقض قولهم أنه خير لا شر فيــه ، وأن الشر انما هــو من الظلمة ، ولا بد ان زعموا أن فى النور شرا ، وفى الظلمة خيرا •

وان زعموا أن النور والظلمة شيء واحد ، لأن الشر كله وأن تفرق فالنور والظلمة شيء واحد لابد أن يزعموا أن الظلمـــة خـــير فى بعض الأحايين ، والنور شر فى بعض الأحايين .

ألا ترى الى الرجل يفر من السلطان يريد قتله ، فيحل الى الظلمة التى لا يراه منها أحد كانت له ناقصة ساترة ، ولو كان فى القمر أو ضوء الشمس لكان ذلك ظاهرا له ، والظفر به ، وكان ذلك الضوء دليلا لطلبه .

ووقع الظلمة خير والنور ، تعالى الله الملك الحق عما يقول المكذبون علوا كبيرا .

وصلى الله على محمد النبى وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكائن قبل كل شيء ، والباقي بعد كل شيء المبرأ من جميع ما نحله المشبهون الزاعمون أن الله خلق نفسه من نور يتلألأ ، فلابد خلنك في صدرك من قولهم ريبة ، ولا شيء مما قالوا ، فان ذلك هو البهتان ، والافك المبين •

وليس من قال : ان لله ولدا بأعظم كذبا على الله ممن قال : ان الله مخلوق ، وان الله لم يكن قبل كل شيء ، لأن من قال : ان الله خلق نفسه من نور يتلألأ ، فقد شهد أن الله مخلوق ، وأن النور قد كان قبل أن يكون الله •

وشهدوا أن النور هو الكائن ، لأنهم قالوا : ان الله خلق نفسه من نور من بعد ما قد كان ذلك النور قبل أن يخلق الله نفسه ، فبلغ بهم كذبهم ان شهدوا أن النور هو الخالق ، لأن الأول الذي كان قبل الآخر خالق الآخر ، الذي لم يكن ، لأن الخالق هو الكائن قبل المخلوق ، ولا ينبغي للمخلوق أن يكون قبل خالقه •

لأن الأول شيء قد كان له حال ، ولا هيئة ، وأن الآخر الذي لم يكن فليس شيئا ، فليس لمن ليس له حال ولا هيئة ولا ذكر ، ولا صفة ، ولا علم ولا قدرة ..... وانما العلم والقدرة والحول والقوة كائنا ولم يكن له أخبر بعد الأشياء ، وأن النور والأشياء كانت قبله ، لئن شهدوا أن الله خلق نفسه من نور •

وقد كان ذلك النور شيئا من قبل أن يكون يخلق الله نفسه من ذلك النور ، فبلغ بهم كذبهم أن شهدوا أن النور قد كان شيئا له حال وهيئة وذكر ، قبل أن يكون الله شيئا مذكورا ، فتبارك الله وتعالى ، وجل

ثناؤه عما وصفه أعداؤه ، ولا يكون من الافك والكذب على الله شيء أعظم من قولهم هـــذا .

اذ شهدوا أن الله مخلوق ، وأن الله لم يكن قبـل كل شيء حـين زعموا أن النور ، قد كان فى هيئة الله وحاله وزمانه قبل أن يكون شيئا تعـالى الله عن افتراء الآفـكين .

واعلم أنهم خالفوا القرآن ، وقد كذبهم الله والقرآن ، لأن الله تعالى قال فى القرآن : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) يقول هو الأول قبل كل شيء ، وهو الآخر بعد كل شيء .

وقال : (لله الأمر من قبل ومن بعد) يقول من قبل كل شيء ، ومن بعد كل شيء ، وأن المفترين . . . . . أن النور هو الكائن الأول قبل أن يكون الله ، وشهدوا أن الله لم يكن قبل كل شيء ، وأن الأشـياء قد كانت قبله حين قالوا: ان النور كان فى حاله وزمانه قبل أن . . . . . انما خلق نفســــه . . . .

وقالوا : ان الله خلق نفسه خلقا محدثا من شيء غير نفسه ، وأنهم يعبدون ربا محدثا مخلوقا قد كان شيئا قبله ، وأن النور قد كان فى هيئته وحاله وزمانه شيئا مذكورا قبل أن يكون ربهم وصفوا أن لهم ربا غير الله ، وقصدوا بعبادتهم الى غيره ، ونحن نبرأ منهم ومما قالوا ونبرأ لله ونعاليه عما يقولون علوا كبيرا .

ونعبد ربا لم يكن قبله شيء ، ولم يكن معه شيء ، وليس كمثـله شيء ، وأنه لم يكن من غيره ، وأنه هو الكائن الأول ، وأنه ليس فيه شيء مخلوق ، ولا مستحدث ، وأن ربنا لم يزل كائنا ، وله الجلال والقدرة ، والعـــلم والقـــوة والحـــول .

وأن النور والأحوال والأزمان والدهور والأشـياء ، كلها لـم تكن

شيئا مذكوراً حتى خلقها بقدرته من غير شيء مذكور بقدرته ؛ فالحمد لله الذى هدانا لما ضل عنه الجاهلون ٠

وأشهد وأعلم وأستيقن أن ربى الله الذى لا اله الا هـو رب كل شيء ، والـه كل شيء ، وخالـق كل شيء . ومبتـدع كل شيء ؛ ومالك كل شيء ، الكائن قبل الدهر لكل زمان ولم يكن معه ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ محدودا زائلا ، فانيا بعد محدود ، لأجل معدود ، فبداه حد ، ونفاه حد، وقبله حق ، فبداه ربى بقدرته ، وملكه وعزته ونفسه بسلطانه ؛ فيهلك جميعا حتى لا يبقى الا وجهه — كما قال — فردا أحدا صمدا دائما أبدا ٠

فربى ورب كل شيء ، وخالق كل شيء ، ومالك كل شيء ، والمالك لكل شيء ، والقادر على كل شيء ، والقاهر لكل شيء ، وهو أعظم من كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، وأجل من كل شيء ، وألطف من كل شيء ، وأطهر من كل شيء ، وأكرم من كل شيء ، وأقوى من كل شيء ، وأوسع من كل شيء ، وأعلى من كل شيء ، وأقرب من كل شيء ، ومع كل شيء ، وليس كمثله شيء ، ولا يشبهه شيء ، ولا تدركه الأبصار ولا تحيط بـه علمـــــــا ٠

فحارت الأبصار دون رؤيته ، وكلت الألسن دون صفته ، وضلت العقول دون أن تحيط به ، وقصرت الأيدى ، والأجساد بلمسه ، وضعفت العقول من أن تدركه ، أو تقدر قدره ، فذلك الله هو ربنا تبارك وتعالى ، لا رب لنا غيره ، ولا نعبد الا اياه ، ولا نقول : أن لنا ربا قبله ، ولا ربا يقدرقدرته ، ولا ربا يحيط بعلمه تعالى الله علوا كبيرا ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وهو ربنا به نؤمن ، وأياه نعبد ، وعليه نتوكل ، واليه ندعو ، وهو رجاؤنا ، يقينا لا شريك له ، ولا رب لنا غيره رضينا به ربا ، وندين بدينه الاسلام

دينا ، وبمحمد نبيا صلى الله عليه وسلم تسليما وبالكتاب هاديا ودليلا ، لا حول ولا قوة الا بالله ، والله المستعان الذى هدانا لهـذا ، وما كنـا لنهتدى لولا أن هدانا اللـــه .

ونشهد أنه قد جاءت رسل ربنا بالحق ، والســلام على المرســلين والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآلـه الطيبين وســلم تسليما كثيرا .

كتاب نسخه أبو عبد الله محمد بن حازم :

وأول ما نحن ذاكرون أن فرقة المختلفين أنكروا الله أحسن الخالقين وقالوا بأزلية طيبــة الأشــياء ، واحداث صنعها . واعتراض الاعتراض فيهـــــا :

فقال : أخبرونا عن الطيبة أكانت فى أزليتها متحركة أم ساكنة

فان أقروا بسكونها وحركتها فقد نقلوا الأزلية عنها . لأن سكونها وحركتها لا يعقل الا بالمكان • • • • • والزمـــان الجـــارى عليهــا ، ومحال أن يكون • • • • • • • • • • وآخر السكون والحركة •

تم ما وجدته فكتبته كما وجدته من نسخة متقطعة ، متصحفة .

تم جزء التوحيد من (**بيان الشرع**) وهو الجزء الثانى ، ويتلوه الجزء الثالث فى الولاية والبراءة من بيان الشرع .

وذلك عصر السبت لخمس ليال خلون من شهر المحرم من سنة سنتين وثمانين ومائة وألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام .

على يدى مالك قرطاسه الأقل لله عز وجل : عامر بن راشد بن سالم المرواسى السمدى .

نسخه لنفسه طلبا لثواب الله ، واحياء آثار المسلمين رحمهم الله

وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

قال أبو على الحسن بن أحمد بن عثمان : انه اذا شهد أن عليه مائة وخمسين درهما ، لم يثبت عليه الا خمسين درهما حتى يقول : مائة درهم وخمسين درهما .

وسألته عن قرض الماء أثر بأثر ؟

قال : لا يجوز .

ومن جواب الشيخ العالم أحمد بن مداد : وأما أوعية القرع اذا حلتا النجاسة ، وليست فيها فتحل فى الماء مقدار ساعتين ، لأنه فى النظر أن الماء الطاهر يدخله ، ويبلغ فيه مبلغ النجاسة لأجل مششه ، وذلك طهارته . . . . . واما رشة النارجيل اذا كانت للخل ، وليست فيها النجاسة ، فطاهرتها أن تخلى فى الماء الطاهر مقدار ما يبلغ الماء الطاهر مبلغ النجاسة .

وعندى أنها تترك فى الماء الطاهر ليلة كاملة ، لأن النارجيل أخشن من القرع بكثير ، والله أعلم .

والعمل عندنا أن الشفعة لا تبطل بموت البائع ، واما تبطل بموت المشترى والشفيع ، والله أعلم .

وما صفة العانت والمتعنت ، وكذلك الأعرابى الجافى .

العانت : هو من يطلب منك أن تكشف له علما يرجوه منك ، يريد به أن يوقعك فى فتنة سلطان جائر ، أو عدو يتربص بك الدوائر .

والمتعنت : هو من يطلب منك تفسير علم لا يرجوه منك ، يستعجزك بذلك ، وهو يعلم بذلك ، فان سألته عنه لم يخبرك عنه ، وان لم تقدر على جوابه سره ذلك ، ورأى الفضل لنفسه عليك .

والجافى : هو الذى لا يعرف شيئا من حدود الله ، وهو كالبهيمة التى لا يحسن صلاحها من فسادها ، ولا تستدل به على شىء من باب الدين ، ولا ذات الدنيا الا ما شاء الله من ذلك ، فاستحق اسم الجافى .

وأما طالب الرخصة قبل أن يقع فيها هو من يطلب منك أن تعلمه بشواذ الرأى من المسلمين الذى قد تركها المسلمون من آثارهم ، قبل أن يقع فى شىء من ذلك على ضرورته لذلك ليبلغ الى شىء من شهوات نفسه لا لمرضاة ربه ، الله أعلم .

الفهـرس

رقم الايداع ٥٩٠١ لسنة ١٩٨٤

مطابع ســـجل العرب

